

القديس أنبا مقار
مكة برية شيهيت



الكتاب الرابع

الاب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

مع المسيح

مقالات تقدّم للقارئ التعزية والنعمة

الكتاب الرابع

الأب متى المسكين

كتاب: مع المسيح - الكتاب الرابع

المؤلف: الأب متى المسكين.

الطبعة الأولى: ٢٠٠٦.

الطبعة الثانية: ٢٠١٣ .

الطبعة الثالثة: ٢٠١٧.

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.

الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٠٧٧٤ / ٢٠٠٦

رقم الإيداع الدولي: 1-ISBN 977-240-249

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

متى المسكين

مع المسيح / متى المسكين - ط ١ - البحيرة :

دير القديس أنبا مقار ، ٢٠٠٦

مج ٤ ؛ ١٦ سم

تد مك ١ ٢٩٩ ٢٤٠ ٩٧٧

١ - التأملات (المسيحية)

٢٧٤,٥

أ- العنوان

مُتَكَلِّمًا

دعاء من القلب والروح للقارئ أن
يأخذ نصيبه من الروح القدس حتى
الملء ليزوق معنى الحياة مع المسيح،
فهي طيبة بالنعمة المسكوبة من الآب
على رأس المؤمن، وهي حق مُكتسب
بتوسط المسيح الذي لنا فيه شفاعنة
ووساطة بدمه الذي سكه على صليب
محبه من أجل الخاطئ حتى آخر قطرة،
وذاق الموت لنذوق نحن الحياة الجديدة
بقيامته، وننال نصيب البنين في إرث
الابن الأزلي.

متمم

المحتويات

- ١ - «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» ١٣
- ٢ - «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» ١٨
- ٣ - «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم» ٢٢
- ٤ - «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم» ٢٦
- ٥ - «من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً» ٣٠
- ٦ - اللؤلؤة الكثيرة الثمن «فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها» ٣٤
- ٧ - أصحاب الميل الثاني ٣٧
- ٨ - حتى إلى التعرّي «من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً» ٤١
- ٩ - «وتكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي» ٤٤
- ١٠ - الابتزاز ٤٨
- ١١ - المديح والصيت الحسن ٥١
- ١٢ - الغضب ٥٤
- ١٣ - «طوبى لصانعي السلام» ٥٧
- ١٤ - «أنتم نور العالم» ٦٠
- ١٥ - المساكين بالروح ٦٤

- ١٦ - «طوبى للعطاش والعطاش إلى البر» ٦٧
- ١٧ - «طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله» ٧٠
- ١٨ - «طوبى لكم إذا غيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل أني كاذبين، افرحوا وقهقهوا، لأن أجركم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» ٧٣
- ١٩ - «طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون» ٧٦
- ٢٠ - البيت المؤسس على الصخر ٨٠
- ٢١ - «كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه» ٨٤
- ٢٢ - «من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني» ٨٨
- ٢٣ - «ينبغي أن تولدوا من فوق» ٩١
- ٢٤ - «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» ٩٤
- ٢٥ - «الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له» ٩٧
- ٢٦ - «لكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» ١٠٠
- ٢٧ - «أنا هو خبز الحياة، من يُقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» ١٠٤
- ٢٨ - «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة (أبدية) فيكم» ١٠٧

- ٢٩ - «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنْ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» ١١١
- ٣٠ - «أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لَا يَمُوتُ فِي الظُّلْمَةِ» ... ١١٤
- ٣١ - «لَأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنِ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةَ مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ» ١١٧
- ٣٢ - «لَمَّا أَخَذَ يَهُوذَا اللَّقْمَةَ وَخَرَجَ مِنَ الْعِشَاءِ، قَالَ الرَّبُّ: «الآنَ تَمَجِّدُ ابْنَ الْإِنْسَانِ وَتَمَجِّدُ اللَّهَ فِيهِ» ١٢١
- ٣٣ - «أَنْتُمْ تَوَدُّونَ بِاللَّهِ قَامِنُوا بِي» ١٢٤
- ٣٤ - «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي» ١٢٨
- ٣٥ - «وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ» ١٣٢
- ٣٦ - «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مَدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ، الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ رَأَى الْآبَ ... أَلَسْتُ تَوَدُّ أَنْ أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبُ فِيَّ، الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمْتُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنِ الْآبُ الْحَالُّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ» ١٣٥
- ٣٧ - «لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى، إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ» ١٣٩
- ٣٨ - «سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ، سَلَامِي أَعْطَيْكُمْ، لَيْسَ كَمَا يَعْطِي الْعَالَمُ أَعْطَيْكُمْ أَنَا» .. ١٤٢
- ٣٩ - «أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» ١٤٥
- ٤٠ - «لَأَنَّكُمْ بَدَوْنِي لَا تَقْدَرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» ١٤٩
- ٤١ - «إِنْ حَفَظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفَظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبِتُ فِي مَحَبَّتِهِ، كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لَكِي يَثْبِتَ فِرْحَمِي فِيكُمْ وَيُكَمِّلَ فِرْحَمَكُمْ» ١٥٣
- ٤٢ - «لَيْسَ أَنْتُمْ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ» ١٥٧
- ٤٣ - «لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عَذْرٌ فِي

- خطيتهم» ١٦١
- ٤٤ - «لأنكم لستم من (هذا) العالم... لذلك يغيظكم العالم، إن كان العالم يغيظكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم» ١٦٤
- ٤٥ - «تأتي ساعة (وقد أتت الآن) فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله» ١٦٧
- ٤٦ - «قد سميتكم أحبباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» ١٧٠
- ٤٧ - «الذي يُبغضني يُبغض أبي أيضاً» ١٧٤
- ٤٨ - «إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح؛ ... ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» ١٧٧
- ٤٩ - «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم» ١٨٠
- ٥٠ - «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» ١٨٤
- ٥١ - «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» ١٨٨
- ٥٢ - «والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» ١٩٢
- ٥٣ - «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتُم أني من عند الله خرجت» ١٩٦
- ٥٤ - «أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك» ٢٠٠
- ٥٥ - «الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقيناً أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني» ٢٠٤

- ٥٦ - «كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي وأنا مُمَجِّدٌ فيهم» ٢٠٨
- ٥٧ - «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً
كما نحن» ٢١١
- ٥٨ - «أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أنا لست
من العالم» ٢١٥
- ٥٩ - «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» ٢١٩
- ٦٠ - «ولأجلهم أقُدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مُقَدَّسين في الحق» ٢٢٣
- ٦١ - «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين
يؤمنون بي بكلامهم» ٢٢٧
- ٦٢ - «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً
واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني» ٢٣٠
- ٦٣ - «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن
واحد» ٢٣٤
- ٦٤ - «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مُكَمَّلِينَ إلى واحد» ٢٣٧
- ٦٥ - «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا
مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم» ٢٤٠
- ٦٦ - «أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتُك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت
أرسلتني» ٢٤٣
- ٦٧ - «وعرّفهم اسمك وسأعرّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا
فيهم» ٢٤٧

- ٦٨ - «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم: مَنْ تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو» ٢٥٠
- ٦٩ - «اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي أعطاني الآب ألا أشرهما؟» ٢٥٣
- ٧٠ - «ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص» ٢٥٦
- ٧١ - «لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» ٢٥٩
- ٧٢ - «فاجابهم بطرس ويوحنا وقالوا: إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا. وبعدما هددهما أيضاً أطلقوهما إذ لم يجدوا البتة كيف يعاقبهما» ٢٦٢
- ٧٣ - أول تشكيل لأول خدمة اجتماعية في الكنيسة ٢٦٦
- ٧٤ - دخول الحبشة (إثيوبيا) في الإيمان المسيحي ٢٦٩
- ٧٥ - «ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى» ٢٧٢
- ٧٦ - «أطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزداد لكم» ٢٧٥
- ٧٧ - «المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله» ٢٧٩
- ٧٨ - «ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم» ٢٨٣
- ٧٩ - «قدسهم في حقك، كلامك هو حق» ٢٨٦
- ٨٠ - «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» ٢٨٨
- ٨١ - «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» ٢٩١
- ٨٢ - «كل من وُلد من الله يغلب العالم» ٢٩٤

- ٨٣ - «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق» ٢٩٧
- ٨٤ - «ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح» ٣٠٠
- ٨٥ - «وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه» ٣٠٣
- ٨٦ - «كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِدَ من الله» ٣٠٦
- ٨٧ - «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا» ٣٠٩
- ٨٨ - «أنتم من الله، أيها الأولاد، وقد غلبتموهم (الأرواح التي ضد المسيح) لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم» ٣١٢
- ٨٩ - «أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله» ٣١٥
- ٩٠ - «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِرَ نكون مثله لأننا سنراه كما هو» ٣١٨
- ٩١ - «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَتْ لنا» ٣٢١
- ٩٢ - «وأما شركتنا نحن فهمي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» ٣٢٤
- ٩٣ - «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» ٣٢٨
- ٩٤ - «لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فثبت إلى الأبد» ٣٣٢
- ٩٥ - «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أُظْهِرَ، يكون لنا ثقة ولا نخجل منه

- في مجيئه» ٣٣٥
- ٩٦ - «إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه» ٣٣٨
- ٩٧ - «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» ٣٤٢
- ٩٨ - «الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلّصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» ٣٤٥
- «على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة بالكراسة التي أوثقت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله» ٣٤٥
- «لا بأعمال في برّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبهُ بغير عِلْمٍ علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير وريثة حسب رجاء الحياة الأبدية» ٣٤٥
- ٩٩ - «فإن كنتم قد قُمْتُمْ مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ نُظْهِرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» ٣٤٩
- ١٠٠ - «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وَهَبَ لَنَا المواعيد العظمى والشمينة لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» ٣٥٣
- ١٠١ - التاريخ الروحي للإنسان ٣٥٦
- ١٠٢ - الميلاد الثاني للإنسان "التجديد" ٣٦٠

«أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت»

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٦ : ١٢

هذه الوصية قالها بولس الرسول بالروح لابنه تيموثاوس، الذي صار فيما بعد أسقف أفسس بعد يوحنا الرسول، وهي حقاً تليق بوصية رسول لابنه بالروح. وقد اخترناها، لك أيها القارئ العزيز، بروح أبوية، إذ نحن أبناء بالروح، ليس لبولس فقط، بل للمسيح نفسه له المجد.

فلو سألتني ما أعظم وصية قيلت في الإنجيل تناسب حالة الإنسان الآن وفي هذا العصر، لما ترددت أن أقول "أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دعاك الرب". ولما يدعو الرب، تكون دعوته خارجة من صميم رسالته التي جاء ليتممها للبشر. وليس غريباً عليك أن نخبرك أن المسيح استعلن للبشر بصفته الحياة الأبدية، هذا يقوله الإنجيل^١. ونحن نوضح ما عرفناه عن المسيح أنه جاء من عند

^١ ١ يو ٥ : ٢٠.

الآب ليؤهلنا بالنهاية أن ندخل الحياة الأبدية. وبولس الرسول يقول عن وعي ودراية وحق، أنه لا يحيا بل المسيح يحيا فيه، فما يحياه في الجسد يحياه بالإيمان بيسوع المسيح^٢. أي أن المسيح هو حياتنا بالإيمان. أما الطريق الذي اختطه المسيح ليصبح هو حياتنا، فهو القيامة المجيدة التي قامها بالجسد، وبذلك يكون «قد أقامنا معه»^٣، لأننا «جسد المسيح وأعضاؤه»^٤. والمسيح الآن حيٌّ مع الآب وقد جلس على عرشه في يمين الآب^٥ وأورثنا هذه الحياة مع الآب والابن، وهي هي الحياة الأبدية التي يدعوك المسيح إليها.

ودعوة الحياة الأبدية هي بالنسبة لنا إنقاذ سمائي من حياة هذا الدهر، الذي ازدادت همومه وأوهامه وتيهانه إلى أقصى حدود التيه والضلالة، حتى أصبح، بلا تهويل بل بالحق كل الحق، أن الذي يُمَاشي هذا الدهر ويلهو بملاهيته، لا نقول إنه قد ضلّ، بل يكون قد كتب بخط يديه إنه قد تغرّب نهائياً عن المسيح ودعوته، وهو يعيش حياة الموت راضياً باختياره. ولهذا الإنسان، كان من كان،

^٢ أنظر غل ٢: ٢٠.

^٣ أف ٦: ٢.

^٤ ١ كو ١٢: ٢٧.

^٥ أنظر أف ١: ٢٠ و ٦: ٢.

أتت دعوة المسيح للنجاة من موت وحرمان وهي أن «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت». والحياة الأبدية التي جاء المسيح يدعو إليها هي الإنقاذ الوحيد من حتمية موت الهلاك الذي يتربص بالإنسان، وبالتالي هي خلاص أبدي من الخطية المؤدية إلى الهلاك. فالذي يعمل الخطية راضياً يكتب على نفسه موت الهلاك، لهذا يصرخ الرسول: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت». فدعوة الحياة الأبدية ورجاؤها هي المنقذ الوحيد الذي ينتشلنا من تيار الهلاك الذي يحصد الملايين. وهنا الموت أمامك، وأمامك أيضاً الحياة، «فاختر الحياة لكي تحيا»^٦، ولا تُمُتْ بلا رجاء.

تسألني: كيف أمسك بالحياة الأبدية التي يدعو إليها المسيح؟ أقول لك باختصار أمسك بالمسيح نفسه، افهم لماذا جاء المسيح ليبشر بالحياة الأبدية؟ لأن العالم وما يَعْلَمُه العالم هو «شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة»^٧، وهو النفس بملاهي لا حصر لها. المسيح جاء ليبشر بملكوت الله والحياة الأبدية التي هي ضد الباطل وهي جحد حياة الجسد وملذاته. فبالقطع قطع المسيح

^٦ تث ١٩: ٣٠.

^٧ ١ يو ١٦: ٢.

«أنا لست من (هذا) العالم»^٨. وكما يدعونا للحياة الأبدية،
يدعونا أن نعطي ظهرنا لعالم الجسد والأهواء والشهوات، حتى
نصبح كالمسيح، أي أن نكون "لسنا من هذا العالم"^٩.

وإن تمسك بالحياة الأبدية، ندوس عالم الجسد والشهوات، إذ لا
يمكن لإنسان أن يعيش لهذا العالم وفي نفس الوقت يعيش لله
والحياة الأبدية^{١٠}. لهذا يوعِّنا يوحنا الرسول أن: «لا تحبوا (هذا)
العالم... فالعالم يمضي وشهوته»^{١١}. والأشياء التي في العالم هي
فخاخ نصبها الشيطان ليصطاد بها الجهلاء ومحبي التوافه. وقد تفنن
العالم حديثاً فجعل للخطية تاجاً يضعه الشيطان على رؤوس من
يطأطئون له الرأس. كما جعل للباطل أوسمة ونياشين يزيّن بها
صدور عبيده الذين ملّكهم الدنيا وملذاتها.

فالطريق أمامك، أيها الشاب، طريق الحياة الأبدية والملكوت
المُعَدُّ حيث رب المجد نفسه يفتح ذراعيه لك لتكون ابنه وهو
يكون محلّصك الذي يفديك من سلطان الخطية والشيطان. أما

^٨ يو ١٤: ١٧.

^٩ أنظر يو ١٦: ١٧.

^{١٠} أنظر مت ٢٤: ٦.

^{١١} ١ يو ٢: ١٥، ١٧.

طريق الموت فهو أمامك مفتوح على مصراعيه لتصير من أهل هذا العالم.

ولكن واسع ومريح جداً الطريق للجهلاء الساعين وراء شهوات الجسد، أما طريق الملكوت والحياة الأبدية فيبدو ضيقاً في عين الجسد، أما برؤيا الروح فهو طريق المجد، الطريق الملكي الذي اختطّه المسيح بنفسه ووضع له علامة هي علامة الابن، التي يعرفها الطفل التي بها يهزم كل الذين ظفر المسيح بهم على صليبه^{١٢}.

١٣ ديسمبر ٢٠٠٥

^{١٢} أنظر كو ١٥:٢.

م ٢- مع المسيح (٤)

«تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم»

إنجيل متى ١١ : ٢٨

تَوَّج المسيح تعاليمه بهذه الآية إذ جعلها منهجه الروحي الذي جاء به من السماء ليحمل همَّ الناس في العالم. لأن أبرز صفة خرج بها القديسون من هذا العالم هي هموم العالم التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى. وقد أحنت هذه الهموم ظهر الإنسان، وقصمت ظهر الذين حملهم العالم بأثقال أكثر من احتمالهم. المسيح عرف ذلك، ومن أجل ذلك جاء إلى العالم ليحمل هموم الناس ويعوِّضهم عن تعبهم براحة إلهية ترفعهم فوق مستوى أثقل هموم الإنسان. وقد اختار المسيح كرأس منهجه الفائق الرحمة «جميع المتعبين والثقيلي الأحمال»، وهم ضحايا ظلم العالم الذين غرَّهم العدو بلذة العالم وشهواته، وتركهم صرعى أوهامه بعد أن أفقدهم شبابهم وعافية صباهم.

فلما استيقظ هؤلاء المطغيُّ عليهم، وجدوا أنفسهم يثنون تحت نير هذا العالم المغرور، وقد وضع العدو مسئوليات كل أخطائهم

على رؤوسهم، وانسحب من عالمهم المخادع وتركهم أمام حقيقة الضياع والفراغ المخيف الذي يهدد مستقبلهم، يتلمسون الراحة من أقرب الناس إليهم فلا يجدونها إلاّ ساخطين يلعنون الدنيا ويطلبون الإنقاذ والراحة ولا يجدون، لأن قانون الخطية لم يُبقِ على أحد، والكل يطلب الراحة فلا يجد.

والمسيح لم يأت إلى عالم أبرار وقديسين، بل اختار الخطاة والمتعبين والمذللين تحت نير الخطية وقد أحنى الشيطان ظهورهم، وقست عليهم الدنيا بعد أن غرّتهم بكل غرورها. لهؤلاء ولكل من بات غريباً عن الراحة وقد غرّته الدنيا وأفقدته آماله الكاذبة، لهؤلاء جاء المسيح منادياً مُعلنًا عمّا أتى به من عند الآب: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم».

وليست راحة المسيح كراحة الدنيا إلى ساعة أو يوم أو شهر، بل راحة عليا تجبُّ كل أتعاب الإنسان وهمومه وأثقاله! بل وكل أحزانه وأوهامه. وهذا ليس مجاناً وبلا ثمن، وكأنه هدية عيد أو شهادة حُسن سير وسلوك، بل بالثمن الذي دفعه المسيح لهذه الراحة، وهو سفك دمه على الصليب بكل آلامه، احتمله عن جميع الخطاة والمنسحقين في هذا العالم، وقد احتمله ليس عن حزن

أو اضطرار، بل قَبْلَهُ «من أجل السرور الموضوع أمامه»^١.
تسألني أي سرور هذا الذي جعل المسيح يتألم ويُصلب؟
أجيبك، سرور المكسب الهائل الذي اكتسبه بصلبيه. فقد ربح
جميع خطاة الأرض وجميع المتعبين والثقيلي الأحمال، الذين قسى
عليهم العالم الظالم.

واكتسب بصلبيه قيامة الإنسان معه في قيامته. فبعد الصليب لا
يوجد خطية ولا موت ولا هاوية ولا شيطان، فقد سحق المسيح
على الصليب كل أعداء الإنسان. وأعظم هدية قدّمها المسيح
للإنسان بصلبيه هي المصالحة العظمى والأبدية مع الآب، فقد
ضمّن الآب إليه كبنين وأهل بيته^٢، كل من آمن بالمسيح وصلبيه
وأحب.

وفي اختصار بديع، أن الآب خلقنا من جديد في المسيح القائم
والمنتصر. فخلقة الإنسان الجديد هي خلقة أكملها المسيح
بالصليب المجيد في المسيح لحياة أبدية ووعود عظمى وأبدية.
ليس من فراغ يقول المسيح مخاطباً الإنسان ككل: «تعالوا إليَّ»

^١ عب ١٢: ٢

^٢ أنظر غل ٧: ٤ وأف ١٩: ٢

يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم»، نعم، فعند المسيح راحة أبدية. ليس استراحة جسد ولا استراحة نفس، بل استراحة في المسيح إلى كل الملاء. فالمسيح له «ملاء اللاهوت جسدياً» ونحن «مملوؤون فيه»^٣ إلى كل الملاء. وهذا الملاء الذي نناله في المسيح يضعنا في مفهوم الشركة في المسيح والآب لحياة أبدية لا نهاية لها.

فدعوة المسيح للتعابي والثقيلي الأحمال ترتفع غاية الرفع عن محيط تصوّر الإنسان. إنها نقلة سعيدة من شقاء العالم والجسد إلى النعيم الأبدي، لمسرّات تفوق التصرّ في فرح أبدي وتخليص لا يهدأ.

١٣ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ كور ٢: ١٠، ٩

«تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب،
فتجدوا راحة لنفوسكم»

إنجيل متى ١١ : ٢٩

أن يكون المسيح وديعاً فهذه سمة الابن المنحدر إلينا من عند الآب. والوداعة هي قمة البساطة في حلاوة التواضع، ومصدر الاثنين هو القلب الذي ينبض بالحب.

والمسيح قال: «أنا نور العالم»^١، فصفات المسيح تشعُّ مكوّنة حوله هالة، وهي التي وصفها سفر العبرانيين قائلاً إن المسيح بهاء مجد الله، انحدر إلينا من عند الآب حاملاً صورة جوهره^٢، نراها إذا رُفِعَ عن العين البشرية غمامة الخطية وصحَّ النظر بالروح لاستعلان ما لا يُرى.

ولكن المسيح إذا أحب، وهب الإنسان كل سرّه المخفي وراء الجسد، كما رآه بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل التجلي، فحتى

^١ يو ٩: ٥.

^٢ أنظر عب ١: ٣.

ثيابه كانت تشعُّ ببهاء نوره. وقد قال، وما أجمل ما قال، «الذي يحبني... أنا أحبه وأُظهر له ذاتي»^٣، وكلمة «أُظهر له ذاتي» هي صميم معنى "أُستعلن له ذاتي". واستعلان ذات المسيح هو كشف أسرار وجوده الأزلي وأعماق حبه التي وضحت في الصليب، كما حدث لبولس الذي ظلَّ يفتخر طول حياته بأنه رأى المسيح: «أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا»^٤. وماذا كانت هذه الرؤيا إلاَّ الإطلاع على وداعة حبه وتواضع قلبه.

والمسيح لما يقول «تعلموا مني»، فهو يقوله باستعداد لعطاء ذاته التي وهبها لكل من آمن به وأحبه. أليس هذا هو نفس ما قاله بولس الرسول: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»^٥؟ لقد حلَّ المسيح في بولس، فاحتلَّه وملأ عليه حياته وحبه. فكلمة «تعلموا مني» هي خذوني وافرحوا بي، فالمسيح لما تجسد أصبح ملكاً لكل من آمن به وأحبه.

وقد جعل المسيح نفسه ملكاً لكل من حلَّ فيه، وهكذا بلغ الذين آمنوا بالمسيح وأحبوه إلى حقيقة وداعته وتواضع قلبه، المحسوبة أنها

^٣ يو ١٤: ٢١.

^٤ ١ كو ٩: ١.

^٥ غل ٢: ٢٠.

كارت الدخول إلى حياته الأبدية ومُلِكهُ السعيد. لذلك هو يطلب بإلحاح أن تتعلّم منه. وعِلْمُ معرفة وداعة المسيح وتواضع قلبه هو كنز الحياة الأبدية، يهبه المسيح لكل من جلس إليه متعلّماً كل يوم. ويقول الكتاب إن المسيح فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة^٦. فهو بحدّ ذاته كتاب الحياة الأبدية القابل للأخذ والأكل. وهذا هو سرُّ قول المسيح: «من يأكلني فهو يحيا بي»^٧، فهو مأكّل الحب الحق، والوداعة البالغة لعمق تواضع القلب، وإلاّ فما معنى «من يأكلني فهو يحيا بي»؟ وهكذا يكشف المسيح سرُّ أكل الجسد أنه سرُّ الحياة في أكمل وداعتها وأعمق اتضاعها. وهذا هو أيضاً سرُّ قول بولس الرسول إن «المسيح يحيا في». فعلى أية صورة يحيا المسيح في بولس الرسول إلاّ صورة وداعته الحيّة المأكولة واتضاع قلبه الذي يحرك بضرباته نغم التواضع الجميل الذي تهتزُّ له كل القلوب. فتواضع قلب المسيح يُخضع كافة القلوب التي تحيا له وهو يحيا فيها.

فقول المسيح «تعلّموا مني» هو إنجيل الإنسان الجديد، يأكل منه ويشرب حياة الوداعة الغالبة لتعاطم العالم، وتواضع القلب الغالب

^٦ أنظر كو ٣: ٢.

^٧ يو ٦: ٥٧.

لارتفاع الكبرياء الكاذب.

وإنسان العالم يحمل فوق ظهره أتعابه ونكده، ولا مناص من الخروج من تحت هذه العبودية المميتة إلا بالتعرُّف على سرِّ حياة المسيح الذي يقول «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب». هذا هو ترياق الحرية والراحة الأبدية السعيدة، وهو يؤكد ذلك بقوله: «فتجدوا راحة لنفوسكم». هذه هي الراحة العليا الغالبة لكل أتعاب هذا العالم. نعم، هذا هو سرُّ المسيح الذي يقول «من يأكلني فهو يحيا بي». نعم، ففي المسيح سرُّ الراحة العليا.

١٣ ديسمبر ٢٠٠٥

«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك،
وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم»

إنجيل متى ٥ : ٤٤

عَلَّمَ المسيحية الخفاق، ودرّة الإنجيل، وسلاح المؤمن، ومراحل
الطريق الضيق المؤدي إلى الحياة الأبدية. أوّلُه حب، وخاتمته صلاة.
وقفة شامخة أمام العداوة، إحناء الرأس للبغضة، بركة منسكبة على
رؤوس اللاعنين، وصلاة صادقة من القلب أمام الإساءة.
هذه هي الأربعة الأعمدة التي تحمل إنجيل المسيحيين، والأربعة
الأركان لبناء كاتيدرا الخلاص.

الركن الأول: «أحبوا أعداءكم»:

نوع هذه المحبة لا يدركه العالم، ويجحده كل من هو ليس
مسيحياً. فالعدو يصبُّ غضبه ونقمته على المسيحي، والمسيحي
يصبُّ محبته على رأس العدو. يخرج العدو من المعركة راجحاً العالم،
ويخرج المسيحي من معركة العداوة مجروحاً مُعرّئ ممزق الثياب.
ويخرج العدو راجحاً المعركة وعلى صدره وسام العالم الذي لا

يوضع إلا على صدور من يدوس الصليب ويلعن حامله.
هو يلعن وأنت تحب، والعالم يصفق للأول ويغضُّ النظر عن
الثاني. هو يأخذ ما ليس له، وأنت تخسر ما لك. وفي النهاية لا
يوجد الأول ويتجلى الثاني. الأول يفرح به الشيطان، والثاني تهمل
له الملائكة.

الركن الثاني: «باركوا لا عنيكم»:

هو يلعن وأنت تبارك، هو يلعن بلا سبب وأنت تبارك لأنه
يلعنك، فاللعنة تثير عند الإنسان المسيحي ذكريات المصلوب بلا
سبب. هو يتمادى في اللعنة ليرتاح قلبه، وأنت تتمادى في البركة
لترتاح على صدر المسيح. الذين لعنوا المسيح صلبوه، لأن الصלב
هو ثمرة اللعنة، والبركة ثمرة المصلوب، يرثها الذين عرّضوا أنفسهم
للصلب. اللعنة والصلب صديقان لا يفترقان، فالصليب ابن اللعنة،
والبركة بنت المعلق على الصليب باعتباره ملعوناً. الذين يلعنون لا
يرتاحون إلا في دقّ المسامير، والملعون لا يرتاح إلا إذا دُقَّت يداه
ورجلاه وضُرب جنبه بالحربة بشبه المسيح.

ومصير اللاعن تصفيق الناس، أما مصير الذي لعن فميراث
المصلوب ونوال بركة الصليب في السماء.

الركن الثالث: «أحسنوا إلى مبغضيك»:

البغضة غريبة عن مشاعر المسيحي، فالبغضة تشعلها نار جهنم، وجهنم أطفالها المسيح على الصليب فخرجت من دائرة المسيحي. أما الحسنة والحسن والإحسان، فهي مرادفات تأخذ جذورها من المحبة، والمحبة فيض من الصليب، والصليب تعبير عن محبة صَلَّبت ذاتها حباً في الذين أحببتهم كَفِدْيَةً للنجاة من خطية وموت ودينونة عتيدة.

فإزاء بغضة العدو، تفتح الحسنة صدرها للصلب لتطفئ غضب المبغض الذي لا يعرف الرحمة، فهو يغضب لوجه الله بلا سبب. فالبغضة تسكن قلب المبغض ولا ترتاح فيه إلا إذا رأت الدم ينسكب من وجه المحسن إليها، والدم وحده غاية المبغض بلا سبب. فإذا سأل المحسن الذي يغضب عليه: لماذا تبغضني، فردّه يكون ليرتاح قلبي، فالبغضب راحة لقلب الباغض بلا سبب. وإذا سأل الباغض المحسن، لماذا تحسن إليّ وأنا أهتُك وضربتُك، يرد المحسن لأني أحبك بلا سبب، كما أحبني المسيح وصلب ذاته من أجلي ومن أجل من أساء إليه.

فالبغضة ميراث أبوي عند الغريب عن الصليب، والإحسان

ميراث إلهي موروث من الذي صليوه بلا سبب.

الركن الرابع: «صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم
ويطردونكم»:

الإساءة طبيعة مبغضي الصليب والمصلوب، والصلاة هي لطلب
الرحمة والصفح للمسيء وللذين يطاردون. هم يسيئون ويطردون،
ونحن نصلي ونرفع نظرنا وقلوبنا وأيدينا إلى فوق، حتى لا يقيم
عليهم المسيح دينونة في زمان الدينونة.

١٣ ديسمبر ٢٠٠٥

«من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً»

إنجيل متى ٥ : ٣٩

معيّار ناموس المسيح في مقابل معيار العهد القديم، «عينٌ بعين
وسنٌ بسن»^١.

وهذه الآية هي فخر المسيحية التي ترفعها فوق أي ديانة أخرى
أو مكيال اجتماعي آخر، مهما علت قدرته. فالضرب على الخد
هو أخطأ مقياس للانتقام أو التعيير. والمسيحية تقدّم هذه الآية
لتكون أعظم معيار للصفح وعدم الانفعال، لأن اللطم على الخد
هو بادرة النزاع الذي يتحوّل إلى عراك بالأيدي وسباب بالفم،
الذي قد ينتهي بسفك دم.

والذي عوض الرد بالنقمة يردّ على الضارب بأن يقدّم له الخد
الآخر، يُحدث إنهاءً فورياً للنزاع، ويُبدي اعترافاً ضمناً بالهزيمة
إنما برأس مرفوعة، ويقدم آية السلام التي توقف تيار النزاع

^١ لا ٢٤: ٢٠.

والغضب.

والذي يستطيع أن يحسم الموقف الغاضب بتقديم خدّه الآخر للطم، هو إنسان يقدّم الحكمة عوض الانفعال، ويرفع النزاع إلى تهديد للمصالحة عوض التمادي في الشر. ولو تعمّق القارئ في هذا الأسلوب المسيحي الاجتماعي الفاخر، لوجد أنه إحباط لكل نوازع الشر وللإستعداد للعراك وحتى الحرب.

وإن كانت كل معركة هكذا تنتهي، لتوقّف نزيف الدم بين الأفراد والشعوب والأجناس. وبكثير من التأمل نجد أن أعظم حالات العراك والحرب تنتهي في آخر المطاف بالمصالحة، أو دفع الغرامة أو خسارة كبيرة للمظلوم والضعيف. فلو تمّت المصالحة في البداية بتقديم المغلوب كافة الوسائل لإرضاء ثورة المفترى، لتوقّفت حروب كثيرة.

فحقيقة الحكمة المسيحية القائمة على تقديم الخد الآخر تُعوّز العالم كله، كما تعوّز كل فرد، فهي الحلّ الأمثل لكل عراك. وخسارة الخد الآخر، إن بدت كأنها انهزام، تُعني عن خسارة معركة يسيل فيها الدم. ومهما كانت ثورة المنتقم البادئ بالإساءة، فإنها تقف حائرة شبه مهزومة أمام الضعيف الذي يقدّم

الخد الآخر.

وكون هذه هي وصية الرب والمخلص، فقد أصبح ثقلها الديني كبيراً، أكبر مما يتأتى منها إنسانياً، فالمضروب يُحسَب منتصراً مهما كان موقف المتماذي في الخصومة. فالذي يُرضي الرب بأعماله، محسوب أنه قد بلغ مستوى رضا الله، مهما كانت نتيجة العراك.

وواضح أن الرب وضع هذه الوصية لينهي بها الخلاف الذي يحدث بين الناس خُلُوعاً من مجد أو خسارة، حيث يصبح الرب هو صاحب النتيجة.

وطبعاً إذا تأملنا في هذه الوصية، وما عمله الرب على الصليب، يتّضح أن الرب من خلال ضرب الخد الآخر، بل والإهانات التي بلغت حد الموت، ربح قضية الإنسان، وغلب العدو وكل تدابيره والإهانات الفائقة الحد. فصار الصليب، وهو قضية الخد الآخر تماماً، أعظم ربح حصّله المسيح وكل من آمن به وبصليبه. ومن الصليب وتصرّف المسيح الصامت تجاه كل العذاب والآلام، أثبت المسيح أن صاحب لكمة الخد الأيمن هو في الحقيقة الشيطان، وأما إدارة الخد الآخر فكانت لكمةً على الشيطان، إذ ظفر المسيح به

وبكل أعوانه على الصليب^٢.
وهكذا أصبحت إدارة الخد الآخر رداً على لكمة الخد الأيمن،
بمثابة الظفر بالعدو، ذلك بحساب الصليب.

١٤ ديسمبر ٢٠٠٥

^٢ أنظر كو ١٥:٢.

م ٣- مع المسيح (٤)

اللؤلؤة الكثيرة الثمن

«فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها»

إنجيل متى ١٣ : ٤٦

هذا المثل قاله الرب عن هذا التاجر الحكيم، الذي باع كل ما كان له واشترى هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن. فهل تعرف يا صديقي ما هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن؟ هي المسيح! فهو الوحيد الذي يستحق أن نبيع كل ما لنا ونحصل عليه، لأنه هو الحياة الأبدية في ذاته. فما رأيك في هذه الصفقة، أهى رابحة؟ بحسب العالم ومحبي هذا العالم هي ليست رابحة، فهل يضيع الإنسان كل ما له من أجل شيء لا يعرفه؟

وعلينا هنا أن نوضح للقارئ أولاً من هو المسيح؟ فالمسيح هو الحياة الأبدية التي سننطلق إليها بعد أن نُكَمِّلَ عمرنا في هذه الحياة التي على الأرض. فبدون المسيح الذي هو اللؤلؤة الكثيرة الثمن، نكون خسرنا الحياة الكبرى الأبدية في ملكوت الله السعيد.

والحقيقة المختفية عن كثيرين، أن بدون المسيح لن يكون لنا حياة بعد الموت^١، فسندفن دفن حمار، مهما زِينُوا قبرنا من الخارج، فمن الداخل تبقى جثة لا رجاء لها، تظل يأكلها الدود حتى تفنى وتصبح تراباً إلى أن تلقى مصيرها المحتوم في الدينونة الأبدية.

أما اللؤلؤة الحسنة الكثيرة الثمن إذا اقتنيناها، أي فُرنا بالإيمان المسيحي الذي هو أعظم من كل لآلئ العالم، فبعد دفن القبر تبدأ حياتنا الأبدية في الحال، هل تصدِّق هذا؟ وهذه الحياة الأبدية، التي هي المسيح نفسه، هي شركتنا في مجد الآب والابن في ملكوت الله السعيد الذي لا نهاية له. فما رأيك لو كان ثمن هذه الحياة الأبدية، أي المسيح نفسه في الحقيقة الحقيقية، ونقول الصدق أمام الله، إن هذا الثمن هو: مجاناً مجاناً مجاناً. اطلبها الآن، ونقول الآن لأننا لا نعرف إن كنا سنموت غداً أو بعد غد. اطلبها الآن بأن تركع في مخدعك وتطلب المسيح لكي يقبلك كابن له، وهكذا تكون صاحب الحياة الأبدية. وهو يتولَّى مسحك بمسحته السرية ويقدسك لنفسه، ويبارك أيامك ولياليك، ويسعدك بسعادته

^١ أنظر يو ٢٥: ١١.

ويفرّح قلبك، ويختتمك بخاتمه السري فلا يقوى عليك العدو بعد وإلى الأبد. والمسيح الذي سيملاً قلبك وحياتك، سيتولى بنفسه إرشادك إلى ما يجب أن تعمل وإلى ما لا يجب أن تعمل، ولن تحمل همّ نفسك بعد بل هو الذي سيحمل همّك، ويرفع روحك فوق كل مغريات العالم التي تحرم الإنسان من نصيبه الأبدي.

فاستمع إليّ يا صديقي، فأنا أخوك بالروح، وأطلب الخير والسعادة والبركة والقداسة لك في المسيح يسوع.

وأتمنى أن تأخذ كل كلمة، بل كل حرف أكتبه لك، علي أنه بدافع الروح القدس، لأن ما أجمل الإخوة إذا اجتمعوا معاً فوق، وتحققوا من كل وعد المسيح، وعاشوا في حالة عشق حقيقي كإخوة وكأبناء للمسيح، الذي سيضمنا معاً إلى مجده السمائي الأبدي لنحيا معه ومع الآب السماوي كل حياتنا الأبدية الموعود بها.

١٥ ديسمبر ٢٠٠٥

أصحاب الميل الثاني

يقال عن المسيحيين الحقيقيين أنهم أصحاب الميل الثاني، فما هو الميل الثاني؟ نجد الرد في وصية الرب والمخلص: «مَنْ سَخَّرَكَ ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين»^١. والسُّخْرَة هي ألْعَن ما في حياة الإنسان في كل بلاد العالم، تلجأ إليها الحكومات لإنجاز مهام صعبة جداً تحتاج إلى يد عاملة كثيرة، كشق الطرق وعمل السدود، وحفر الأنفاق وإقامة القنصوات، كقناة السويس في بورسعيد التي أقامها إسماعيل باشا والي مصر المشهور بأنه صاحب قناة السويس، وكان يفتخر بهذا الإنجاز الحيوي الذي سَخَّرَ فيه عدة آلاف من العمال الفلاحين بدون أجر. أو كما يقولون إنه كان يوزع بصلاً على العمال وعليهم عمل العيش، لمدة استغرقت عدة سنوات. ويقال أيضاً إن جميع مشروعاته الكبرى كان يُسَخَّر فيها المصريين.

وكانت هذه المصيبة الكبرى موروثاً عن قدماء المصريين، إذ

^١ مت ٤١:٥.

يقال إن الأهرامات أُقيمت بالسُّخرة منذ آلاف السنين، وكان الفرعون يوزّع بصلاً فقط على العمال. بل يُسجّل التاريخ القديم أن كل أعمال الفراعنة كانت تقوم على مصيبة السُّخرة. وقيل إن اليهود الذين تكاثروا في مصر كانوا يعملون في السُّخرة، ولما تذرّوا فرض الفرعون عليهم أنه مع ضرب الطوب عليهم أن يجمعوا له التبن أيضاً حتى قصمت ظهورهم^٢.

وافتخرت مصر بالأهرامات ونسي المؤرخون أنها شُيّدت بالسُّخرة. فالسُّخرة كانت ولا زالت لعنة الحكام والملوك ونصيب الفقراء، فكان التذرُّر على السُّخرة ميراث الشعوب المستضعفة. وأكثر البلاد التي عانت من السُّخرة هي بلاد الشرق. إلى هؤلاء أعطى المسيح وصيته حتى يخلق في الإنسان المتذرِّر روح الرضا والشكر، طالما كانت أوامر السُّخرة تنفَّذ بالإكراه وتُقابل بالتذرُّر الذي ينكِّد عليهم حياتهم. قال المسيح «من سخَّرَكَ ميلاً واحداً فسرِّ معه اثنين»، حتى يرفع من قلوب الشعب روح التذرُّر، فيقبَلوا على الحياة بالرضا والشكر على كل حال وفي كل حال، ويُرغم المتولِّين من أسياذ وحكام على نبذ القسوة وضرب السياط.

^٢ أنظر خر ١: ١٤، ١٣: ٥ و ٦-٩.

وحقيقة الميل الثاني عند المسيح هي خلق الرضا والشكر عند المسيحيين، طالما كانت نوعية هذه الحياة مفروضة عليهم وليسوا أحراراً يعيشون كما يريدون. وأكثر الشعوب التي عانت من السُّخرة هي روسيا تحت وطأة الشيوعية، التي سلبت من الناس آدميتهم وعوملوا كالحوانات، تلتها أمريكا بتاريخها القديم التي كانت تشحن العبيد من أفريقيا في المراكب الكبيرة، وكان الأمريكان يستعبدون آدميتهم. وقد حررت العبيد أخيراً فصار عندهم أمريكيان سود ولكن ظلَّ شعورهم بالظلم يحيا فيهم.

لذلك كانت وصية المسيح هي وصية الساعة، لأن العالم لم يكن قد تمخَّض بالحرية التي جاءت إثر ثورات قام بها رؤساء وأشخاص ذوو قوة وسلطان، أجبرت الملوك والحكام على قبول الحرية على مضض ضُحِّيَ فيها بأجيال برمتها.

والمسيح، وهو عالم بأن السخرة مفروضة بسلطان وقوة غاشمة، جاء في صف المسخرين ليعطيهم في بلواهم روح الرضا والشكر، على أساس أن من تم وصية المسيح بأن «من سخَّرَ ميلاً واحداً فسرَّ معه اثنين» يكون قد استحق أجرته بالكامل في الحياة الأبدية، التي ستضم كل المظلومين والمهانين والمحرومين وفاقدي حريتهم، والمستعبدين تحت ظلم الرؤساء والولاة والأسياذ القساة، إن هم

قبلوا السُّخرة، ليس إلى ميل واحد بل إلى اثنين، حيث تكون
سخرة الميل الثاني على حساب المسيح في السماء.

١٥ ديسمبر ٢٠٠٥



حتى إلى التعرّي

«من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً»

إنجيل متى ٥ : ٤٠

يقال إن أحد القديسين الكاثوليك، تعرّف على الرب وأحبه حباً فائقاً عن الحدّ. وكان والده بائع أرجوان، أي أفخر أنواع القماش. فلما أراد أن يترك أباه ويعيش عيشة التقشف في رهبانية حددها لنفسه، خاصمه أبوه. ولكن الأسقف الذي كان يتبعه، كان هو الحكم. فاستدعى والد فرنسيس الأسيزي بحضور ابنه فرنسيس، فلما احتدّ عليه أبوه بألفاظ جافة، معيراً ابنه بأن ثوبه الذي عليه هو ملكه، فما كان من فرنسيس إلا أن خلع له الثوب والرداء أيضاً، وتمادى وخلع له الفانلة والكلسون أيضاً ووقف عرياناً تماماً، وأعطاهما كلها ليدأبيه صاحب الخصومة. فما كان من هذا الأسقف النبيل إلا أن خلع رداءه الأحمر الأسقفى وألبسه لفرنسيس. وكان هذا الرد من فرنسيس لأبيه، بأن خلع كل لبسه الذي كان طبعاً من صرف أيه. وهكذا تحرر فرنسيس من اللبس والأبوة، ووقف عرياناً في الدنيا. وقد كان

المسيح ينظر من السماء، فوهب فرنسيس مسحة مقدسة عجيبة جعلته شديد الحب لجميع الناس، فما كان يتحاشى البرص بل يُجلِسُهُم معه ويؤاكلهم، وحتى الوحوش سالمته، فسار ذئب "جويو" (المدينة التي سكن فيها فرنسيس)، الذي كان قد أرعب كل البلاد، سار وراءه وكان يأكل من يديه.

استشهدنا بهذه القصة التاريخية لكي نعطي لقلب السامع مثلاً حياً لقول المسيح له المجد أن «من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك (حتى ولو كان أباك) فاخلع له الرداء أيضاً»، لأن هذا إعلانٌ ساخرٌ من الدنيا وأرجوانها، وحتى من الأبوة المتعنتة ضد المسيح، وحتى إلى العُرْيِ يا دنيا... . كان فرنسيس من أشهر قديسي الكاثوليك إخواننا، الذي ألهم العالم بحبه، وتبعه كل من باع الدنيا وأسَّسوا جماعة عاشت في إيطاليا، وزار مصر وذهب وبشَّر والي مصر المسلم فأحبه وحيَّاه ولم يصرفه فارغاً.

ويُحكى أيضاً عن قديس مصري قبطي، عاش في العصور الأولى، هذا نزل إلى سوق المدينة كالعادة لبيع عمل يديه، واشترى أيضاً "زعبوط"، أي ثوب صوف ثمين. ودفع ثمنه ديناراً واحداً، وأخذه ووضعته تحته، واستمر يبيع عمل يديه حتى يتمم عدد الدراهم الباقية من ثمن الثوب، ثم بعد السداد يلبسه. وكان

جالساً على ثوبه الجديد الزعبوط المطوي حتى رزقه الله بلصاً
يسحب الزعبوط من تحت مقعده، فما كان من قديسنا العجيب
دارس الإنجيل إلا أن ارتفع في قرفسته حتى يُسهّل للسارق سحب
الثوب من تحت مقعده.

هي قصة عجيبة ومذهلة عن قديسين نصف عراة، يُسهّلون
برضى المسيح أن يُسلّبوا بحريتهم. وسفر العبرانيين يحكي عن
المسيحيين في العصر الأول، الذين كان اضطهاد اليهود لهم على
أشدّ ما يمكن، أن يخاطبهم: أنتم الذين «قَبَلْتُمْ سلب أموالكم
بفرح عالمين في أنفسكم أن لكم مالا أفضل في السموات
وباقياً»^١.

إذن ليس من فراغ أيها الأصدقاء أبناء القديسين، أن نقول لكم
اقبلوا سلب أموالكم بفرح، لأن لكم في السموات مالا لا ينتهي
مع حب مذهب من الآب والابن، فرحنا الأخير ورداؤنا السماوي
الذي لن يبلَى ولا يُسرق، مع دفء إلهي يعوّضنا عن عري الدنيا،
التي ندخلها عراة ونخرج منها عراة.

١٧ ديسمبر ٢٠٠٥

^١ عب ١٠: ٣٤.

«وتكونون مُبَغِّضِينَ من الجميع من أجل اسمي»

إنجيل متى ١٠ : ٢٢

من أحب المسيح أبغضه العالم، عالم إنسان الخطية. لأن الإنسان إن أحب العالم لا يستطيع أن لا يخطئ، لأن سيد العالم ظالم وقَتَال للناس منذ البدء^١، وهو يسود على عقول الناس. أما المسيح والمحِب للمسيح، فهو المقابل، وله السيادة على الخطية ويسود على قلوب الناس لا عقولهم. لذلك أصبح المسيح قائماً في مركز قلوب الناس يسود عليها بالحب. والصليب قائمٌ شاهداً على محبة المسيح للخطاة والضعفاء والمستضعفين.

ولكن الذين ليسوا للمسيح والمنحازون لعالم الخطية، هم مركز بغضة لا ترحم ولا تتهادن من نحو أي من تسمَّى مسيحيًا، لأن المسيحي هو حامل للمسيح في قلبه وحياته. فمجرد اسم المسيحي يثير حالة تبكيت عنيف لضمير غير المسيحي، وهو يعبرُ بحراً عن

^١ أنظر يو ٨ : ٤٤.

حالة تبكيت ضميره بالبغضة العنيفة لكل من تسمى باسم المسيح. ولا يرتاح ضميره إلا إذا آذاه أو قتله بدافع الشيطان قتال الناس منذ البدء.

ويقول المسيح وهو عالمٌ بذلك إن بُغضة الجميع هي من أجل اسمه، لأن اسم المسيح يُحمَلُ عقول غير المسيحيين الإحساس بدينونة لا ترحم يوم استعلان الحق الإلهي.

والبغضة تسكن فكر مثل هذا الإنسان، ويجد فيها شخصيته وقوته ونصرته، بل وافتخاره، لأن العالم يميّزه وسلطان العالم يُعطى له ويزاد بقدر علو شأن أعماله التي يقوم عليها أركان العالم، وهو المميّز في المراكز العليا من الحكم والعلم والتجارة، وأُعطى حق التسلط في السياسة والبرلمان حيث يُعطى الأغلبية العظمى الساحقة. وباختصار، تنزوي الأقلية المسيحية في كل شئون إدارة عجلة الحكم والسياسة والوظائف المرموقة.

ولكن الإبداع في موقف الأقلية المسحوقة أنها لا تُحسُّ بأي ظلم أو تئن تحت ثقل التمييز وربما الاضطهاد، وتقابل المحقرة بسرور وبغير رياء، شاكرة دائماً على ما يصيبها.

لأن روح المسيحية سبقت وصرّحت بكل وضوح وشفافية من

فم المسيح أن المسحيين «ليسوا من (هذا) العالم»^٢، ولا يسعون أن يكونوا شيئاً من العالم. وأعطى المسيح وصيته الأساسية التي يحيا عليها المسيحي، على أساس تجنّب أي مصادمة أو إحساس بالاضطهاد أو التذمّر أو صغر النفس، بالقول الملكي الإلهي المسنود بتحمّل المسيح نفسه قضية الإنسان في العالم. لذلك أمر أن «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»^٣. وكان هذا بمثابة إعطاء المسيحي، على أي حال، روح الشكر في كل حال وعلى كل حال، إضافة إلى وجوب الصفح، بل والدعاء والصلاة من قلب شكور لكل من أساء إليه، حتى وإن كان إلى المطاردة. ولكن ما معنى ذلك؟ معناه أن يبقى المسيحي عائشاً راضياً شاكراً على كل ما يأتي عليه، باعتبار أن العالم كله برؤسائه وعظمائه وقياداته القاسية والظالمة سينتهي إلى لا شيء، وفي المقابل يجازي المسيحي في الحياة الأخرى بالتعويض الفائق العقل، إذ تُحسب كل آلامه وضيقاته، ومرارة الحياة والظلم والتعدّي والملاحقة، أنها واقعة على المسيح، من أصغر اضطهاد إلى أعظم اضطهاد يؤدي إلى الأذية

^٢ يو ١٧: ١٤.

^٣ مت ٥: ٤٤.

والموت. هذه كلها سبق المسيح وأن اكتسبها لنفسه، ووُضِعَتْ عليه جميعها بطلب من الآب السماوي، حتى يؤهِّل المسيحي في المسيح لبنوة الله وميراث كل ميراث الابن في السموات، بل وشركة في مجد المسيح والآب.

فأصبح من واجب المسيحي وكل المسيحيين أن يكونوا جميعاً إيجابيين، فلا ينحازوا قط إلى التذمُّر ولا المطالبة بالحقوق الدنيوية جميعها، ولا يُسمح للكنيسة أن تدخل في السياسة على وجه الإطلاق، أو تشكو أو تُشعر العالم كله أنها مضطهدة أو مظلومة، وإلاَّ يتبرأ منها المسيح ويحسبها من العالم، وتحلُّ عليها الدينونة الأخيرة.

فالمسيح وضع ذاته ضد العالم، وخضع تحت سلطان قيصر، وأصبح من صلوات الكنيسة الرسمية أن تصلي من أجل الوالي وكل أعماله، وتُعلم أولادها أن يدعوا «ما لقيصر لقيصر وما لله لله»؛ بفاصل واضح من قلبٍ واعٍ وشاكرٍ.

١٨ ديسمبر ٢٠٠٥

الابتزاز

تقول الآية: «من أخذ الذي لك فلا تطالبه»^١. وصية ذات عمق نفساني هائل، لأن الإنسان عموماً لا يحتمل أن يبتزّه أحد، لأن روح الملكية الدنياوية متأصلة في الإنسان، إلى درجة أن الإنسان يعتبر ما له من أموال ومقتنيات كأنها جزء من جسده، لا يحتمل ولا يطيق أن يبتزّه أحد، سواء كانت أموالاً أو أرضاً أو أية أملاك أخرى. لأن روح العالم يسيطر على الذين يعيشون من أجل أنفسهم، فالذي يتعدّى عليه ويأخذ ما له يكون كمن يسلبه نفسه. ففي الحال يعترض ويقاوم ويشتكى بعنف إلى المسؤولين، وقيم المحامين ويقدم الشهود مُطالباً بحقه. وهذا حق مدني قانوني، ولكن الإنسان يكون قد سلك سلوك أهل العالم، الذي يقوم على العراك والمصادمة والمطالبة بالحقوق، مهما كان فيها من عداء واستعداد وتكوين البغضة التي لا تهدأ عند المتعدّي. فإذا استرداده لحقه بواسطة القضاء يكتسب عداوةً وتعدّياً ينتهي بالإيذاء والموت إن كان الخصم ذا حيثة. هذا الطريق حق مكتسب للذين أخذوا

^١ لوقا ١١: ٣٠.

العالم وحقوقه الوهمية مأخذ أهل العالم.

ولكن المعروف والمؤكد والمأخوذ علينا، أن مسيحنًا مات على الصليب بعد عذاب وتعذيب وضرب، إلى أن مات على الصليب دون أن يدافع عن نفسه ولا بكلمة واحدة. لم يحتج ولم يفتح فمه أمام الذي يحاكمه. لم يطلب حقه، ولا استعفى أمام ضاربيه والذين بصقوا عليه، والذين ضربوه بالسياط ٣٩ جلدة على ظهره العاري، والذين حمّلوه الصليب فوق تحتة، ودقوا المسامير في يديه ورجليه فلم يتذمّر ولا هدد بل احتمل حتى الموت^٢. بعد ذلك أعطى وصيته: ”من أراد أن يتبعني ويصير مسيحياً، فليحمل صليبه وما يأتي عليه حتى الموت. هذا أنا أقيمه في اليوم الأخير ليملك معي ملك السماء“.

فمعنى هذا، أن المسيحي ليس من هذا العالم كسيده يسوع المسيح، لأنه له إرثاً في السموات كشريك مجد وحياة أبدية في الملك السعيد. فالمسيحي عليه أن يختار بين حقوقه في هذا العالم كإنسان مدني حرّ له أن يدافع عن حقه ويطالب بحقوقه، أو يختار طريق المسيح الذي خلّصه من خطاياه وفداه من موت حتمي، وأخذ على نفسه أنه سيحفظه ويرعاه ويقوده إلى الخلاص والحياة

^٢ أنظر إش ٥٣، مز ٢٢.

الأبدية، «من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة»^٣.

ويقول بولس الرسول، الذي كان فريسياً ابن فريسي، وعَلَمًا من أعلام اليهود، بعد أن تنصَّر وصار مسيحياً، يقول: «ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرتُ كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجدَ فيه»^٤.

وبولس الرسول يخاطب اليهود الذين آمنوا بالمسيح ودخلوا تحت اضطهاد مريع: أنتم الذين «قَبِلْتُمْ سلب أموالكم بفرح»^٥. نعم، فالمسيحي الحقيقي يكون قد خسر العالم ليكسب المسيح ويوجد فيه ويُحسَب له. وهو هنا سُعِيرٌ بمسيحه وباسمه، ولكنه هناك في اليوم الأخير سيلبس إكليل الخلاص والبر الأبدي ويصير شريك المسيح في مجده وميراثه.

١٨ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ يو ٢٤:٥.

^٤ في ٣: ٧-٩.

^٥ عب ١٠: ٣٤.

المديح والصيت الحسن

يقول المسيح: «ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً، لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة»^١.

آفة العصر كثرة مديح الرؤساء والمتولين علينا والذين نرجو منهم شيئاً. فصار المديح والإطراء والصيت الحسن داء المجتمع، الذي يداهن فيه المرؤوس رئيسه بأن يكيل له المديح بأجمل الألفاظ والعبارات الكاذبة، لأنها ليست نابعة من القلب. حتى أصبح المديح والمداهنة عملة حكومية تملأ الرئيس إحساساً كاذباً بالعظمة، لدرجة أنه إذا لم يُقدَّم للرؤساء أكثر مما يليق من التعظيم والتفخيم يُعَضُّ الطرف عن السائل. والمصيبة العظمى أن سرى هذا الداء الاجتماعي في الكنيسة، فالبابا والمطران والأسقف يعيش على هذا المديح والمداهنة في أرخص معناها، فأقلُّها سيدي وسيدنا، وأكثرها صاحب القداسة والخبر الأعظم ومولانا والمكرم وصاحب الغبطة، وهذه وكلها وغيرها من أهم ما يقال حتى يرضي قلب الرئيس الديني أي من كان. وأيُّ تقليل من هذه الأوصاف مصيره الرفض والاحتقار، وضياح الحقوق وانسداد الآذان، حتى أصبح

^١ لو ٦: ٢٦.

هذا التكريم والتفخيم حقاً من حقوق رجل الدين لا يتنازل عنه.

ولكن من أشد الانحراف في هذا التقليد هو احتساب رجال الدين كرامتهم من كرامة الله، والذي يخطئ في حقهم فكأنه ارتكب جريمة لا تُغتفر في حق الله نفسه. وهذا التقليد خارج عن حدود الإيمان المسيحي الذي ينص على أن من أراد أن يكون أولاً فليحسب أخيراً، وأكبركم أصغركم^٢. وأمسك المسيح بطفل وقال: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات»^٣. وأردف المسيح قائلاً عن نفسه وهو الإله ابن الإله: «ما جئت لأخدم بل لأخدم»^٤. وأعطى العالم كله درساً لن يُمحى بتقديم نفسه على الصليب حاملاً خطايا كل الناس «في جسده على الخشبة»^٥. ولما تقدّم إنسان إليه قائلاً: «أيها المعلم الصالح»^٦ رفض المسيح هذا اللقب ورد على الإنسان: «ليس أحد صالحاً إلا الله».

فالإنسان المسيحي قيمته العظمى في اتضاعه ورفض أي مديح أو

^٢ أنظر مت ٢٠: ٢٦، ٢٧.

^٣ مت ١٨: ٣.

^٤ أنظر مت ٢٠: ٢٨.

^٥ ١ بط ٢: ٢٤.

^٦ مت ٢٤: ١٠.

تكريم، معتبراً ذلك إساءة لنفسه وللمسيح الذي يؤمن به، حتى أن كبرياء الإنسان الذي يُمتدح يجعله غريباً عن المسيح الذي قال: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات»^٧، و«طوبى لكم إذا أبغضكم الناس، وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشريير من أجل ابن الإنسان».

فمن ذا الذي يحسب نفسه أهلاً أن تُمتدح وتُعظم وتكرّم ويقال فيها من جميع الناس حسناً، فكل هذا يُحسب تجديفاً على المسيح رأساً، الذي قال: «لا تُدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح»^٨، بل: «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات (وهو الله)»^٩.

وهكذا ألغى المسيح كل مديح وإطراء وتكريم، حتى عن نفسه، لكي يستيقظ الإنسان ويدرك أن المجد والثناء والتعظيم هو لله وحده.

فالمسيحية تقوم على الاتضاع ومعاملة الناس بما يستحقونه من الألقاب المناسبة لهم.

١٨ ديسمبر ٢٠٠٥

^٧ مت ٣: ٥.

^٨ مت ٢٣: ١٠.

^٩ مت ٢٣: ٩.

الغضب

يقول الرب: «إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم»^١. والغضب هو داء البشرية المتأصل فيها، فهو من مواريث البعد عن الله. ويرثه الطفل ويبدأ ينمو معه، فهو يلزمه منذ الرضاعة، ويشبُّ معه في دور الصبا ويتمكن منه، إذا لم يُعالج بالحبّة والتأديب. فإذا بلغ معه إلى الشباب دون أن تُقلع بذوره، يستبدُّ به في الرجولة ويصبح داءً مخرباً. وغضب الكبار إذا كانوا أصحاب رئاسات، فإنه ينذر بالإيذاء الظالم والعقوبات الهوجاء، التي تخرب البيوت وتجرُّ إلى الحروب بلا تمييز. لذلك أصبحت معالجة الغضب بالوسائل المناسبة في دور الطفولة من أعظم الواجبات الملقة على الأب والأم، أما إذا استفحل الأمر فبالتأديب الصارم. ولكن في دور الشباب والرجولة لا علاج للغضب إلا بروح المسيح والإنجيل، وتلقين روح المحبة.

لأن الغضب ربما يكون بدافع شيطاني للتخريب، لذلك لزم

^١ مت ٢٢: ٥

دخول عنصر المحبة بكل وسيلة ممكنة، وبإغراء الهدايا والمال، ولكن يلزم أن تكون المحبة من قلب الأب والأم والكاهن عن حق وعطف أبوي.

وتوضيح الرب أن الغضب قد يكون باطلاً، يعني بسبب أمور العالم الباطلة. أو يكون الغضب نفسه بسبب فساد الفكر وانحراف أخلاقي متأصل. هذا جعله الرب مستوجب الحكم، أي بعقاب قضائي، وهو آخر مستوى التعليم والتأديب من جهة الأب والأم. والغضب يعني غياب العقل وإعطاء الغريزة الحيوانية في الإنسان فرصة انحلالها، لذلك يلزم جداً التحكم فيها منذ الصغر، واجتازها بالتأديب الصارم وبدء زرع روح التسامح والحب مبكراً، ودراسة الإنجيل والكتب الروحية الملهمة التي تزرع في القلوب بذرة الإيمان والصلاة والصوم. لأن عنصر الغضب فيه لمسة من الشيطان مؤذية، لذلك لزم الصوم والصلاة لأنه العلاج الوحيد لقلع بذرة الشيطان، التي تكون قد انزعت خلسة في القلوب المتبعة عن الصلاة والصوم والذهاب لسماع العظات في الكنيسة. علماً بأن الغضب هو بداية حركة معادية لروح السلام والمحبة. لذلك أصبح غرس المبادئ القائمة على روح السلام والمحبة أمراً في غاية الأهمية، لتخليص النفس من سلطان الغضب الذي يزرعه

العدو في قلوب المتحررين الرافضين للتعليم والتوبيخ.

وقول المسيح إن الغضب الباطل مستوجب الحكم، يعني أن الغضب قد استفحل ضرره وأصبح وبالاً على الأسرة والمجتمع والدولة، وغاب عن الشخص روح التأديب والتعليم والمحبة والسلام. فعقوبة الحكم، أي تأديب القضاء، أمرٌ مُشِينٌ جداً في حياة الإنسان ونقطة سوداء في تاريخ الأسرة. من أجل هذا وضع المسيح هذه الآية لتكون إنذاراً للمتولين على تربية الأولاد والشباب.

وفي ظني أن دخول روح الإنجيل في الطفل وتعليمه آيات المحبة والصفح، هي أولى الوسائل وأقدرها على تطبيع روح الطفل منذ الصغر، قبل أن استفحل فيه الغضب ويصبح تطبّعاً مكتسباً. وسماع كلمة الإنجيل للأولاد الصغار هو زرع جيد للأخلاق منذ البداية. ولا ننسى الترتيل بالنغم المحبب للأطفال، فإنه عنصر تربية هام.

١٩ ديسمبر ٢٠٠٥

«طوبى لصانعي السلام»

إنجيل متى ٥ : ٩

آية جميلة من فم الرب يسوع المسيح، يهديها للقلوب التي بدأت تتفتح على الإخوة والأولاد والمجتمع. فالمسيح نفسه هو رب السلام^١. والسلام والمحبة فضيلتان من أهم الفضائل التي تصنع مجتمعاً مسيحياً مهيباً للحياة الأبدية التي لا يدخلها إلا الذين سقتهم المحبة من ينبوع السلام، فصاروا مسيحين حقاً. والمسيح يهبهم هنا الطوبى، أي استحقاق الروح القدس القادر أن يخلق في الناس معلمين وأنبياء بالروح والحق. وهذه الآية هي آية بناء للنفس والأسرة والكنيسة، فحيث السلام يسكن المسيح، ويصير الإنسان بالحق ابناً لله، ومن أهل بيته^٢. وصانعو السلام في الكنيسة كانوا هم القديسين والرهبان العاملين، والراهبات التقيات اللاقي تعطر بهن المجتمع المسيحي منذ الأيام الأولى للمسيحية. فالمسيحية

^١ أنظر أع ١٠: ٣٦

^٢ أنظر أف ١٩: ٢

زُرِعَتْ في السلام ونمت وترعرعت في السلام. والسلام هو الذي أبقى المسيحيين إلى اليوم رسل العالم المنادين بالحب والسلام وسط الكنائس والشعوب، حتى أصبح العالم يهنأ بتأسيس السلام في قلوب الرعاة والرؤساء والمتولين على الشعوب. ونحن نعرف أن الأمم التي نادى بالإلحاد وعاشت في عصر الظلمة في الدول الشيوعية، رجعت إلى الأصول الأولى التي بُنِيَتْ عليها الحياة المسيحية. فالإنسان لا يسعد ولا يفرح ولا يُبْنَى إلا في السلام. ويكفي جداً أن يقول المسيح: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَوْنَ». فالأمم التي تعيش في السلام تحيا في خوف الله وتُسعد شعوبها. والأمم التي ذاقت السلام، هي التي تبقى ويبقى تاريخها وأمجادها مدى الدهر، لأن عنصر الله هو العامل فيها.

ويكفي للقارئ السعيد بسلام الله، أن يعرف أن اسم المسيح هو «رئيس السلام»^٣، وهو الذي يدعو إلى السلام الذي اجتذبه لنا من السماء، مصدر الحب الحقيقي والسلام. لذلك يعطي المسيح الطوبى لصانعي السلام، مؤكداً أنه شيمة أولاد الله، فكل من يصنع السلام هو ابن الله يُدْعَى، وكأن السلام هو مدخل لملء الله

^٣ إيش ٦: ٩

الذي «يجمع أولاد الله المتفرقين إلى واحد»^٤. فليس في الأرض كلها سلام إلا ومصدره الله. وأولاد الله ينعمون بسلام حقيقي يعيشون فيه، ينامون في سلام، ويعملون في سلام، ويدعون إلى السلام. لأن الإنسان لا يعوزه إلا السلام لتهدأ نفسه بحياة مسالمة. والذي يُزرع بالسلام^٥ يُحصد بالسلام.

والعجيب أنه إذا كان الأب والأم يعيشان في سلام، يعطون أولادهم السلام الذي يعيشون فيه، وتنعم الأسرة كلها بسلام الله الذي يسترهم ويحفظهم من الشرير.

ونحن نكرر قول الرب لأنه مُلهم، أن الذي يزرع السلام هو ابن الله. هذه رفعة مستورة ينالها المسلمون زارعو السلام، وبالنهاية يصبح أصحاب السلام هم بنو العليِّ يُدْعَوْنَ، وهذا وسام إلهي يوضع على صدور الآباء والأمهات والرؤساء.

١٩ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ يو ١١: ٥٢

^٥ أنظر يع ٣: ١٨

«أنتم نور العالم»

إنجيل متى ٥ : ١٤

المسيح هنا يعطي نفسه للإنسان الذي آمن به وأحبه، لأن لقب المسيح هو «نور العالم»^١. فكونه يقول: «أنتم نور العالم»، فهذا يعطي المسيح نفسه للإنسان الذي آمن به وحمل صليبه وتبعه! لأن كل من عاش مع المسيح وأحبه، يحبه المسيح ويعطيه ذاته، فهو القائل: «الذي يحبني... أنا أحبه وأظهر له ذاتي»^٢. وما معنى «أظهر له ذاتي»؟ هذا هو استعلان بالحق وهو يختص بنور أو استنارة الذهن، فكل من استنار بالمسيح صار كالمسيح، أي صار نوراً للعالم. هذه حقائق الإيمان بالمسيح من قلب صادق ونية حاضرة تستمد كيانها من المسيح.

وحينما قال بولس الرسول قولته المستنيرة بالمسيح: «فأحيا لا أنا

^١ يو ٨: ١٢
^٢ يو ١٤: ٢١

بل المسيح يحيا في»^٣، فما معنى أن المسيح يحيا في إلا أن بولس الرسول صار بالحق نوراً في العالم يضيء بمجد المسيح؟

فالمسيح لما يقول: «أنتم نور العالم»، فهو يستحثنا أولاً أن نستضيء بنور معرفة المسيح. ومن النظر الدائم في شخص المسيح وفي حياته وأقواله يستنير الإنسان بنور المسيح، ويصبح بالضرورة نوراً في العالم، يعيش في المسيح ويدعو للحياة في المسيح. لأن كل من استنار بنور المسيح يضيء حتماً بنور المسيح، لذلك يقول المسيح: «فليضي نوركم هكذا قدام الناس»^٤. وهي ليست بمجرد استنارة ونور يضيء، بل يتبعها حتماً أعمالٌ معمولة في نور المسيح، لذلك يضيف المسيح: «فليضي نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات».

وهنا نوعي القارئ أن استنارته للمسيح، وإشعاع نوره للعالم ليست فضيلة شخصية، بل هي تكليف سمائي لكل من استنار، وعليه أن ينير ولكن ليس لنفسه ولا لأخصائه بل للعالم، أي للآخر. وهكذا يمتد نور المسيح من نور إلى نور، حتى يستضيء

^٣ غل ٢: ٢٠

^٤ مت ٥: ١٦

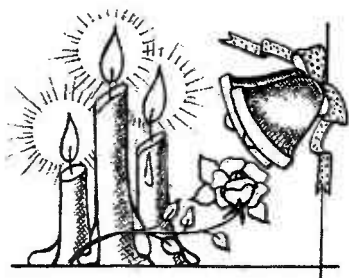
العالم بنور معرفة المسيح والحياة فيه، وبالنهاية يتمجد الله وحده.
ويقول المسيح إن النور لا يوضع تحت مكيال أو تحت السرير،
ولكن يوضع على منارة ليضيء لكل من في البيت. بمعنى أن الذين
استناروا بنور المسيح موضوع عليهم أن يذهبوا وينادوا باسم
المسيح، حتى يستنير العالم بنور المسيح الذي فيهم.

وما أحوج العالم اليوم إلى من ينادي بنور المسيح، لأن العالم
فلت زمامه والظلمة تسحبت على عالم اليوم، وأصبح اسم المسيح
مخفياً تحت المكيال. أين رجال الله بالأمس الذين استناروا وأناروا
وامتدَّت أعمالهم الصالحة فغطَّت وجه الأرض؟ أين القديسون
الذين امتلأت بهم الجبال والبراري، وخرجوا إلى العالم
ومصاييحهم موقدة بنور المسيح، وملأوا العالم بتعاليمهم وأناروا
فعلاً وامتد نورهم فملأ الأقطار، وعاش العالم أجمل سنيه وأحلى
أيامه؟ أين الأساقفة الأجلاء الذين شَعَّ نورهم أجيالاً برمتها؟ أين
البطاركة الذين قادوا الأمم سنين برمتها، ولا يزال نورهم يملأ
الكتب وليس من يقرأ ولا من يسمع؟

العالم اليوم يحتاج إلى من يعيد للكنيسة مجدها وينير في ظلام
العالم الذي زحف ليغطي أمماً برمتها، وهدد بالحروب وويلاتها.

نحن نرفع عيوننا إلى فوق طالبين من أبي الأنوار أن يترفّق بعالم
اليوم، ويرسل بيد من يرسل، من يعيد إلينا مجد القرون الأولى التي
امتألت بسير القديسين والقادة المنيرين.

١٩ ديسمبر ٢٠٠٥



المساكين بالروح

أعطى المسيح الطوبى للمساكين بالروح. والمساكين هو من افتقر من أجل الله، وأصبح الإنجيل طعامه وكلمة الله شرا به يرتوي به كل حين. وكانت عصور الكنيسة الأولى قائمة على المساكين بالروح، باعوا كل شيء واشتروا اللؤلؤة الكثيرة الثمن، واللؤلؤة هي المسيح - تبارك اسمه - الذي يفوق كل اللائى. ومن افتقر لله اغتنى بمحبته ورحمته. والمسيح أحب المساكين، وكانوا يلتفون حوله أينما ذهب، فكانت تعاليمه مصدر غناهم.

وكان فقرهم مصدر غنى العالم، وهكذا افتقروا طمعاً في غنى المسيح. فطوبى لهم المسيح، لا لأنهم فقراء، ولكن لأنهم أغنوا كثيرين. ويقول عنهم سفر العبرانيين إنهم «عُذِّبُوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل»^١، و«جُرِّبُوا وماتوا قتلاً بالسيف» و«تَجَرَّبُوا في هزء وجلْد ثم في قيود أيضاً وحبس» كيوحنا المعمدان، و«رُجِمُوا ونُشِرُوا». بمنشار الخشب كالقديس إشعياء النبي، وماتوا بالسيف

^١ عب ١١: ٣٥.

وَقُطِعَتْ رؤوسهم كيوحنا المعمدان، ووُضِعَتْ رأسه المقطوعة في صحن أهداها الملك لابنة هيروديا الراقصة، و«طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكرويين مُذَلِّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم، تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض، ... مشهوداً لهم بالإيمان»^٢.

هؤلاء هم المساكين بالروح، الذين طوّبهم سفر العبرانيين لأنهم فضّلوا السجن وضرب السيف عن مسرّات الدنيا وغناها. هؤلاء هم المساكين بالحق الذين سيدينون العالم يوم الدينونة، لأنهم فضّلوا غنى المسيح عن غنى العالم.

والذي افتقر من أجل الله، لا يُحسَب فقره أنه بلا مقابل، فالذي تركه من غنى الدنيا لا يُحسَب فقداً، لأن عوض ما تركه، يقول الرب، إنه سيملك مع المسيح مُلك الأبد^٣. وهكذا يفتخر صاحب غنى السموات على غنى الدنيا ومجدها، إن كان لها مجد. على أن غنى السموات محفوظ في حرز الله، مختوماً بختم الروح، وأما غنى الأرض فمُعَرَّى للسوس واللصوص. وهكذا فالذي

^٢ عب ١١: ٣٥-٣٩.

^٣ أنظر ٢ بط ١: ١١.

يَتَمَسَّكُنُ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ يَكُونُ قَدْ غَلَبَ الدُّنْيَا وَهَوْمُهَا وَأَوْجَاعُهَا.
فَالْمَسَاكِينُ بِالرُّوحِ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ، نَالُوا الطُّوبَى مِنْ فَمِ الْمَسِيحِ، الَّتِي
هِيَ سَعَادَةُ السَّمَاءِ وَهَنَاؤُهَا. لِذَلِكَ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، يَقُولُ بُولُسُ
إِنَّهُ خَسِرَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَوْجَدَ فِي الْمَسِيحِ وَيَحْيَا لَهُ، وَقَدْ
حَسِبَ أَنَّ كُلَّ خَسَارَةٍ فِي الدُّنْيَا يَقَابِلُهَا مَكْسَبٌ سَمَاوِيٌّ، وَلِذَلِكَ
تُحَسَبُ بَلُغَةُ الْعَالَمِ نَفَايَةَ^٤.

فَإِنْ كَانَتِ الْحَيَاةُ مَعَ الْمَسِيحِ هِيَ كَنْزٌ لَا يَفْنَى وَلَا يَضْمَحَلُ
مَحْفُوظٌ لَنَا فِي السَّمَوَاتِ^٥، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْرَكُ هَذَا الْغِنَى الْبَاقِي إِلَى
الْأَبَدِ. فَالْعَالَمُ سَيَزُولُ وَيَزُولُ مَعَهُ كُلُّ رِبْحٍ فِيهِ أَوْ غِنًى، وَلَكِنْ
كَنْزُنَا هُوَ الْمَسِيحُ الْبَاقِي إِلَى الْأَبَدِ. فَهَذَا فَنَ التَّجَارَةِ الْمَفْتُوحِ
حَسَابِهِ لِمَنْ يَتَشَجَّعُ وَيُودِعُ كُلَّ مَالِهِ هُنَاكَ، وَيَصْبِحُ الْمَسَاكِينُ مِنْ
أَجْلِ اللَّهِ أَغْنَى أَغْنِيَاءَ السَّمَاءِ. فَالْمَسِيحُ يُوَعِّدُنَا أَنْ نَضَعَ أَيْدِيَنَا عَلَى
رِبْحٍ مَضْمُونٍ وَنَسْتَهَيِّنُ بِخَسَارَةٍ زَمْنِيَّةٍ فَانِيَةٍ.

٢٠ دَيْسَمْبَرِ ٢٠٠٥

^٤ أَنْظِرْ فِي ٣: ٧، ٨.

^٥ أَنْظِرْ ١ بط ٤: ١.

«طوبى للجوع والعطاش إلى البر»

إنجيل متى ٥ : ٦

أما الجوع فنحن نعرفه، وأما العطش إلى البر فهذا أمر جديد علينا، فما هو الجوع والعطش إلى البر؟ يعرفه الإنسان الذي انكشفت أمام عينيه أعجاز السموات فأخذ يجهد كل حياته لينال نصيبه المفتوح في حساب المسيح، فجلس مع نفسه وأعاد حساباته في الدنيا فوجدها خاسرة في النهاية مئة بالمئة. فقال في نفسه إن كان الأكل سيزول، والعطش باقٍ كما هو، شربنا مهما شربنا من مياه العالم، التي كل من يشربها «يعطش أيضاً»^١، ففتح حسابه مع المسيح وقاس الجوع في العالم فوجده ينتهي بالجوع، والعطش يولد العطش. ولما فتح الإنجيل وتعرّف على سرّ الحياة الأبدية، وجد أن الجوع إليها يولد الشبع الذي يزداد حتى الملء، والعطش إلى الحياة الأبدية يولد الريّ الذي يفيض لأنه ماء الحياة، وحيّ كل حين. فعزم ذلك الإنسان الذي اكتشف سرّ الجوع

^١ يو ٤: ١٣.

والعطش إلى البر، أن يظلَّ يجوع ويظل يعطش حتى يتحنن الله عليه، ويطعمه من طعام الحق الذي لا يؤول إلى جوع أبداً، ويسقيه من ماء الحياة مجاناً، وأخيراً يفوز بفك ختم الآية أعلاه لأن سرّها عظيم.

الجائع من أجل الله يجد في الإنجيل سرَّ الشبع، وفي أسرارهِ الإلهية سرَّ الارتواء، فهو لن يحتاج إلى من يشتري منه ما يُشبعه ولا إلى من يبيع له الماء في السبيل، فطعامه وارتواؤه ضَمَنها الله له مجاناً.

وهكذا، أيها الصديق الجائع من أجل الله، والعطشان من أجل البر، اهنأ بالطوبى التي وهبها الله لك، لتزداد جوعاً وعطشاً إليه. فالجائع إلى الله يأكل الإنجيل أكلاً^٢، وكلما أكل يزداد جوعاً إليه. والعطشان إلى البر كلما أعطى ما له ووزع أثماره، ازداد عطشاً إلى البذل وإلى العطاء. وهكذا كلما ازداد في السعي إلى البر امتلاً من معرفة الله إلى كل الملء.

والسعي في البر هو سعادة الإنسان الذي ثَبَّت وجهه إلى فوق. والمجنون في العطاء في نظر الناس هو الذي سيفوز بالجُعالة (أي الجزاء والمكافأة) ويدخل إلى فرح سيده.

^٢ أنظر إر ١٥: ١٦.

فإذا عرفنا سر الجوع والعطش إلى البر، فمن ذا الذي لا يجوع كل يوم ويعطش كل ساعة، إن كان هذا ينشئ الجوع والارتواء من يد الله. فصناعتنا أيها الأحبة هي الجوع والعطش من أجل البر، فمن أراد أن يلتحق بنا فعليه أن يجوع بالحق ويعطش إلى الحق، حتى يتولّى الله إشباعه وإرواءه. لأننا جُعنا حقاً وعطشنا حقاً، فشبعنا حقاً وارتوينا حقاً. فنحن نحكي عن خبرة ونسرد سيرة، إن أعجبتك أيها الصديق فسرّ سيرنا وتزوّد بخبرتنا، لأننا نقول الحق ونشهد للحق، والطوبى تنتظرك.

٢٠ ديسمبر ٢٠٠٥

«طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله»

إنجيل متى ٥ : ٨

أنقياء القلب ذوو بساطة روحية تنعكس على قلوبهم فتزيدهم صفاءً. فنقي القلب صاحب روح وديعة وبسيطة كالطفل، لا يستمدّها من أخلاق مصطنعة، وإنما هي خصال يهبها الله كطبيعة جديدة للإنسان الوديع المحب الذي ارتوى من نهر نعمة الله. ونقاوة القلب صفة أصحاب النفوس التي شبت من النظر إلى الله. لذلك نسمع السيد المسيح الذي ظهر لـ "فيلي" المنتصرة، يقول لها لما ارتبكت واضطربت من ملاحقة الذين أرادوا الفتك بها: "انظري إلي"، "انظري إلي". لا نظرة العين، بل نظرة القلب، التي حققها موسى بأمر الرب أن يصنع حية نحاسية يرفعها على صاري، حتى إذا نظر إليها الذين كانت الحيات المحرقة تلدغهم يبرأون في الحال. وكان هذا تشبيهاً لما سيكون من أمر المسيح وإبليس الحية القديمة قتال الناس منذ البدء^١. فكل من نظر

^١ أنظر يو ٣ : ١٤، ٨ : ٤٤.

إلى المسيح بالروح والحق يبرأ من ملاحقة أعدائه.

هكذا الذين ينظرون بقلوبهم بالروح إلى المسيح، تبرأ قلوبهم من كل غش أو فساد، وتنقي وتصفو كالنور. لأن من كثرة النظر إلى المسيح في إنجيله المقدس وفي وصاياه المعزية، تستنير أعين قلوبهم وتنقي من شوائب العالم، التي تعكر من صفاء القلب والروح. ومن كثرة النظر إلى المسيح تحترق عيونهم حُب الظلمة التي تصيب القلوب من جرأ سماع قباحات العالم والنظر إليها في ما يُسمّى بالتلفزيون والصور الخارجة عن حدود الأدب، التي تسد منافذ النعمة وتعمي عيون القديسين.

فقاوة القلب في هذه الأيام بضاعة نادرة، لا يهنا بها إلا الذين صاموا عن الدنيا ومباهجها. فطوبى لأولئك الأحبة الذين أخرجوا هذه التلفزيونات من بيوتهم، وهبأوا للمختارين فرص القداسة رحمةً بمستقبلهم العتيد أن يكون. أعرف سيدة نبيلة تُحسب من القديسات، ظلت تترجى زوجها أن يتخلص من التلفزيون الذي يلهي الأولاد عن الله والطهارة والدراسة أيضاً. وأخيراً استجاب لها، وأخذ التلفزيون ونزل من البيت ووضعه على الرصيف، ووقف هو وزوجته يترقبون مصيره. ولكن مرّ عليه كثيرون وهم مستغربون الأمر، وأخيراً جاء إنسان والتقط التلفزيون وجرى

وهو يتلفّت وراءه. فما كان من السيدة النبيلة إلا أن صفّقت يديها وشكرت الله وزوجها، وعاشت الأسرة في خوف الله وترئى الأولاد على التقوى.

يا ليت أولاد الله يسمعونني اليوم ويتخلّصون من هذا الوباء الأخلاقي، الذي يفسد النفوس والقلوب. وإن كانت الأسرة لم تشتت بعد هذه المصيبة، فيا ليتها لا تشتري يديها خراب أخلاق الأولاد، بل وربما الكبار أيضاً.

فالعالم اليوم وصاحب هذا العالم دخل كل البيوت، وأفسد قلوب النشء الذين هم ذخيرة الكنيسة، وفقدوا نصيبهم في ميراث المسيح وشرسته السعيدة.

ويكفي جداً رجاءُ المسيح، أن طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. فهل نعاين التلفزيون بعد أو نعاين الله؟ احكموا أنتم حكماً عادلاً ولا تخيّبوا ظن المسيح فيكم، فتحكّموا على أنفسكم بالحرمان من ملكوت الله ومعاينة الحياة الأبدية في مُلك الله السعيد.

٢٠ ديسمبر ٢٠٠٥

«طوبى لكم إذا عَيَّرَوكم وطرَدَوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم»

إنجيل متى ٥ : ١١، ١٢

اسم المسيح، والذين يعبدون صاحب الاسم، أصبح ثقيلاً جداً على بعض الناس، ومجهولاً تماماً حتى عند بعض من الذين يدينون به، ظلماً وعدواناً. فأصبح المسيحيون يُعَيَّرُونَ بهذا الاسم، ولا يطيقون من يدينون به. جيّد، ولكن اسم المسيح يستظلُّ بظله كل الذين أحبه وأحبهم، ووجدوا أنه حقٌّ عليهم أن يعبدوه بالروح والحق فكان عوناً لهم في الضيق ومعيناً في الشدة، فأحبوه فوق كل من أحبوا، حتى أنفسهم وضعوها رهناً لصدق محبتهم ورجاء له أن يحبهم حسب وعده، لأنه قال: «الذي يحبني... أنا أحبه وأظهر له ذاتي»، أي يُستعلن لهم بكل أسرارِهِ.

فأصبح عار اسم المسيح عليهم رجماً مضاعفاً، واستهانوا بكل مطاردة إذ حسبوها كسباً لمسيرتهم نحو وطنهم السماوي الأفضل. فالطرد والمطاردة دخلت في صميم رحلتهم عبر العالم للوصول المبكر إلى غايتهم التي من أجلها وُلدوا تحت هذا الاسم، وعاشوا يتمنون الوصول إليه تحت أي مُسمًى. إذ يكفي عليهم بلوغه مشيعين من العالم بالسخط تحت وابل من الكلمات الشريرة من أجل هذا الاسم وبغضة لهم وله. لأن الحق ينفي ذلك، والحقيقة هي عكس ذلك. لأنه لا يمكن أن يُخفى نور المسيح تحت مكيال الدنيا ولا تحت سرير الغفلة، عن واقع إلهي صارخ. فالذين تسمَّوا باسمه نالوا قسطاً وافراً من نوره، وأناروا الدنيا بنوره ونورهم. وكان نور المسيح ونور من تسمَّوا باسمه هو الحقيقة الوحيدة التي سيربحها العالم من هذا الاسم ومن تسمَّوا به.

لهذا يقول المسيح افرحوا بما عُيِّرتم به، وتهللوا بما أصابكم في الدنيا، لأن لكم في السموات أجراً عظيماً أعظم من الدنيا وكل ما فيها. وهذا ليس جديداً على العالم، الذي شيع الأنبياء بالطرد من قبلكم. لأنه يُحكى في العهد القديم عمَّن يُحسب بطل الأنبياء، عاموس النبي، الذي عاش في المملكة العليا لإسرائيل وظل يتنبأ على الدولة وعلى ملكها بالخراب والدمار، فاستدعاه كاهن إسرائيل

الذي كان على عاصمتها وهدده، لأن كلماته كانت ثقيلة جداً على أسماعهم، وأمره أن يخرج من إسرائيل ويذهب إلى مملكة يهوذا في الجنوب ويتنبأ هناك. فردَّ عليه عاموس: «لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبيٍّ...» (ولكن) قال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل»^٢. هكذا تزعم عاموس النبي على الأنبياء المطرودين من أجل قول الحق.

فما هو ذنب من تسمَّى باسم المسيح، حتى يدخل بند مطاردة الأنبياء، مع أننا لم يخرج من فمنا كلمة نؤخذ بها أو عليها. فنحن أصحاب مَنْ أحبوا أعداءهم، وَمَنْ باركوا لأغنيهم، ومن صلُّوا من أجل كل من أساء إليهم وطردهم. وسنظلُّ نصلي من أجل كل هؤلاء كل يوم وكل ساعة، إلى أن تأتي الساعة.

٢٠ ديسمبر ٢٠٠٥

^٢ عا ١٤: ١٥ و ١٥.

«طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون»

إنجيل متى ٥ : ٧

الرحمة صفة إلهية يختصُّ بها الله. وقد وهبها للإنسان لكي يكون رحيماً تجاه أخيه الإنسان. وأول من أفسد الرحمة وأغضب الله أول ابن لآدم وهو قايين، إذ تملكه الحسد والغضب لما رأى أن تقدمته لله لم تُرض الله، وأن تقدمه أخيه قُبِلَتْ^١، فلم يرتح قلبه. إلا أن الله أنذره بأن هناك خطية على باب حياته، أُعطي أن يسود عليها ويغلبها لو أراد ورفع قلبه إلى الله. ولكنه ضرب بإنذار الله عرض الحائط، وقام علي أخيه وقتله، فكان أول من سفك دم إنسان، ودم مَنْ؟ دم أخيه. وهكذا أحزن قلب الله، ولم يطق أن يحتمل وزر خطيته فاختمى من وجه الله وهرب. ولكن الله كشفه وسأله: «أين أخوك»، فردَّ على الله: «هل أنا حارس لأخي». فكان تصرفه خاطئاً ضعفين؛ لأنه قتل، وأيضاً تبجَّح على الله وكذب عليه. فأهمله الله، ولكن عاش مطارداً خائفاً حاملاً ذنبه.

^١ أنظر تك ٤ : ٣-١٢.

هكذا أورث قايين مثال خطيته لمن جاء بعده من نسله، وتسلسلت الخطية من ابن إلى ابن، وعمَّت على كل بني آدم. فورث الإنسان الخطية وشربها شرب الماء. وكان مقتل هابيل يُحسَب أنه ضياع نصف البشرية التي كانت قائمة على الاثنين، قايين وهابيل. وحُسِبَت خطية القتل أنها أول جريمة كسبها الشيطان من نسل آدم. وهكذا قيل إن الشيطان «كان قَتَالاً للناس من البدء»^٢.

وإن كانت الرحمة قد ذُبِحَتْ يومَ ذَبَحَ الأخُ أخاه، ولكن عاجلها الله بأن أعطى أمراً ملزماً أن «لا تقتل»^٣. وجعل مع الأمر لمسة الرحمة الإلهية حتى يستطيع الإنسان أن يقوى على إغراء هذه الخطية التي ييئسها الشيطان في نفوس البشر.

وجاء العهد الجديد ورفع وصية الرحمة وعدم القتل إلى أعلى درجات البرِّ، بإعطاء المسيح الوصية الجديدة: «قيل للقدماء لا تقتل... أما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم»^٤، ثم أردفها بالقول: «من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً»^٥، وأعطى مع الوصية بالروح

^٢ يو ٨: ٤٤.

^٣ تث ٥: ١٧.

^٤ مت ٥: ٢٢، ٢١.

^٥ مت ٥: ٣٩.

لمسة الرحمة والمحبة.

وتعهد الله الأب والأم بالرحمة الطبيعية، فبمجرد أن يولد لهما إنسان تنسكب على قلب الأم والأب الرحمة على رضيعهما، وتظل الأم تسكب من رحمتها على ابنها حتى يصبح رجلاً. ولكن الله يعطي للأب روح التأديب حتى يشب المولود تحت التعليم والتوبيخ، وإلا فالعقاب بشئ وسائله، حتى يرتدع الطفل أو الشاب عن ميوله العدوانية التي ترثها البشرية في طبيعتها.

وتنتقل وصية الرحمة من الأب والأم في الأسرة إلى رحمة المعلم والمدرس، فتصير الرحمة فضيلة المعلم الذي يسقي أولاده الحنان والرحمة والمحبة كجزء أساسي في تعليمه. فيشب التلاميذ متعاطفين معاً، فتغرس الرحمة فيهم كأهم ما يُسقى في التعليم. والمدرس الشرس يولد في أولاده في المدرسة ميول الشراسة دون أن يدري.

وكثير من المدارس اقتلعت منها بالقانون العقوبة الجسدية والتأديب الجائر وحل محلها الترغيب في الأدب وإعطاء الهدايا للمعوقين نفسياً حتى يلتقطوا الاعتدال والصواب بلا عقوبة.

والرحمة بنت المحبة، فغرس بذور المحبة في الطفل والشاب تُحسب أهم واجبات الأب والأم والمدرسة. لأن الذي يُحرّم من المحبة لا يقوى على إفراز المحبة من نحو الآخرين. لذلك كان

استخدام البيت لوسائل المحبة واللفظ والوداعة هي البذور التي تورث الرحمة.

يُحكى أن أباً أخذ ابنه لطيب نفساني ليعالج روح العدوان والسخط عند الولد، فكتب الطبيب الروشته (التذكرة الطيبة): "يحتاج إلى نصف ساعة محبة كل يوم". فعلاج انحراف الأطفال والصبيان ليشتبوا رجالاً ونساءً نافعين للوطن، هو غرس روح المحبة فيهم في البيت والمدرسة.

والمسيح لم يغفل نصيب الأب والأم كجزء، وفاءً لروح الرحمة، بأن وعدهم أنهم عوض رحمتهم سيرحمهم الله يوم الرحمة. وهكذا المعلم والمدرس، فحقه محفوظ عند الله، فجزاء ما يقدم من روح الرحمة والحنان على تلاميذه ومريديه، يهبه الله بالتالي روح المحبة والرحمة يوم الدينونة. لأننا لا ننسى ولا نتناسى أن الله هو أرحم الراحمين، وهو يغدق رحمته على البشر المسئولين عن تعليم وتربية أولادهم، ويزيد من رحمته يوم يدين الله المسكونة بالعدل.

٢١ ديسمبر ٢٠٠٥

البيت المؤسس على الصخر

إنجيل متى ٧ : ٢٤

هذا المثل هو من الأمثال الملهمة التي قالها المسيح، والتي تُحسب من أوَّليات الإيمان بالله والبدء بحياة صالحة ترضيه. فالذي يبني بيته على الصخر، يعني أنه أسَّس حياته على الإيمان القوي الذي لا تزعزعه حوادث هذا الزمان وتجاربه. وقوة الإيمان تُستمد رأساً من المسيح، فاسم المسيح قديماً كان صخر الدهور^١، بمعنى الثبوت الإلهي الذي يناطح الزمن ويصمد أمام التجارب التي يسوقها عدو الحياة الهادئة المستكنة في أحضان الله.

وأعظم من أسَّس على الصخر داود النبي، لأن أعداءه وقفوا أمامه طول حياته، وأعداؤه كانوا أشدَّاء وقساة لا يرحمون، وعلى رأسهم شاول الملك الحاقد، الذي ظل يحارب داود طول حياته. وكان من نتيجة هذه الحروب والعداوة القاتلة، مزامير داود التي

^١ أنظر إش ٤: ٢٦ ؛ ١ كو ١٠ : ٤.

تَغْنَى بها لله في أيام النصره وأيام المحنة. وبكاؤه ملاً الزمان القديم،
كما ملأت أناشيده كل الدهور، وأصبح سفر مزامير داود منبع
إلهام ومصدر شجاعة وقوة إيمان حتى اليوم.

هذا الصبي الجميل حمل سيف جليات جبار الفلسطينيين، وهو
أثقل من وزنه، وقطع به رأس جليات بطل أبطال دهور
الفلسطينيين، هزمه داود بمقلاع أي "نَبْلَة" بها حصاة أي
"زلطة"، ضربه بها فارتكزت الحصاة في جبهته وخرَّ صريعاً أمام
الصبي الجميل داود ابن سنوات الصبا^٢.

أيَّ إيمان كان لهذا الصبي الذي استعان على قتل جليات
باسم الرب وحده^٣؛ إذ كان اسم الله عند داود حصناً حصيناً
يجري إليه «ويتمنّع»^٤، أمام جيوش برمتها هزمها جميعاً باسم رب
الجنود، الذي كان يملأ قلبه شجاعة وقوة واقتراساً. يحكي هو أنه
وهو يرعى غنم أبيه خرج عليه من الغابة دبٌّ وأسدٌ، ضرب الدب
بالمقلاع وقتله، ومسك الأسد من فكِّه وفسخ فمه إلى نصفين

^٢ أنظر ١ صم ١٧.

^٣ أنظر ١ صم ١٧: ٤٥، ٤٦.

^٤ أم ١٨: ١٠.

٦م - مع المسيح (٤)

وأَمَاتَهُ، وَكَانَ صَبِيًّا فِي رِيعَانِ الصَّبَا°. كَانَ دَاوُدُ يَتَغَنَّى بِاللَّهِ صَخْرَ الدَّهْورِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا كَالصَّخْرِ. فَكَانَ دَاوُدُ وَلَا يَزَالُ يُلْهِمُ أَلُوفَ وَمَلَائِينَ مِنْ أَوْلَادِ اللَّهِ بِالشَّجَاعَةِ الْإِيْمَانِيَّةِ، فَبَنُوا إِيْمَانَهُمْ عَلَى إِيْمَانِ دَاوُدَ، وَكَانُوا صَخُورًا إِيْمَانِيَّةً اعْتَزَّتْ بِهِمُ الْكَنِيسَةُ وَلَا زَالَتْ.

وَمِنْ أَكْبَرِ الشَّخْصِيَّاتِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي وَرَثَتْ إِيْمَانَ صَخْرَ الدَّهْورِ، الْوَاعِظُ الْإِنْجِلِيزِيُّ "سِيرْجَنْ"، الَّذِي كَانَ يَقِفُ يَصَلِّي وَيَقُولُ لِلَّهِ: "هَبْنِي إِنْجَلْتِرَا كُلَّهَا وَإِلَّا أَمُوتَ". وَكَانَ يَذْهَبُ كُلَّ سَبْتٍ إِلَى الْمَلِكَةِ فَيَكْتُورِيَا يَطَالِبُهَا بِثَمَنِ الْمَخِيْمِ الَّذِي يَقِيْمُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ: "أَيْنَ سَتَنْصِبُهُ"، فَكَانَ يَقُولُ لَهَا "فِي مِيدَانِ بِيكَادِيلِي"، أَشْهُرَ مِيَادِينَ لَنْدُنَ. فَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ: "سَتَسُدُّ أَرْبَعَةَ شَوَارِعَ"، فِيرَدُّ: "نَعَمْ وَسَأَفْتَحُ طَاقَةَ فِي السَّمَاءِ".

فَالْإِيْمَانُ بِالْمَسِيحِ الْحَيِّ، إِلْهَامٌ يَرْفَعُ مِنْ مَسْتَوَى الْقُلُوبِ إِلَى مَا يَفُوقُ كُلَّ قُوَى الْبَشَرِيَّةِ. فَبِالْإِيْمَانِ الْقَوِي افْتَتَحَ الرُّسُلَ مَدَنًا بِأَكْمَلِهَا، وَنَادَوْا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ فِي كُلِّ الْأَقْطَارِ، فَمَلَأُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا بِالْمُؤْمِنِينَ الْأَشْدَّاءِ الَّذِينَ وَقَفُوا أَمَامَ اضْطِهَادِ الْقِيَاصِرَةِ وَالْمُلُوكِ، وَحَارَبُوا حُرُوبَ الرَّبِّ، وَمَاتُوا شُهَدَاءَ مَلَأُوا السَّمَاءَ بِعَطْرِ أَسْمَائِهِمْ

° أَنْظِرْ أَصْحَامَ ١٧: ٣٤-٣٧.

وإيمانهم. وامتلات الرقوق والأوراق بسيرهم التي استرشدت بها الكنيسة في كفاحها ضد من عادوها هذه السنين كلها حتى اليوم. وانخرط الملوك في نهاية الأمر تحت مظلة الإيمان بالمسيح وصاروا قدوة للمؤمنين.

والإيمان بالمسيح دخل إلى العالم تحت بحار من الدماء التي سُفِكَت من مدن وشعوب برمتها، حتى صارت الكنيسة في العصور الأولى تُسمَّى بكنيسة الشهداء. ولا يزال الكثير من الكنائس قائم على اسم شهيد حتى هذا اليوم، شهادة لأولئك الأبطال الذين ضحَّوا بحياتهم ليحيا اسم المسيح، حتى قيل إن دماء الشهداء كانت بذراً للكنائس (ترتليان).

ونحن اليوم ننادي بإيمان ربنا يسوع المسيح، لعلَّ شعب الله يصحو من رقادته، لأن نهاية الزمان اقتربت، قبل أن يُقفل باب الإيمان ويقرع الكسالى الباب «ربنا ربنا افتح لنا»^٦، فيرد ويقول ما لا نتمنى أن يسمعه أحد.

٢١ ديسمبر ٢٠٠٥

^٦ مت ٢٥: ١١؛ لو ١٣: ٢٥.

« كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه »

إنجيل متى ٥ : ٢٨

نظرة الشهوة وضعها الشيطان في عين حواء، نظرت الثمرة المحرّمة فاشتتها بالنية، لأن العدو جعل ويجعل دائماً الأشياء التي يضعها خلصة أمام العين جميلة جداً ومحبة للنفس الصغيرة، فتشتتها العين ويستجيب القلب وتمتد اليدان. أول دافع للخطية غرسه العدو في النظر والقلب، وجعل الشهوة سيداً مستبداً، وأخضع العين والقلب عبداً للشهوة. عسير على الإنسان الساذج اللاهي عن حراسة نفسه، أن يقاوم دوافع الشهوة التي يجعلها العدو تتسلط على الإرادة وتغلبها.

والشهوة غريزة طبيعية، لولاها ما أكل الإنسان وما شرب، وما تزوّج وما أنجب. فغريزة الشهوة مغروسة في طبيعة الإنسان لترغمه على ممارسة الحياة الطبيعية. فالذي يفقد غريزة الشهوة ينقطع عن الحياة، لأنها مبنية على الشهوة. وهنا يستغل الشيطان غريزة الشهوة الطبيعية لأكل ما هو محرّم والشرب لما هو محرّم. ويتعدّى

الشیطان الحیاة الطبیعیة الهادئة فی الإنسان، ویشیر فیہ غرائز غریبة ومحرّبة، أشدّها فتکاً الزنا. إذ یستغل الشهوة الطبیعیة فی الإنسان الموضوعة لتسهیل الزواج من أجل الإنجاب، لیجعلها شهوة خارجة عن مسارها الطبیعی، لتخدم اللذة بقوة جارفة تسخر الإنسان الأحق لیفعل ما لا یحلّ فعله.

والعجب أن الله جعل الطبیعة الخاصة بالزواج محروسة حراسة متقنة، حتی تتناسب الشهوة مع زمن قبول الطبیعة للإنجاب. إذ حدّد الله فی طبیعة المرأة أن لا تطلب الاجتماع بالرجل إلاّ فی وقت محدد فی الشهر، فتصبح غریزة الإنجاب محكومة من الطبیعة. ولكن بثورة الشهوة عند الرجل والمرأة، تنکسر دورة التناسل وتصبح بلا رابط، فیجتمع الرجل بالمرأة فی کل وقت، ضد أصل الغریزة وعملها.

وتدخل عملية الإنجاب فیما لیس لها، بل لخدمة غریزة الشهوة الهوجاء المدفوعة بعوامل حب الزنا والتلذذ بالجنس.

لذلك أصبح الزنا یخدم الشهوة، والشهوة تخدم الخطیة، والخطیة تخدم مقاومة تدبیر الله. وهنا تدخل عملية الزنا فی مقاومة تدبیر الله فی الخلقة البشریة، لتصبح أكبر جريمة فی حق النسل، المفروض أنه

موضوع بإحكام تدبير الله لمنفعة الطبيعة البشرية.

وعندما يقول الرب: «لا تزن»، فهو يكون كمن يحاول الحفاظ على سلامة الإنجاب لصالح الإنسان. فهنا الوصية موضوعة بعناية فائقة لفتح ذهن الإنسان، لمنفعة نفسه واحترام تدبير الله الموضوع بحكمة ونعمة وفطنة، تؤول كلها لصالح الإنسان.

ولكن حينما تلتهب الشهوة في الإنسان، يتعامى عن كل ما هو حق وفضيلة، وينحط إلى أقل من مستوى الحيوان، لأن الحيوان يلتزم بدوافع الطبيعة، فلا يجتمع الذكر بالأنثى إلا عندما تصبح طبيعة الأنثى في حالة استعداد للحمل.

وعلمنا أخيراً عن مرض جديد جداً على البشرية، لم يُسمَع به من قبل، وهو المرض المعروف الآن بـ "الإيدز". وما هو الإيدز، وكيف دخل إلى البشرية عنوة نتيجة انحطاط وتسفل جماعة شباب أمريكي، كانت في عمل في أواسط أفريقيا، والتهبت شهوة الزنا فيهم فضاجعوا نوعاً من القروود مصاب بهذا المرض، فانتقل المرض من الحيوان إلى الإنسان، واستبدَّ به أشدُّ الاستبداد، إذ لا علاج له حتى الآن. ودخل المرض أمريكا، ثم انتشر في جميع أنحاء العالم، وتسرَّب خلسة إلى مصر. وأصبحت مصر تعاني جداً من مرض

الإيدز، وهو فضيحة جنسية أصابت الإنسان في أواخر الزمان،
نتيجة مباشرة لانعدام الفضيلة والحكمة والتعقل، ونزولاً إلى
أسفل الحيوانية.

وأخيراً نقدم النصيحة إلى كل من يقرأنا ويسمعنا، أن مرض
الإيدز انتشر في مصر والعالم نتيجة لاشتعال خطية الزنا ذكوراً
بذكور، ومن ذلك إلى الإناث، فَنُكِبَت البشرية بنكبة سوداء لن
تفلت منها، والرب وحده يرحم شعبه ويُلهمنا القداسة والتقوى.

٢١ ديسمبر ٢٠٠٥

«من طلق امرأته إلا لعلّة الزنا يجعلها تزني،
ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني»

إنجيل متى ٥ : ٣٢

تكلّمنا سابقاً عن خطورة الزنا، وما يجلبه وجلبه من خراب على البشرية. وهنا يطبّق المسيح كيف أن الزنا يدخل عن طريق طلاق الرجل للمرأة، فإنه بذلك يجعلها تزني. فغير مسموح للرجل أن يطلق امرأته إلا إذا عرف أنها تزني سرّاً من ورائه. فإن تأكد من ذلك بشهود، فإنه يجوز أن يطلق ويعطيها كتاب طلاق.

ثم تطرّق الرب إلى الرجل إن هو تزوج بمطلقة، فإنه يُحسَب أنه يزني. لأن المرأة المطلقة طُلّقت على أساس أنها تزني. إذن فالمطلقة زانية أصلاً، فإن تزوجها رجل فإنه يُحسَب أنه يزني. كل هذا التحوُّط هو من أجل صحة وسلامة النسل والإنجاب الحلال. فوصايا المسيح تهدف دائماً لصالح حياة الإنسان حياة هنيئة تقيّة، تؤهّله مستقبلاً للحياة الأبدية في ملكوت الله.

لذلك فالامتناع نهائياً عن كل ما هو زنا، يؤدي إلى حياة العفة

والتقوى، وهو أقصى ما يطلبه المسيح من الذين يؤمنون به حتى يؤهلوا لشركة ميراثه في ملكه الأبدي. فوصايا المسيح كلها تنضح بالخير وسعادة الإنسان على الأرض. والمسيح لم يضعها لتكون ثقلًا أو نيراً على الإنسان، بل هو ينبّه أن «نيري هيّن وحملّي خفيف»^١، كيف؟ لأن المسيح لا يمكن أن يعطي وصية إلا وتكون معها حتماً المعونة والنعمة التي تسند من يلتزم بها. هنا يقول بحق وثقة: «نيري هيّن وحملّي خفيف»، لأنه هو الذي يضعه وهو الذي يحمله عنا.

وللعلم، فإن تحميل الآب خطايا الإنسان على المسيح، جعلته يصليّ ويصليّ ويتوسلّ ببيكاء ودموع كانت تتقطر من عينيه مع قطرات العرق كالدم، لكي يعفيه الآب من حمل خطايا بعينها، كالزنا والتجديف على الله. كيف يطيقها الابن الحبيب المحبوب، ويقف أمام الآب كزان ومجذّف وقاتل. هذه الخطايا بالذات أزعجت روحه فيه وأحزنته أشدّ الحزن، وتوسّل ثلاث مرات بحرقه ودموع أن يعفيه الآب من هذه الكأس، التي جعلته ملعوناً بلعنة الصليب^٢، وجعلته في ذاته خطية وهو لم يفعل

^١ مت ١١: ٣٠.

^٢ أنظر غل ٣: ١٣.

خطية^٣. ولكن لأنه نزل من السماء من عند الآب ليفدي البشرية ويخلصها من خطاياها، قال أخيراً للآب إن كانت هذه مشيئتك فلتكن هي وليس مشيئتي^٤. وحَمَلَ الصليب وأصبح «الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا»^٥، والذي كانت حياته بيضاء كالنور «صار لعنة»^٦، لأنه تقَبَّل الصليب الذي جعلته وصايا العهد القديم أن «كل من عُلِقَ على خشبة (الصليب)»^٧ هو ملعون. كل ذلك ليفدي الخطاة والزناة والقتلة والملعونين، ويخلصهم من كل خطاياهم، بل ويجعلهم أهلاً أن يكونوا شركاءه في القيامة والمجد والحياة الأبدية.

وهكذا رفع المسيح عن كاهل الإنسان وزر خطية الزنا، وحملها في جسده على الخشبة ليتبرأ الإنسان إلى الأبد.

٢١ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ أنظر ٢ كو ٥: ٢١.

^٤ أنظر مت ٢٦: ٤٢.

^٥ ٢ كو ٥: ٢١.

^٦ غل ٣: ١٣.

^٧ غل ٣: ١٣.

«ينبغي أن تولدوا من فوق»

إنجيل يوحنا ٣ : ٧

انتهى زمان الولادة الحيوانية التي بالجسد، التي لم يكن الإنسان يفترق فيها عن الحيوان في شيء. كنا نولد لنأكل ونموت. الآن أصبح أكلنا من فوق «من يأكلني فهو يحيا بي»^١، «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم»^٢. هكذا أصبح أكلنا سماوياً، وشربنا من عند الله. لذلك، ومن أجل ذلك، نحن نولد الآن من فوق من السماء من جسد ابن الله ودمه، لنحيا ليس على الأرض كالحيوانات، بل لنحيا في السموات، نحيا مع الله في ملكه السماوي. والمسيح يقول: «ينبغي أن تولدوا من فوق»، وكلمة ينبغي تأتي في اللغة الإنجليزية "must"، أي يلزم وحتماً أن تولدوا من فوق. إذن ليس هو اختياراً بعد، بل هو إلزام، إن كنا نريد أن نحيا إلى الأبد مع المسيح والله، فليس هو

^١ يو ٦ : ٥٧.

^٢ يو ٦ : ٥٣.

اختياراً إرادياً بل هو حتمية سماوية. فالإنسان الآن ارتقى من الحيوانية إلى شبه الملائكية، والملاك يتحتم أن يكون سماوياً، وإلا أصبح شيطاناً. هكذا الإنسان، إما أن يولد من فوق بشبه السماوين، وإلا يبقى تحت سلطة وحكم الشيطان.

فالمسيح جاء من فوق ليلدنا جديداً من روحه، لنصبح نحن أيضاً من فوق. والمسيح لم يقل ذلك وكأنه مجرد قول أو كلام، بل لكي نولد من فوق فكان يتحتم على المسيح أن يموت بالجسد للجسدين ليحيا بالقيامة، ويصعد إلى فوق وهكذا يُصعدنا إلى فوق. فلم نعد نقول مَنْ الذي يُصعدنا إلى فوق؟ أو كيف يكون ذلك؟ لأنه قد صرنا الآن، وليس غداً، محسوبين أننا مولودون من فوق، وأبناء الله أيضاً في المسيح. فكلمة المسيح "ينبغي" تعني: الآن ينبغي أن نعلم أننا مولودون في المسيح لنحيا فوق.

فالأرض لم تعد بلدنا، لأننا من مدينة أخرى، فوق، لها الأساسات الأزلية^٣، ولم نعد الأرض تصلح أبداً لأن تكون موطننا، فنحن نبغي وطناً أفضل سماوياً؛ أعده يسوع، ويأتي

^٣ عب ١١: ١٠.

^٤ عب ١١: ١٦.

ليأخذنا هناك^٥. فقول المسيح «ينبغي أن تولدوا من فوق»، تحصيل حاصل، لأننا وُلدنا وأصبحنا أولاد الله، فارتقينا ليس من الأرض فقط، بل ومن البشرية التي كنا ننتمي إليها من آدم، ولكن نحن الآن ننتمي إلى المسيح والله.

فالمسيح يَنبُذ ذهننا لكي نمسك بواقعنا السماوي، لذلك يقول المسيح، وهو حق، إننا لسنا من هذا العالم^٦. لأنه نقلنا بموته وصعوده من الأرض نهائياً إلى السموات، نعم نهائياً. فنحن في المسيح نعيش من الآن لوطننا الأفضل، أي السماوي، ونفتخر على كل بني البشر أننا صرنا أولاد الله في المسيح يسوع.

فإليك أيها القارئ السعيد، نقدّم التهنئة لك لأنك مولود في المسيح إن كنت تؤمن حقاً بالمسيح وصلبيه وموته وقيامته، لأنه صُلب لك ومن أجلك، ومات لك ومن أجلك، وقام وصعد إلى السموات بك ومن أجلك.

٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥

^٥ أنظر يو ٣: ١٤.

^٦ يو ١٦: ١٧.

«الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله»

إنجيل يوحنا ٣ : ٣٦

كلنا كنا أولاد غضب الله كبني آدم. ولما جاء المسيح صالحنا مع الآب^١ وفوق الصليب رفع غضب الله عنا. فأصبح الذي يؤمن بالابن له مع المسيح حياة أبدية، وإذا لم يؤمن بالابن الذي صالحنا مع الآب يمكث عليه غضب الآب بالضرورة.

فأصبح الإيمان بالمسيح معناه التصالح مع الله، وعدم الإيمان بالمسيح معناه أن نبقى تحت غضب الله. لهذا كان الإيمان بالمسيح ضرورة حتمية، لا عن تفضُّل منا، ولكن عن واقع مُلْزِم لا مفرَّ منه. ولكن في نفس الحال يظل الإيمان بالمسيح نعمة وهبة ورحمة وسلاماً للإنسان، فهو إن التزم بالإيمان المسيحي، فكأنه يلتزم برحمة الله ونعمته وهبته وسلامه. فما أعظمه التزاماً، وما أبدهه

^١ أنظر ٢ كو ٥: ١٨.

اختياراً، فكأن الإنسان يختار الحياة بدلاً من الموت، أو كأنه يلتصق بالحب وينفض عن نفسه البغضة.

فنحن نؤمن بالمسيح لننال الحياة الأبدية، وصُلح الله الآب، والخلاص من غضب الله على آدم وبنيه. لذلك فكما اخترنا ننقل خبرتنا، وكما أَسعدنا بانتمائنا إلى المسيح نسعى لِنسعد القارئ معنا حتى ينال ما نلنا. فالمسيح كما وُصف، هو كنز في حقل، لما وجده إنسان باع كل ماله واشترى الحقل ليحصل على الكنز. فالحقل معروض عليك وكذلك الكنز. وثن الحقل لا يتعدى تصديق المثل، وقيمة الكنز تساوي أكثر من الحقل، وأعلى من الدنيا التي فيها الحقل.

كل ما في الأرض فان، كل ما في السما باق، فيا حبيبي اكنز لنفسك، كنزٌ مجد لا يضيع في السماء. فمن يستخدم العالم يكون كمن لا يستخدمه^٢، لأنه في النهاية لا يبقى العالم ولا يبقى من يستخدمه. فالبقاء وحده هو لمن يغلب العالم، وليس لمن يستخدمه، وغلبة العالم هي إيماننا^٣. بمن غلب العالم من أجلنا^٤.

^٢ أنظر ١ كو ٣: ١٧.

^٣ أنظر ١ يو ٥: ٤.

^٤ يو ١٦: ٣٣.

وأعظم ما قدّمه المسيح للبشرية هو أنه غلب العالم على صليبه،
فصارت أعظم نصرة لنا أن نغلب العالم الذي غلبه المسيح لنا.
فكل سَعِينَا ينحصر في تجنّب جذب العالم الذي تسلّح ضدنا
بأكثر الملاهي لذة وشهوة، ورفع من شأن المال فأصبح هو معبود
الإنسان الأوحده. فلكي يتخلّص الإنسان من جذب العالم الشديد
أصبح يحتاج إلى حكمة ونعمة وفهم وتروّ، ووزن كل ما يقدمه
العالم اليوم بمميزاته الحقيقي، ليكتشف من أين يسعى العالم لابتلاع
وقت الإنسان في الانشغال الكاذب بمسليّاته وأخباره وملاهيّه،
ويخفي عن عينيه الهوة التي يسوقه إليها وهو يسير معصوب العينين،
لا يرى إلّا ما يملأ عينيه وبطنه ومزاجه.

فالآن ندعو إلى يقظة قلب وضمير، حتى يرى الإنسان أين
طريق الله المؤدي إلى الحياة الحقيقية الباقية إلى الأبد، وتُفتَح عيناه
ليتنجّب طريق الموت المؤكّد المختفي وراء مسليّات العالم الحديثة
وملاهيّه المغرية، فهي في الحقيقة عدو متربّص مهيباً بقوة شريرة
جارفة ليقضي على أمل الإنسان المسيحي ورجائه في الحياة
الأبدية.

٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥

«الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق،
لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له»

إنجيل يوحنا ٤ : ٢٣

السجود لله هو تقديم طاعة وتعظيم بنفس منسحقة متواضعة.
والسجود بقدر ما هو تكريم لله، هو في نفس الوقت راحة للنفس،
فالنفس لا تجد راحة أبداً إلا في الوجود في حضرة الله بانسحاق
صادق وحقيقي. لذلك فهي تخرج من حضرة الله مفعمة بالرضا
والشكر، لأن الله ليس في حاجة إلينا بل نحن المحتاجون إليه.
والمسيح لما يقول إن الله طالب هؤلاء الساجدين له بالروح والحق،
إنما يكشف لنا عن أين نجد راحتنا، لأن راحتنا في الله هي سرُّ
راحتنا على الأرض. فالذي لا يجد راحته في السجود لله بالروح
والحق، لن يجد راحة في الدنيا، حتى ولو كان أغنى أغنياء الأرض.
فنحن لله نعيش، ومنه نستمد حياتنا ووجودنا وراحتنا، وبدونه
لا قيمة لحياتنا على الأرض، ونكون كإحدى العجماوات، نأكل
ونموت. فالسجود لله اعتراف بوجوده واستظهار لوجودنا. فإذا لم

يكن لنا سجودٌ لله نكون كغير موجودين وننكر على الله وجوده.
فما أبشع هذه الحياة، وما ألعنه نصيباً.

لذلك يقول المسيح عن حق وَلَقَدْ نَظَرْتُ، إن الله طالب
الساجدين له بالروح والحق. فإذا لم ننصاع لطلب الله، ونقدم
سجوداً بالروح والحق، نكون كمن يجذّف على الله، وننكر
وجوده ونتنكّر لفضله.

على أن السجود المتواتر لله بالروح والحق، هو بآن واحد جحد
للشيطان الذي لا يطيق السجود لله. لهذا ظهر الشيطان للمسيح له
المجد وطلب منه أن يسجد له، والثمن هو أن يعطيه «جميع ممالك
العالم»^١ التي يسيطر عليها بموافقة الله، الذي دفعها له لامتحانها
واختبار مدى أمانتها لله من عدمه. فكان رد المسيح المباشر أن لله
وحده «تسجد وإياه وحده تعبد»^٢. فالسجود لله عبادة لله،
وعبادة الله جحد لسلطان الشيطان. لذلك فأسعد ساعات الإنسان
هي التي يقضيها في عبادة الله والسجود له. وسرُّ ذلك هو أننا
نستمد وجودنا وحياتنا وسعادتنا من الله، لا كل يوم بل كل

^١ مت ٤: ٨، ٩.

^٢ لو ٤: ٨.

ساعة.

وما أروعها لحظة من لحظات حياة الإنسان، حينما يهتف الشمامسة في الكنيسة: "اسجدوا لله"!!! فهذه اللحظة هي جوهر عبادتنا ونبض حياتنا الصادقة. نقوم من هذا السجود ونحن نتنفس الله ونستقبل بقية القداس وكأننا في السماء.

ونقرأ في بستان الرهبان عن المتوحدين في المغائر، أنهم كانوا ولا يزالون يجدون في السجود المتواتر، الذي بلا عدد، سرَّ حياتهم وسعادتهم وغبطتهم. وهكذا يقضون ليلهم ونهارهم، ساهرين ساجدين، إلى أن تأخذهم غفوة الموت.

وكان آباؤنا وأمهاتنا من المدمنين السجود لله، وتسلمنا منهم سرَّ العبادة والسجود لله بالروح والحق. فليت دعاء المسيح أن الله طالب الساجدين له بالروح والحق يكون هو رسالتنا إليك أيها القارئ السعيد في هذه الأيام التي انمحي فيها سرُّ السجود بالروح والحق.

٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥

«لكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية»

إنجيل يوحنا ٤ : ١٤

ماء العالم كل الذي يشرب منه يعود ويعطش أيضاً، لأنه ماء نابع من الأرض. ولكن جاء المسيح ومعه ماء حيّ، أي فيه روح الله. كل من يشرب منه يصير هو نفسه ينبوع ماء حيّ، يخرج من بطنه، أي من قلبه، أنهار من هذا الماء الحيّ، أي الذي فيه روح الله.

ومن عجائب هذا الماء الحيّ الذي جاء به المسيح من فوق، أن كل من يشرب منه لا يموت، حتى ولو داهمه موت الجسد، فهو يقوم من الموت إلى الحياة الأبدية. والمسيح هنا يقصد بالماء الحيّ أنه تعاليمه التي فيها سرّ الحياة الأبدية. وكلمة المسيح تروي النفس العطشانة إلى الحق. والجوع والعطش إلى الحق لم نسمع به إطلاقاً إلا بعد أن جاء المسيح، المحسوب أنه هو بذاته «كلمة الله»، التي

هي الحق. لذلك صرّح المسيح بوضوح أنه «الطريق والحق والحياة»^١. أما الطريق فيقصد به أنه هو واسطة العبور من الأرض إلى السماء، حيث عرش الله. أما الحق فهو استعلان سرّ الله المؤدي إلى الحياة الأبدية. وأما الحياة فهي الحياة الأبدية ذاتها. وهذا كله مكنون في تعاليمه ووصاياه. لذلك يقول المسيح في إنجيل القديس يوحنا: «إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة»^٢.

فكلام المسيح هو الحق وهو الحياة، ويؤدي بمن يستمع إليه إلى حياة أبدية، ولن يعبر على الدينونة، بل ينتقل من الموت إلى الحياة مباشرة. وكلام المسيح حلّ ويريوي النفس العطشانة إلى الحق والله. لذلك كان تشبيه المسيح لكلامه أنه الماء الحيّ حقيقة سرّية للغاية، لا تروي إلا من يعطش إليها ويجوع إليها. فكلمة المسيح غذاء للنفس وارتواء أيضاً.

والعجيب حقاً أن كل من ارتوى بكلام المسيح، يصير هو نفسه ينبوع ماء حيّ، لا إلى ساعة أو يوم، بل إلى الأبد. كل من يسمعه

^١ يو ١٤: ٦.

^٢ يو ٥: ٢٤.

يكون كمن سمع المسيح نفسه، فكما ارتوى يروي هو أيضاً. وهكذا يعيش المسيح في كل من آمن به وأحبه. كما يقول بولس الرسول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»^٣. وهكذا يصبح من يؤمن حقاً بالمسيح ينبوع ماء حي. وكأنما يعيش المسيح في كل الناس، كل من آمن وأحب.

فكما أن الماء الطبيعي يُحيي الإنسان كل أيام حياته، هكذا كلمة المسيح تُحيي كل من يسمعها، وتدخل إلى قلبه وتصريه ينبوع ماء حي. وكما أن الماء للعطشان حلو ولذيذ، يظل يشرب منه إلى أن يمتلئ، هكذا كلام المسيح لمن يستمع إليه حلو ولذيذ، يظل يشرب منه ليعود ويشرب أيضاً حتى آخر حياته. وكما أن الماء الطبيعي مركب من أوكسجين وهيدروجين، كذلك كلام المسيح مركب من حق ونور، الحق يكشف والنور يقود. فالماء الطبيعي يشربه الإنسان ويبقى كما هو في مكانه، أما الماء الحي فيشربه الإنسان ويرتقي إلى السماء. وماء الطبيعة له ينابيع وعيون بلا عدد تغطي وجه الأرض، أما الماء الحي فله ينبوع واحد في السماء يملأ كل السماء.

^٣ غل ٢: ٢٠.

يا لسعد البشرية بمجيء ابن الله، حاملاً سرَّ الماء الحيّ ليُحيي به الإنسان إلى الحياة الأبدية. المرأة السامرية أرادت أن تشرب من ماء الحياة الأبدية، فاستحال عليها ذلك لأن ليس لها زوج. فسرُّ الحياة الأبدية لا يكتنيه إلاّ الأبرار المولودون من فوق.

٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنا هو خبز الحياة، من يُقبل إليّ فلا يجوع
ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً»

إنجيل يوحنا ٦ : ٣٥

المسيح هنا يتكلم كاشفاً سرَّ الحياة الأبدية التي جاء ليمنحها للإنسان، بعد أن أكل من الشجرة المحرَّمة ومات، وأورث نسله لعنة الموت الأبدي. وسرُّ الحياة الأبدية كان هو المسيح نفسه، الذي تجسد في جسد إنسان وهو هو الإله، فكان جسده مصدر الحياة الأبدية، لأنه جسد إلهي، بمعنى أنه كان يحمل ملء اللاهوت في جسده.

ولكي يعطينا هذا الجسد الإلهي، مات به على الصليب حاملاً كل خطايا البشرية في جسده الإلهي. فلما مات بالجسد على الصليب وهو حامل كل خطايا البشرية، مات فيه كل خطايا الإنسان بموت الجسد. فلما قام من الموت حياً وصعد إلى السماء، أقام الإنسان معه وصعد به إلى السماء، في حياة جديدة هي الحياة الباقية والدائمة إلى الأبد، التي سُمِّيت بالحياة الأبدية.

ولكي يجعل المسيح جسده الحي الذي قام به من الموت في

متناول الإنسان، أخذ المسيح خبزاً على يديه، وباركه و قدسه، وقسّمه على تلاميذه ورسله القديسين، وقال لهم: «هذا هو جسدي»^١ الذي أبذله عنكم، لكي كل من يأكل منه يأكل الحياة الأبدية التي فيه^٢.

وهكذا اعتبر المسيح أنه هو خبز الحياة «النازل من السماء»^٣، الذي كل من يأكله لا يجوع إلى الحق ولن يعطش إلى بر. وكل من يأكل من هذا الخبز النازل من السماء «يحيا إلى الأبد»^٤. لهذا يقول المسيح إن «من يأكلني فهو يحيا بي»^٥، لأنه «هو خبز الحياة»^٦، والخبز هو جسده الذي مات به خلاصاً وكفّارة، وقام به حياً ليعطي به حياة سماوية لكل من يأكل منه.

ويقول المسيح إن «جسدي مأكلٌ حقٌ ودمي مشربٌ حقٌ»^٧. وكلمة «حقٌ» ترفع عن الجسد صفة المادية وتصيّرهُ حقيقة روحية إلهية. لهذا كل من يأكله يشبع روحياً إلهياً.

^١ مت ٢٦: ٢٦.

^٢ أنظر يو ٦: ٥٣، ٥٤.

^٣ يو ٦: ٥٠.

^٤ يو ٦: ٥١.

^٥ يو ٦: ٥٧.

^٦ يو ٦: ٤٨.

^٧ يو ٦: ٥٥.

كذلك فالمسيح اعتبرنا أننا حينما نأكل جسده نصبح أعضاء جسده، لهذا يقول بولس الرسول نحن أعضاء جسد المسيح «من لحمه ومن عظامه»^١. لأن أكل جسد المسيح يحوّلنا إلى كيان المسيح، فنصبح متحدين به شركاء له، سواء في آلامه أو صليبه أو موته أو قيامته، أو حتى جلوسه عن يمين الآب. والأكل وإن كان فعلاً أكلاً بالفم لخبز تحوّل إلى جسده بالصلاة والتقديس واستدعاء الروح القدس ليحلّ فيه، إلا أنه يُحسَب بالروح. هو أكل سرّي بالروح والحق، كدخول سرّي إلهي في كيان المسيح، ودخول سرّي للمسيح في كياننا الإنساني الجديد المتجدد بالروح والحق، لتبلغ الشركة مع المسيح أقصى مفهومها الواقعي.

ومن واقع الشركة في المسيح الكاملة والدائمة، نُعتبر أننا نحيا في المسيح والمسيح يحيا فينا. هذا هو معنى التجديد، فالإنسان المتجدد حاصل على شركة الحياة في المسيح التي تؤهّله إلى دخول ثابت حقيقي في ميراث المسيح لله فوق. وهذا هو بلوغ المنتهى الذي به ينعم المسيحي المتجدد، إذ يذوقه هنا ذوقاً بالروح، حياة هناك كحقيقة أزلية.

٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥

^١ أف ٣: ٥.

«إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة (أبدية) فيكم»

إنجيل يوحنا ٦ : ٥٣

هنا يرفع المسيح الأكل من الجسد المقدس والشرب من الدم المقدس من حالة الاختيار الحرّ والإرادة الحرة، إلى التزام، يُحسَب التخلّي عنه موتاً أبدياً وحرماناً أبدياً من المسيح، وبالتالي حرماناً أبدياً من الحياة الأبدية.

لأن أكل الجسد وشرب الدم، مع الإيمان الصادق بالمسيح، هو بمثابة أكل كل ما عمله المسيح لخلاصنا بالفداء الذي أكمله على الصليب، والقيامة المجيدة. فالذي يأكل جسد المسيح ويشرب دمه الأقدسين، يكون قد صدّق وشهد وآمن بكل ما عمله المسيح للخلاص المجاني. فأكل الجسد وشرب الدم مصادقة إيمانية خالصة وكاملة، ولها كل ما عمله المسيح في نفسه لأجلنا.

أي أنها بمثابة إعلان ونُطق إيماني باتخاذ المسيح رباً وإلهاً. لذلك تدخل الشركة المقدسة في جسد المسيح ودمه، جزءاً لا يتجزأ من

إعلان الإيمان بالمسيح والشهادة له. فهي عملية إيمانية ذات أثر روحي يلزم المتناول من الجسد والدم، يَهَبُهُ شركة واقعية في المسيح.

والتناول من الجسد والدم يسمّى ”شركة“. والإنسان الذي تناول يُقال إنه ”اشترك“. وذلك بمعنى واحد هو أنه نال الشركة مع المسيح. ويقول الرب إن «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه»^١، وهذا هو الثبوت المتبادل. والثبوت في المسيح درعٌ واقٍ من ضربات العدو، وضمان حياة مستقرّة في المسيح.

وفي العصور الأولى للمسيحية كان يُعمل سرُّ الشركة بكمية كبيرة ويوزع على البلاد البعيدة التي ليس فيها كنائس بشرط أن لا يبيت، إذ يلزم أن يؤكل في يومه. لأن معظم البلاد لم يكن لها أسقف، وكانت الكنيسة تتمسك بأن الذي يعمل سرُّ الشركة هو الأسقف فقط. وبالرغم من ذلك كان المشتركون في الإفخارستيا يُعدُّون بالألوف. لأن مخافة الرب وسرُّ التقوى كان يتحلّى بها كل المسيحيين.

وفي العصور القديمة كان لا يُقام عشاء الرب، أي سرُّ

^١ يو ٦: ٥٦.

الإفخارستيا، إلاَّ يوم الأحد فقط، الذي كان معروفاً باسم يوم الرب. ولكن أصبح اليوم يُعمل في بعض الكنائس كل يوم، وبالرغم من ذلك فإن عدد المتناولين هم دائماً قلة، وذلك بسبب انعدام التقوى والتمسُّك بالإيمان والكنيسة.

وصلاة الكنيسة على الخبز والخمر تُسمَّى قداساً، ويُعمل في الساعات الأولى مبكراً في النهار. وكان قديماً يترأس القداس ويقوم به الأسقف، ولكن الكاهن الآن أصبح هو المعين لصلاة القداس. والقداس له صلاة محددة ألفها أساقفة قديسون، والمعروف منها في مصر والمتداول في الكنائس هو قداس القديس باسيليوس، وقداس القديس اغريغوريوس، وقداس القديس كيرلس الكبير الذي كان أصلاً قداس القديس مرقس الإنجيلي، وهو أكثر القداديس طويلاً ورهبة. ولكن أكثر القداديس تداولاً في مصر هو قداس القديس باسيليوس أسقف كنيسة قيصرية الكبادوك.

وكان في العصور الأولى - كما قلنا - لا يقوم بعمل القداس إلاَّ أسقف الكنيسة، ولكن الآن أصبح الكاهن هو المسئول عن الكنيسة ويقوم بعمل القداديس. وقديماً وإلى اليوم يصحُّ عمل القداديس في البيوت التي فيها مرضى مقعدون يتعذَّر عليهم الذهاب إلى بلاد أخرى للتناول، حتى لا يُحرَم المرضى من تناول

جسد الرب ودمه.

وكانت القداديس تقام قديماً من أجل أزمات الكنيسة والبلاد
وأيام الحروب والثورات لطلب الرحمة والعون السمائي، ليتحنن
الله على شعبه.

٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥



«وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع»

إنجيل يوحنا ١٢ : ٣٢

قال هذا يسوع عن ارتفاعه على الصليب. وفي الحقيقة كان هذا الارتفاع الأرضي تمهيداً بديعاً لارتفاعه بعد ذلك إلى السماء. فالارتفاع الأول جذب إليه الجميع، المؤمنين بصليبه، الذي به وعليه أوفى عن الإنسان ذنّ الخطية الذي أحطَّ الإنسان إلى الأرض، فرفعه المسيح على الصليب. وفكَّ الإنسان من التصاقه بالأرض لما رُفِعَ عنه ثقل الخطية المريع، الذي ربط الإنسان بتراب الأرض، يحيا منه ويموت تحته. فكانت مكانة الإنسان: من التراب جاء وإلى التراب يعود^١. فلما ارتفع المسيح على الصليب رفع معه الإنسان من موت اللعنة إلى حياة الخلاص. فتحرر الإنسان لأول مرة من حبوس الأرض ولعنتها، إلى إشراق السماء ونورها. لأن الإنسان انتقل مع المسيح من الصليب إلى قيامة سمائية أجلسه عن يمين الآب. وهكذا كان الصليب هو قوة الرفع التي رفعت الإنسان

^١ تك ١٩: ٣.

مع المسيح من الأرض إلى السماء، ومن ظلمة الأرض إلى نور السماء. فكان جذب الصليب قوة رافعة، رفعت الإنسان من عبودية الخطية وقيودها، التي ربطت الإنسان كعبد من رقبته لخدمة لعنة الخطية، إلى حرية مجد أولاد الله المُنعم عليهم ليعيشوا في السماء، ليس كأحرار فقط، ولكن كملوك وكهنة لله العلي^٢.

في الصليب، في الصليب، راحتي بل فخري. لأنه رفعتني من حضيض الخطية والتراب، لشركة ابن الله في المجد وميراثه في الآب. ومهما مدحنا وشكرنا وهتفنا بمجد الصليب فلن نوفي قوته الجبارة التي ظفرت بالعدو وكل أعوانه^٣، وأردتهم إلى أسفل السافلين، ورفعت عن الشيطان زعم قوته الكاذبة وإغراءاته القاتلة، وعزته عرياً مخزياً، وخلّصت الإنسان من عبوديته إلى حرية أولاد الله في المجد.

الصليب الذي هو آلة التعذيب والفضيحة والعار، صار وهو حامل المسيح أرفع من تاج الملوك. وجعله المسيح عرش مجده الإلهي، الذي أصبح موضوع عبادتنا وفخر ديانتنا، وراحة نفوسنا ونور عيوننا، وعلم نصرتنا. وصَدَقَ المسيح أيّما صِدْقٍ حينما

^٢ رؤ ١: ٦.

^٣ أنظر كو ١٥: ٢.

قال إني إذا ارتفعت عن الأرض، قاصداً بذلك الصليب، فأجذب وهو سيجذب كل من انفتحت عينيه على الحق الإلهي وعرف أعماق أعماق أسرار الصليب.

وُضِعَ الصليب على رقبة كل النساء والرجال افتخاراً وتيمناً بالمصلوب عليه، وعُلِّقَ على صدور كل من ملأت صدورهم نعمة القدير، كوسام المجد الأرفع من وسام الملوك.

وملأ الصليب كل العالم، فأصبح العالم ملكاً للمسيح، بعد أن تملك عليه الشيطان كل العصور السالفة. وبالصليب انتزعت ممالك العالم من قبضة الشيطان، وتحرر الإنسان من عبوديته وسُخِّرَتْه.

فماذا نحن عاملون، يا إخوة، إزاء الرفعة التي رفعنا إليها المسيح، سواء بصلبيه أو قيامته؟ فنحن مدينون للمسيح بحياتنا الجديدة، وإيماننا المجيد، وفرحنا الذي لا يُنزع منا.

٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ أنظر يو ١٦: ٢٢.

«أنا قد جئت نوراً إلى العالم
حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة»

إنجيل يوحنا ١٢ : ٤٦

كان العالم قبل مجيء المسيح يعيش في حياة محكومة بقبضة الشيطان، في ظلمة عقلية وروحية ودينية، تتحكم في كل ملكاته، من عبادات وثنية تقوم على الخرافات العقلية، وانحرافات أخلاقية تسيطر على كل غرائز الإنسان. وفي وسط هذا الظلام أشرق نور المسيح، ينادي بالعفة والطهارة وقداسة السيرة، ويدعم تعليمه بالآيات التي كان يعملها وسط الشعب، من شفاء كل أنواع الأمراض وإقامة الموتى والتعليم القائم على الحق والمعرفة المستتيرة. فابتدأ الإنسان يكتشف بنفسه أسرار الخلق، وقواعد الإيمان الصحيح، والتمسك بالمبادئ الجديدة القائمة على عبادة الله بالروح والحق. وأقام المسيح رسله وتلاميذه ينادون بقرب ملكوت الله، الذي يدعو المسيح إليه، ويُجرون الآيات والمعجزات وسط الشعب الذي ابتدأ يستيقظ على التعاليم الجديدة، ويتعرف على

مستقبل حياته الأبدية.

وبعد أن عيّن المسيح رسله الإثني عشر، الذين أخذوا يجوبون مع المسيح جميع مدن فلسطين، عيّن الرب سبعين رسولاً آخرين، ليُغطّوا حاجة الخدمة والتعليم في كافة البلاد. وهكذا ابتدأ نور المسيح يملأ ربوع البلاد، وتعاليمه تُغطّي كل العقول والقلوب. وتعبير الإنجيل، ابتدأ الشعب الجالس في الظلمة يرى «نوراً عظيماً»^١.

وابتدأ المسيح من الجليل، التي كانت تعيش في الظلمة سنين كثيرة، ومنها امتدّت كرازة المسيح والتلاميذ إلى اليهودية وأورشليم. وهكذا عمّ نور المسيح كل البلاد.

وعندما قَرُبَ زمان الصلب، أنذرهم المسيح قائلاً أن «النور معكم زماناً قليلاً بعد، فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام»^٢. واضح من هذا الكلام أن المسيح ركّز على أن النور هو وجوده بينهم، وأن بارتفاعه سيغيب عنهم مصدر النور الدائم الحقيقي، ولا تبقى منه إلاّ تعاليمه ووصاياه، التي تركها لبني البشر.

^١ مت ١٦: ٤.

^٢ يو ١٢: ٣٥.

وهكذا أصبح الإنجيل بعد صعود المسيح، هو المصدر الوحيد الذي استمرَّ يشعُّ بنور المسيح، إلى أن ورثناه نحن بني القرن الحادي والعشرين. أي أن عمر الإنجيل هو هذه السنين كلها يشعُّ بنور المسيح، الذي نستنير به ونحيا به ونحيا في المسيح وكأنه معنا وبيننا، لأن الإنجيل يحمل لنا هذا النور الذي أضاء المسكونة منذ هذه الآلاف من السنين.

وأينما يُكرز بالإنجيل يحلُّ الروح القدس ويدعّم الأقوال بالأعمال، يأخذ من المسيح ويخبرنا، ويفرّح قلوب السامعين والعاملين. ونور الإنجيل الذي هو المسيح ذاته، حينما يتوفّر الإنسان للاستيعاب منه يستضيء بنور المسيح. وإن هو داوم على الحياة في نور المعرفة التي يغرسها الإنجيل بالروح في قلوب الدارسين، فالنور يتحوّل إلى استنارة، بمعنى كشف حقائق الحياة في المسيح وأسرارها. والاستنارة تضيء بالمعرفة، وهكذا يصبح الإنسان المتمرّس في الإنجيل مصدراً للنور، لأن المسيح نفسه يصبح هو العامل فيه. والمسيحية قامت على أعلام من قديسين وأساقفة أناروا أجيالهم، ولا زلنا نستقي من نورهم.

٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥

«لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو
أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم، وأنا أعلم أن وصيته
هي حياة أبدية»

إنجيل يوحنا ١٢ : ٤٩، ٥٠

أعمق أسرار المسيح هي التي يكشفها هنا بصورة واضحة دقيقة.
فإن كنا نعلم علم اليقين أن الآب والابن واحد، ولكن هنا
يوضح المسيح أنه يستمد تعليمه الذي جاء به إلى العالم من فوق
من عند الآب. مما يجعلنا نرتب تعليمنا من جديد على أساس أن
الآب السماوي أرسل ابنه يسوع المسيح ودعّم كل تعاليمه بنفسه.
فالذي نسمعه من المسيح هو صوت الآب مسموعاً بالمسيح. وهذا
في الحقيقة يؤكد ويدعم قول المسيح: «أنا والآب واحد»^١.
فالمسيح بنزوله إلى عالمنا لم يفارق الآب ولا فارقه الآب، لذلك
علّمنا المسيح في صلاة «أبانا الذي» لنقول: «كما في السماء

^١ أنظر يو ١٠: ٣٠.

^٢ يو ١٠: ٣٠.

كذلك على الأرض»^٣، بمعنى أن المسيح ينقل لنا السماء والآب في ذاته، لتصبح أرض الإنسان سماءً جديدةً بحلول المسيح وفيه الآب. وهذا في الحقيقة تصوير بديع للغاية لقيمة مجيء المسيح إلينا من عند الآب، حاملاً صورته الجوهرية وصوته وتعليمه، لكي حينما تكمل غربتنا على الأرض وننتقل إلى السماء، نجد الآب الذي نعرفه في المسيح هو هو، في مجد واحد وكيان واحد. ونعيش في حضن الآب كما يعيش المسيح فينا: «وسأعرفهم (اسمك) ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم»^٤، هذا آخر سرٍّ من أسرار المسيح كشفه لنا قبل الصليب مباشرة كآخر ما قاله.

والآن أيها الصديق العزيز، أتوسّل إلى الله ليفتح بصيرتك، لتدرك عمق سرّ الآب في المسيح، وسرّ المسيح في الآب، لأنه هو سرُّنا الذي سنعيشه مع الآب والابن في الحياة الأبدية التي ستجمعنا هناك.

والآن ندرك أن الإنجيل بكامله هو كلمة الله التي استُعلنت لنا في المسيح، ويحمل لنا صورة من أروع الصور لانسجام الآب

^٣ مت ١٠: ٦.

^٤ يو ١٧: ٢٦.

مع الابن، الآب يتكلم بالسرّ في سرّ، والمسيح ينطق بالسرّ ويعلنه لنا لنستعلن فيه الآب والابن. لذلك كان تحصيلنا من الإنجيل ثروة إلهية فائقة القدر والقدرة، لأننا فيه لا نعود نقرأ كلاماً، بل نستعلن جوهر الآب في الابن، لينقلنا هذا الاستعلان من مستوى البشر، إلى مستوى ما للآب والابن. ويصبح الإنجيل في حقيقته وسرّه الإلهي صفحة إلهية جديدة، تُلقّنا سرّ اللاهوت في الآب والابن على مستوى الكلمة المنطوقة والمكتوبة.

من هنا نوعي القارئ أن يرفع مستوى قراءة الإنجيل إلى مستوى الرؤية السماوية، والنظر إلى فوق من حيث جاء الإنجيل وكتب. لأن الإنجيل جاء ليُطبّق الحياة الإلهية التي عاشها المسيح، على حياة الإنسان الذي فقد ميراثه السماوي بلهوه على الأرض، وأصبح غريباً على من في السماء، وبعيداً جداً عن واقعه الإلهي الذي خُلِق من أجله.

فتكون أعظم وصية يمكن تلقينها للإنسان، هي أن يعود إلى خالقه وفاديه، ويبحث من جديد عن ميراثه السماوي المحفوظ له عند الآب. لأن بدون النظر إلى فوق من حيث يأتي عوننا، سنظل

أرضيين نعيش لنموت. فمن لي ببوق سماوي أُنذر به إخوتي وأحبائي، وآبائي وأمهاتي، أن لا يفقدوا ميراثهم السماوي جرياً وراء مباهج الدنيا ولهوها، لأن الخسارة مريعة لن يتصورها هنا أحد، ولكن عندما يؤخذ ويُرمى في جهنم يكون البكاء والندم وصرير الأسنان^٦.

من أجل كل هذا استيقظ أيها النائم، واجتث عن مصدر حياتك وغايتها، لأن العالم مكان غربة لا مكان استيطان.

٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥

^٦ أنظر مت ١٢:٨.

لما أخذ يهوذا اللقمة وخرج من العشاء، قال الرب:
«الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه»

إنجيل يوحنا ١٣ : ٣١

عندما خرج يهوذا من العشاء الأخير لئسلم الرب، قال المسيح:
«الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه». هكذا كان شبح
الصليب عند المسيح، إذ لما خرج يهوذا عن العشاء، بدأ العدُّ
التنازلي لتسليم المسيح لأيدي صالبيه. وعجيب حقاً أن يعتبر
المسيح هذه اللحظة أنه تمجد، وتمجد الله فيه. فهل المسيح كان
يعتبر الصليب مجداً له؟ نعم، لأن على الصليب أكمل المسيح
عملين عظيمين، الأول أنه ظفر بالشیطان^١ ليمحو وجوده من
العالم، والثاني أنه كسب قضية الإنسان الذي استعبده الشيطان
وأوقعه تحت الخطية وحكم الموت الأبدي. فكان هذا منتهى عمل
الابن الذي أرسله الآب ليخلص الإنسان ويفديه من الموت
الأبدي.

^١ أنظر كو ١٥: ٢.

وبالصليب ظفر المسيح بالشیطان وكل أعوانه، وفضح أعماله التي عملها ضد الإنسان، فضيحة أورَدته إلى الحبس الأبدي، الذي سينتهي بالإبادة. فكان هذا مجد ذاته أعظم تمجيد لله والمسيح، إذ به بدأ الخلاص للإنسان من عدوّه، الذي دوّخ البشرية آلاف السنين. فكان بالصليب موت الموت، وإعلان بدء الحياة الأبدية للإنسان. ولما مات الابن على الصليب، وأكمل بالتمام مشورة الآب لتخليص الإنسان وفدائه، تمجّد الآب في الابن وبالابن، إذ أكمل المسيح مشورة الآب وأعاد إليه الإنسان مُصَالِحاً، بعد خصام وعداوة ظلت تحكم علاقة الإنسان بالله منذ سقوط آدم.

فكان أن تنفّس المسيح الصعداء لحظة خروج يهوذا ليسلم المسيح لأيدي صالبيه. وهذا ما لم يلحظه التلاميذ، حتى وبعد إعلان المسيح أنه بدأت ساعة المجد له ولله الذي أرسله! لأن الكلام كان في سرٍّ إلهي أعلى من مستوى التلاميذ آنذاك.

أما نحن، فكان قول المسيح أنه تمجّد وأن الله تمجّد فيه، بمثابة دخول الإنسان مُسَبِّقاً في مجد المسيح والآب. لذلك تُحسَب هذه اللحظة في حياة المسيح وفي الإنجيل، هي لحظة نصرة الإنسان ودخوله عهد الخلاص والمجد الأبدي.

لذلك نحسب أيها القارئ اللبيب، أن تصريح المسيح هذا على العشاء، هو بدء مجد الإنسان أيضاً في مجد المسيح والآب. ويُحسب هذا التصريح من المسيح في هذه اللحظة محوراً أساسياً في الإنجيل، يتركز فيه نهاية خدمة المسيح على الأرض، وبداية استعلان نصيب الإنسان في مُلك السموات. إلى هذا الحد كان ترقب المسيح لهذه الساعة كل حياته، لذلك صاح المسيح معلناً هذه الحقيقة وهو في قمة إحساسه أن ختام حياته على الأرض قد تقرر، ليبدأ العدُّ التنازلي للصعود إلى حيث أتى، ليبلغ الآب بختام الرسالة ويطلب صلحاً للإنسان.

٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي»

إنجيل يوحنا ١٤ : ١

كان اليهود من أشدّ الناس وأعنفهم في إيمانهم بيهوه، الذي هو الله. ولما جاء المسيح جاء ليأخذ دور يهوه تماماً، فكان الأمر من أصعب ما يمكن على اليهود، وخاصة الكتبة والفريسيين ورجال الكهنوت، إذ لم يطبقوا قط أن يتكلم عن نفسه كمن له سلطان يهوه وأكثر. فكونه يقول إنه ابن الله، أي ابن يهوه، اعتبروا ذلك تجديفاً، وأرادوا مراراً رجمه بالحجارة. فكان المسيح يلجأ في الدفاع عن نفسه إلى قوله إنه يعمل أعمال الله، فلماذا الرجم، وهو القادر أن يقيم الموتى ويشفي جميع المرضى بجميع الأمراض؟ فكان يسأل مَنْ رفعوا الحجارة ليرجموه: أيّ عمل أنا عملته حتى ترجموني، «إن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال»^١، فالأعمال «تشهد لي»^٢ إني «أنا والآب واحد»^٣. فكانوا

^١ يو ١٠: ٣٨.

^٢ يو ١٠: ٢٥.

^٣ يو ١٠: ٣٠.

يسدّون آذانهم ويصرخون في وجهه: ليس من أجل أعمال عملتها، بل من أجل أنك «وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»!!^٤

ولكن هنا ومن هنا يُستعلن سرُّ المسيح، أنه وهو إنسان، هو هو إله. فمن ذا يصدق؟ كان الأمر يعلو على عقولهم وفوق طاقتهم في التفكير. فلجأ المسيح لهذه الآية: «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي». كان هذا عسيراً على عقولهم وعلى إيمانهم، لأن المسيح كان يعتمد على إقناعهم بالأعمال التي لا يعملها إلا الله. فكانوا يصرخون بأنهم غير فاهمين ولا مصدّقين. لأنه كما يقول إشعياء النبي إنه قد انطمست عقولهم حتى لا يفهموا وحتى لا يؤمنوا^٥. وكان هذا الأمر بالذات معروفاً لدى المسيح. ووافق عليه بولس الرسول وصرّح به، وهو المطلع على سرِّ المسيح والله، أن «الإيمان ليس للجميع»^٦، وأنه قد انطمست عقولهم وقلوبهم لأن الله والمسيح أيضاً كان ينبغي تبعيتهم له، ويصرّح لهم علناً أنهم ليسوا من خرافه، لأن خرافه هو يعرفها وهي تعرفه. وأعلن لهم أنه لا يمكن

^٤ يو ١٠: ٣٣.

^٥ أنظر يو ١٢: ٣٨-٤١؛ إش ٦: ٩، ١٠.

^٦ ٢ تس ٣: ٢.

أن يأتي إليه أحد «إن لم يجتذبه الآب أولاً»^٧. وهو حينما قال لهم «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي»، كان هذا تعجيزاً لهم، ولكن كانت هذه هي حقيقة بل وجوهر حقيقة المسيح، فبينما هو إنسان، كان هو هو الإله الذي أرسله الله إلى العالم ليشهد له.

فحينما قال: «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي»، كان هذا القول هو حجر المحك، أو جوهر قضية المسيح، أنه لن يؤمن به إلا مَنْ دعاه الآب وجذبه جذباً للإيمان بالمسيح. لأن الآب كان له مختارون، هؤلاء هم الذين دعاهم وجذبهم ليتعلموا للمسيح ويؤمنوا به ويحبوه. فمفتاح الإيمان بالمسيح كان في يد الآب، يدعو من يشاء ويرفض من يشاء.

وفي قول المسيح هذه الآية المدخل السري إليه، أي آمنوا أولاً بالله حقاً. فإن آمنتم بالله حقيقةً، فلا بد ستؤمنون بي حتماً. وهنا فُتِح باب سرِّ المسيح، الذي هو الآب الذي أرسله، والذي أعطاه ما يقول وما يعمل^٨. وفي الواقع وعين الأمر، إن المسيح بقوله هذه الآية كان يُظهر ويُعلن لهم أنهم لا يؤمنون بالله، وبالتالي لن يؤمنوا

^٧ يو ٦: ٤٤.

^٨ يو ١٢: ٤٩.

به. فإن أرادوا حقاً أن يؤمنوا به، فعليهم أولاً أن يؤمنوا بالله. لأن الحقيقة وعين الأمر، أن الله الآب والمسيح واحد، فالذي يؤمن بالآب يكون قد آمن بالابن.

٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥



«ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي»

إنجيل يوحنا ١٤ : ٦

وكما أن من يأتي إلى المسيح يلزم أولاً أن يجتذبه الآب، كذلك لن يستطيع أحد أن يذهب إلى الآب السماوي إلا بالمسيح، وفي المسيح. فكما أن الآب هو مفتاح الإيمان بالمسيح، كذلك المسيح هو الطريق الوحيد إلى الآب. لذلك يقول المسيح إنه «ليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يُعلن له»^١. وكان الطريق إلى الآب هو الابن، كذلك الطريق إلى الابن هو الآب. لهذا أرسل الله الآب ابنه الوحيد إلى العالم ليصبح هو الطريق إلى الآب والسماء. وستظل حقيقة الصلاة التي علّمها لنا المسيح أن «كما في السماء كذلك على الأرض»^٢ هي رسالة المسيح الذي نقل إلينا السماء، كما سينقلنا من الأرض إلى السماء.

^١ مت ٢٧: ١١.

^٢ مت ١٠: ٦.

والحقيقة أن المسيح أعطانا حياة جديدة بالروح، فجدد خلقتنا لتصلح أن تعيش في السماء. وبعد أن كانت الأرض مثوانا الأخير، أصبح وجودنا في السماء مع الله الآب والمسيح، في نعمة الحياة الأبدية، هو موطننا الأخير والأبدي. وأصبح وجودنا في الأرض غربة، نقضيها بالتنهد والبكاء إلى أن تحملنا أجنحة الملائكة إلى وطننا السمائي والأبدي، حيث الفرح الدائم في حضن الله.

وهكذا، كما أخذنا المسيح في حضنه لينقلنا من الأرض إلى السماء، حينما صعد بنا يوم صعد، هكذا سيستقبلنا الآب في السماء لنعيش بقية حياتنا الأبدية في حضنه الأبوي.

ما أسعدنا بالمسيح، وما أسعدنا بالآب. الابن ابتداء والآب سيكمل، وكأننا طفل رضيع ننقل من صدر إلى صدر. ونحن لن ننسى دعوة المسيح للأولاد الصغار الذين أخذهم في حضنه، ولما تقمّم التلاميذ وكان المعلم لا يليق بأن يأتي إليه الأولاد، عنّفهم قائلاً: «دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات»^٣. ومرة أمسك طفلاً وقال: «إن لم ترجعوا

^٣ مت ١٩: ١٤.

وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات»^٤.

فنحن أطفال الله بالروح، نرضع من ثدي السماء، وننمو في النعمة والقامة لنليق بملكوت الله.

فالمسيح بقوله إنه لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بي، يؤكد لنا أنه السلم السمائي الذي قاعدته على الأرض ورأسه في السماء، وعلينا أن نصعد درجة درجة كما على سلم يوحنا الدرجي. والفائز هو من يصعد إلى النهاية، حيث يستقبلنا الآب لينقلنا إلى حضنه الأبوي. ودرجات المسيح هي في التلمذ على وصاياه، نصعد عليها كمن يرتفع من الأرض ليلبغ السماء. فوصايا المسيح هي حقاً قوة، إن سكنت قلوبنا ارتقت بنا من الأرض إلى السماء. وينبغي علينا أن لا ننسى أننا من تراب الأرض، والتراب يحنُّ إلى التراب، والمسيح هو وحده القادر أن ينقلنا من التراب إلى السماء.

ونحن حينما نقول إن التراب يحنُّ إلى التراب، فنحن نقصد من يضيّع زمانه على الأرض في الأكل والشرب واللهو، هذا هو التراب الذي ينتهي بنا إلى دينونة لا ترحم. لأن المسيح لم يدّخر

^٤ مت ١٨: ٣.

جهداً إلا وحذرنا من غواية الحيّة، التي غرّت حواء بجمال الثمرة المحرّمة، حتى عصت إنذار الله ومدّت يدها وأخذت، وأكلت ونالت الحرمان من الله والوجود أمامه. وطُرِدَت حواء مع آدم الذي أخطأ خطيئتها، وورثانا بذرة الخطية واللعة والموت. وجاء المسيح وأعطانا حياةً ووصايا كلها للحياة، ومن يستهين بوصايا المسيح يستهين بكرامته وحبّه، وكمن يجذّف على الله، فيُحسَب ابناً لجهنّم. ومن استحي بكلام المسيح، سوف يستحي منه المسيح أمام الله°.

٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥

° أنظر مر ٣٨:٨ ولو ٢٦:٩.

«وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق»

إنجيل يوحنا ١٤ : ٤

أما أين ذهب المسيح، فقد أعلن السرّ أنه ذهب إلى الآب في ملكوته الأبدي. أما الطريق فكان رهن صعوده، إذ كيف هو سيسلك الطريق إلى الآب، إذ كان هذا سرّ الأسرار المخفي حتى عن الملائكة.

ولكن أعلن الطريق وتعيّن وتعبّد، لما ارتفع المسيح على الصليب. إذ كان الصليب هو الباب السرّي والإلهي الخاص بالمسيح، الذي سيفتحه بموته المبارك المقدّس على الصليب، حيث سُمّر الجسد من اليدين والرجلين بمسامير نافذة، فجرت الدم من عروق الجسد جميعاً حتى آخر قطرة، حينما نكّس الرأس وأسلم الروح في يد الآب. فأعلن تواً لدى من عندهم سرّ المسيح، أن الجسد المجروح الميت سيكون هو هو الطريق، بعد أن يقوم من الأموات حيّاً، ليصعد به إلى السماء فيُدشّن الطريق المؤدي إلى السماء والله.

كان التلاميذ واقفين ساعة صعوده، فانذهلوا وتذكروا كلامه،
أنه سبق وأعلن عن موته وعن قيامته. ها هو صعوده يؤكد لهم
كل ما قاله المسيح، فرجعوا إلى العلية فرحين يتحادثون عن حياتهم
الجديدة في الإيمان بالرب، وانتظار ذهابهم إليه بفارغ الصبر.
وأخيراً جاء ميعاد ذهابهم إليه في نفس الطريق، فكانوا أول من
نفذ وعد المسيح، وكانوا وما زالوا في انتظارنا فوق.

وتمت رسالة المسيح بكل حكمة وفطنة، وبإعجاز يفوق العقل
والمعقول. إذ كيف كان ممكناً لنا أن نصعد إلى السماء ونكون مع
الرب كل حين، بل وكيف كانت البشرية ستتخلص من لعنة
الخطية وعبودية الموت ورعبته؟ كيف كنا سنعيش تحت عبودية
الموت والشيطان؟ الآن عرفنا أن القدير صنع بنا ولنا عظامم وتمجد
اسمه القدوس^١ في حياتنا وموتنا وقيامتنا التي ستكون.

كيف استطاع الله الذي لعن الأرض، أن يرفع لعنته عن الأرض
والإنسان؟ الآن ندرك جبروت ما صنعه الله بالمسيح وفيه. والآن
علمنا مدى حب الآب والمسيح لنا، وكيف ضحّى الآب بابنه
وأسلمه للعذاب والألم والموت على الصليب عنا ومن أجلنا.

^١ أنظر لوقا ٢٤: ٤٩.

فأصبح إيماننا بالمسيح هو أقل ما نقدمه اعترافاً بفضل الآب والمسيح.

فإذا منعنا الإيمان عن أنفسنا، فماذا تكون عيشتنا، وماذا سيكون موتنا، ألا سيكون كموت حمار يوارى دفنه بالتراب؟

أيها الصديق، وأيتها الأخت العزيزة بالرب، أدعوكم بتقديم إيمانكم الصادق والقوي إلى الله الآب، اعترافاً بفضل ابنه الحبيب، الذي تعذب ومات مصلوباً ليضمن لنا صلح الآب ورضاه، ويفتح لنا الطريق إلى السماء، شيء لم يُسمع به قط، ولا في الخيال، حققه لنا المسيح، وجعل دخولنا إلى السماء وميراث الابن في الحياة الأبدية في السماء حقاً مكتسباً لنا، لم نتعب فيه ولا دفعنا ثمنه مليماً واحداً.

أدعوك أيها الحبيب، والأخت الطيبة، أن تستجيبوا لرجائي، وتقدموا أنفسكم للمسيح، مؤمنين وأمناء على سر الحياة الأبدية الذي جعله المسيح ميراثنا الأبدي السماوي.

٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس، الذي رأيي فقد رأى الآب ... أأست تؤمن أني أنا في الآب والآب في، الكلام الذي أكلّمكم به لست أتكلّم به من نفسي لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال»

إنجيل يوحنا ١٤ : ٩، ١٠

المسيح يحقق هنا أنه هو والآب واحد، وأن الآب حالٌ في الابن، يقول المسيح بقوله ويعمل المسيح عمله. فالآب هو القائل وهو العامل في المسيح وبالمسيح. فالمسيح لا يتكلّم من نفسه ولا يعمل من نفسه، لأن وحدة الآب والابن حقيقة قوية للغاية، وسرّها وحده في المسيح المتكلم والعامل بالآب. وهنا إعجاز اللاهوت، لأن الآب والابن لاهوت واحد، فما يقوله الآب يقوله الابن بآن واحد، وما يعمل الآب يعمل الابن بآن واحد. فإن ظهر لنا أن الابن يعمل ويقول من نفسه، فلأن لاهوت الآب مستتر في لاهوت الابن، لا يفرق عنه ولا لحظة واحدة. وهذه هي حقيقة المسيح الذي أرسله الآب ليعمل الأعمال التي دبّها الله لخلاصنا.

«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»^١. فابن الله جاء ليعمل عمل الله لخلاص الإنسان وفدائه وحياته الأبدية. هذه الحقيقة الإلهية لا ينبغي للقارئ أن يتوقف عندها، لأنها حقيقة الآب والابن وليست حقيقة الإنسان. بل ينبغي للإنسان أن يأخذها كحقيقة الله المعلنة له في داخل أعمال خلاصية وفدائية، أكبر جداً مما يحاول الإنسان أن يحلها. فالإله ابن الإله جاء ليعدم الإنسان الساقط والمعاند لله، فليس للإنسان الساقط إلا أن يقوم مع الذي يمسه ويقوم به، ولكن لا يتبجح على من أقامه من سقطته ويسأله كيف ستقيمني؟

ولكن نعود ونقول، إن المسيح جعل سرَّ اللاهوت في متناول فهم الإنسان ومعرفته، بأن أخذ جسداً كجسده، وعاش على الأرض كما يعيش الإنسان، وجربه الشيطان كما يجرب الإنسان. لذلك يقول الكتاب إن المسيح جاء ليعيش مع إخوة كثيرين وكأنه أخٌ لهم^٢.

^١ يو ٣: ١٦.

^٢ أنظر رو ٨: ٢٩؛ عب ٢: ١١، ١٢.

والمسيح هنا يعلن عن سرٍّ لاهوتي خاص، أن مَنْ رَأَى المسيح يكون قد رَأَى الآب، وهو سرٌّ معروض للإيمان وليس للبحث أو التفكير. والعجيب أن هذا السرُّ يظل مستوراً ومُبْهَمًا إلى أن يقبله الإنسان ويصدقَه، فَيُسْتَعْلَن له في الحال. لأن الذي يربطنا بالمسيح وبالآب هو الإيمان، وليس العقل والسؤال والجواب. فالذي يؤمن بالمسيح يؤمن بالآب فوراً، ومن يؤمن بالمسيح والآب يصبح عنده كل الجواب عن كل سؤال.

فحياة الإنسان الجديدة المهداة لمن يؤمن بالمسيح، تصبح هي بذاتها الجواب المقنع والمذهل لكل من يسمع ويرى، لأنها تعكس صورة المسيح الخفية، ويكون في هذه الحياة الجديدة قناعة ما بعدها قناعة لأي إنسان يبحث ويفتّش عن الإيمان بالمسيح.

فإيماننا القوي والصادق بالمسيح، الذي فيه وبه ملء السلام والمحبة، يستطيع أن يقنع أي إنسان بمن هو المسيح وما هو الإيمان به. لذلك يقول المسيح عن حق: «أنتم نور العالم... أنتم ملح الأرض»^٣، فإيماننا الحيّ بالمسيح نستطيع فقط أن نركز ونبشّر بالإيمان بالمسيح، وبدون هذا الإيمان الحار يصبح كلامنا عن

^٣ مت ٥: ١٤، ١٣.

المسيح بارداً ولا طعم له. لذلك يقول القائل: «ما أجمل (وأحلى)
أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات»، فمن أين تأتي الحلاوة
إلا من الإيمان الفاعل بالمحبة؟

٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ رو ١٠: ١٥.
^٥ غل ٦: ٥.

«لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم»

إنجيل يوحنا ١٤ : ١٨

وعدُّ المسيح بأنه يأتي إلينا ولن يتركنا يتامى، أكمله بالحرف الواحد. فنحن عرفنا وتأكدنا أنه أتى بعد قيامته فعلاً. أتى إلى رسله وتلاميذه، وظهر لكثيرين. يقول الإنجيل إنه ظهر لخمسمائة أخ كان معظمهم باقياً في الأيام الأولى^١. ونحن علمنا أن كثيراً منا رأوا المسيح آتياً إليهم، وهم شهود أحياء حتى يومنا هذا. فالسيدة "جولشان" الباكستانية رآته وتكلم معها، وذهبت تبشِّر به في أوروبا. و"بلكيس" الباكستانية تنصَّرت على يديه وذهبت تركز به في أمريكا. و"فيبي" المصرية تنصَّرت على يديه وقادها بنفسه عبر مصر كلها، وأوصلها حتى هولندا وهي تبشِّر هناك وتظهر في التلفزيون حتى اليوم. ورأيناها وهي تبشر بالمسيح بقوة لأنها تمتعت برؤيته والحديث معه سنين كثيرة. وغير هؤلاء ألوف كثيرون شاهدوا ورأوا وبشَّروا ولا يزالون يبشِّرون حتى اليوم. فالمسيح كان صادقاً أيَّما صدق، أنه لن يتركنا يتامى، فنحن

^١ أنظر ١ كو ١٥ : ٥-٨.

كلنا ننعم بأبوتّه وأخوتّه الحانية. فنحن الآن لسنا وحدنا في هذا العالم القاسي، ولا نجاهد وحدنا فهو معنا. ولا نقول إنه قريب منا، بل كما يقول بولس الرسول: «أما رأيت يسوع المسيح ربنا»^٢، و«أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»^٣. فالآن نحن ننعم، لا بوجود المسيح معنا فقط، بل فينا يتألم بألمنا ويسعد بسعدنا، ويُفرّج قلوبنا في وقت الشدة والضيق.

فلن أترككم يتامى أكملها المسيح بالحرف الواحد، فكان أحنّ من ألف أم، وأقدر على معوتتنا والحفاظ علينا أكثر من ألف أب؛ بل ولن يوجد مثل المسيح في الأمومة كلها ولا في الأبوة كلها.

لأنه إن كان هو الله حقاً، فحقاً هو أبونا وأمنّا، لا إلى طفولة وحسب، بل وإلى ملء الرجولة، وعلى الأرض وفي السماء، وفي هذه الحياة والحياة الأبدية عنده. وحقاً لبولس الرسول أن لا يحيا هو بل المسيح يحيا فيه. فماذا يمكن أن يريد الإنسان من سند ومعونة وحفظ ورعاية وحمى؟ فإن كان فينا من هو يتيم حقاً بلا أب ولا أم، فالمسيح يتبنّى اليتامى ويعطف عليهم، ويمسك بيدهم ليعبر بهم هوة هذا العالم، ويأخذهم عنده ينعمون بنعيمه ويتمتعون

^٢ ١ كو ٩: ١.

^٣ غل ٢: ٢٠.

بأبوتّه وأُخوتّه التي لا يمكن أن تدانيها أبوةٌ أو أمومةٌ أو أُخوةٌ.
 فالمسيح صار لنا غطاءً سماوياً، يحمينا من تقلبات الإنسان
 والزمان والشیطان. نعيش في حماه كما يقول هو نفسه، إنه يجمعنا
 تحت جناحيه كاللدجاجة التي تحمي صغارها تحت جناحيها، هذا
 إن أردنا! وإن آمنا به حقاً واحتمينا به وحده. فنحن كتكوت
 الرب نحيا بالحق تحت جناحيه، نأكل من فمه كلمات الشبع
 والقوة، ونشرب من حبه «ماء الحياة مجاناً»^٥.

فقول الرب «لن أترككم يتامى»، هو أعزُّ ما قال وأحنُّ ما
 قال. ويقول هذا يا إخوة، نحن نقيس محبته، فنجدها لا بالأشبار
 بل بالفراسخ والأميال، بل وعلى مدار الأرض كلها لن نجد من
 يحبنا حبه ولا من يرعانا في غربتنا رعايته. فنحن لا نعيش حقاً
 على الأرض، فالمسيح جعل أرضنا سماءً، وغربتنا وطناً عنده، وبقاءً
 واستقراراً وثبوتاً يدوم إلى الأبد.

٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ أنظر مت ٣٧:٢٣.

^٥ رؤ ٦:٢١.

«سلاماً أترك لكم، سلامي أُعطيكم،
ليس كما يعطي العالم أُعطيكم أنا»

إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٧

حان موعد فراق المسيح عن تلاميذه، فترك لهم تركة أثمن من
الجواهر وكل ما في الأرض: «سلاماً أترك لكم».

ليس من فراغ يترك لتلاميذه السلام، ولكن بعد أن هبَّ العالم
للسلام، إذ محَا الخطية وغلب الموت، وظفر بالشیطان أو كان على
وشك أن يظفر به على الصليب^١. وقبل الصليب قال إن الشيطان
سيأتي ولكن «ليس له في شيء»^٢. أي قد حَيَّد الشيطان تماماً قبل
الصليب، تمهيداً لأن يظفر به على الصليب.

ولأول مرة منذ آدم تعرف الأرض ويعرف العالم السلام، لأنه
كان قد انتزع من الإنسان ومن الأرض. وعاش الإنسان كل
الدهور السالفة طريد نفسه، لا يجد سلاماً ولا استقراراً. وهنا

^١ أنظر كو ١٥: ٢.

^٢ يو ١٤: ٣٠.

يعطي المسيح سلامه، ويهب تلاميذه سلامه، تركه لهم على الأرض، التي كانت أرض شقاء وعالم بغضة ونزاع.

والمسيح يقارن سلامه بسلام العالم الكاذب، فسلام العالم ليس سلاماً قط بل خداعاً وسراباً وكذباً. فبيد كان العالم يعطي، وباليده الأخرى خنجرٌ مصوّبٌ لنزع الحياة كلّها. وكان العالم في عمله هذا مسروقاً بقوة الشيطان القتال «للناس من البدء»^٣.

والمسيح يعطي سلامه بعد أن أمّن عليه بحياته التي كان مزمّعاً أن يعطيها حسب طلب أبيه. فكان سلام المسيح برهن حياته على الصليب، وما أفدحه رهاناً، وما أصدقته رهاناً. فالصليب كان مصوراً أمام المسيح منذ بدأ يكرز ببشارة ملكوت السموات، لأنه يستحيل أن يُفتح باب الملكوت إلاّ بسفك دم المسيح على الصليب.

فسلام المسيح الذي أعطاه وتركه لتلاميذه، كان مؤقتاً إلى أن يتمّ بالذبح على الصليب. فما أعزّه وما أثمنه وما أصعبه سلاماً! فلم يُسمع قط أن السلام يُهدى بالذبح. هذا كان قدر المسيح، الذي نزل من السماء ليذبح على الصليب، ثناً مثنياً لدخول

^٣ يو ٨: ٤٤.

السلام إلى عالم الإنسان. فالآب نزع السلام وطرح الإنسان من
حضرتة، وعاد هو بنفسه الذي أمر بالسلام لِيُدْخَلَ الإنسان إلى
حضرتة، وكان الثمن دم ابنه على الصليب!

ونحن الآن نهدي سلامنا للإخوة مجاناً كأنه رخيص لا ثمن له،
غير مدركين أن عودة السلام للإنسان والعالم كان ثمنه فادحاً
لللغاية، موت الابن على الصليب!

فسلاماً على الإخوة والأخوات مستمداً من صليب المسيح،
الذي نحمله بالفخر ونهديه لكل من آمن وأحب! عالمين من أين
أتى السلام، وكيف سيدوم لنا، وعلى استعداد أن نقيّمه بحياتنا.

فالسلام في العالم يُسْتَمَدُّ من إيمان من أحبّوا المسيح وقَدَّموا
حياتهم تمكيناً لبقاء سلام المسيح قائماً دائماً، يستمد منه كل
إنسان أمانه وإيمانه وسلامه، بل وحياته.

فنحن أبناء سلام المسيح نُدْعَى، وبه ندعو ونبشّر ونفدي،
فأرواحنا أرخص بما لا يقارن بسلام المسيح الذي دفع ثمنه على
الصليب.

٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به»

إنجيل يوحنا ١٥ : ٣

لأول مرة نفهم ونعرف ونتأكد، أن كلام المسيح ينقي القلب والضمير والنية، ليصبح الإنسان نقياً. نفهم من ذلك أنه لكي نبلغ إلى القداسة التي يدعو إليها المسيح، يتحتم علينا أولاً أن نتنقى من لوثة الخطية والعالم، وما يلقيه العالم والأشرار والتلفزيون من أوساخ تُعكّر صفو طهارتنا ونقاوة قلوبنا. فالذي يفتح أذنيه وعينه لما يشتم به الناس بعضهم بعضاً، وما يصوره لهم التلفزيون دون رقيب ولا حياء، يملأ القلب بأوساخ يستحيل التنصل منها، بل تبقى في مخيلة الناس ويتولد منها تصوّرات وأفكار تعكّر صفو القلب والضمير، بل تمحو منه روح القداسة والتقوى، ولا يعود الإنسان المسيحي مسيحياً، بل ابن التلفزيون ووساخات الشارع. فيا ليت تتكوّن رابطة تدعو إلى التخلص من التلفزيون، وتسهّل على العائلات الشريفة نزعها من البيت مقابل إعطائهم ثمنه، ويتضافر الأغنياء الشرفاء في تعويض ذلك مالياً. فالذي يُبقي في

بيته تليفزيوناً، يكون كمن استأجر عاهرة لتعيش مع الأولاد
وتعلمهم أصول الزنى والقباحة، وتسرق منهم الوقت والعفة
والطهارة.

فنحن ندعو مع المسيح، نَنقُوا بكلام الرب، وانفضوا عنكم
كلام العالم البذيء، الذي بسماعه يدخل القلب ليلوثه ويحرمه من
فاعلية الإنجيل وأقوال الرب. يا ليت المسيحيين يستيقظون من
سحر العالم الحرام، ويُقبلون على المسيح ليتنقُوا ويتطهَّروا
ويتقدَّسوا لحساب حياتهم الأبدية. فالدعوة إلى القداسة أمرٌ إلهي:
«كونوا قديسين لأني أنا قدوس»^١، فالقداسة والتقوى هي صناعة
المسيحي يعيشها ويدعو إليها.

والمسيح حينما قال: «أنتم أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمْتُكم
به»، فهو يدعو الناس إلى ترك ما للعالم والجلوس أمام الإنجيل
لاستقاء ماء العفة والطهارة من كلمات المسيح. كمریم التي
اختارت النصيب الصالح، إذ جلست تسمع وتتعلَّم من كلام
الرب، بعكس مرثا التي كانت مرتبكة بأعمال كثيرة وتركت
المسيح وتعليمه.

^١ ١بط ١: ١٦؛ لا ١١: ٤٤.

لقد أصبحت نقاوة القلب والضمير والسيرة بضاعة لا وجود لها في بيوت المسيحيين، بعكس آبائهم الذين عاشوا عيشة الإيمان بالرب وبكلماته، وتقدّست سيرتهم وسط الناس، وعُرف أن المسيحي هو من اتقى الرب وتلمذ للإنجيل والكنيسة، وكلمات النعمة التي في الكتب.

فالدعوة الآن هي لإعطاء ظهورنا للعالم، متجهين بقلوبنا نحو المسيح، نجلس إلى إنجيله ونتلمذ لكلماته، ونحيا التقوى والسيرة المقدسة الطاهرة. هذا لا يكلفنا لا مالاً ولا وقتاً، بل يفدي أموالنا وأوقاتنا وأولادنا من قبضة العالم الذي يحكمه العدو، ويسوق الناس فيه إلى هلاكهم.

وليت كلمات المسيح تدخل قلوب من يقرأون ومن يسمعون أن كلماته تَهَبُ النقاوة. والنقاوة في هذه الأيام بضاعة نادرة، لا توجد في بيوت المسيحيين، ولكن توجد في الكتب التي ورثناها من آبائنا.

فهذا الكلام سيديننا يوم الدينونة، لأنه كلام المسيح، والسماء والأرض ستزولان وكلام المسيح باق، سيكون منطوق الحكم علينا يوم الحكم. فلا تكسبوا لأنفسكم قضاء الحكم بالحرمان من

نصيب الرب، بل قدّسوا المسيح في قلوبكم وأذهانكم، وتعلمذوا
لكلامه، فكلامه سيُحييكم وينقي قلوبكم، لتصبحوا أصحاب
سيرة مقدسة في هذه الأيام التي ملأت مكيال السخط على
الإنسان يوم الحكم. فالنقاوة ملك قلوبكم وأيديكم، افتحوا
الإنجيل وقرأوا، فهذا كلام المسيح الذي ينقي حياتكم.

٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥



«لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً»

إنجيل يوحنا ١٥ : ٥

المسيح يوضح هنا أنه هو العامل فينا، وبدونه لا يمكن أن نفعل شيئاً. أما فعل الأشياء فيقصد به المسيح أعمال الروح لا الجسد. وأعمال الروح هي الخاصة بالحياة في مخافة الله ورضاه، التي تليق بحاضرتنا مع الله ومستقبلنا معه. فالحياة بدون رضا الله هي موت وليست حياة. والمسيح أرسله الآب ليعطينا الحياة الحقّة، فإن سلكنا فيها بخوف ورضا الله، نؤهل للحياة الأخرى الأبدية.

وهنا يوضّح المسيح أنه هو العامل فينا، وأنّ بدونه لا نقدر أن نعمل أعمال الله التي تؤهّلنا للحياة معه، هنا وفي الحياة الأخرى الأبدية. والأشياء التي يقصدها المسيح هي طهارة السيرة واستنارة المعرفة. أما طهارة السيرة، فأهمها الإقلاع عن عادات ورثناها في الجسد والضمير والفكر، كلها تُحسب خطاياا تحرمنا كلياً من الله. ثم انحرافات المعرفة، التي تضعنا في مستوى المرفوضين من الله. فالمسيح جاء ليعطينا معرفة الحق والخضوع لمتطلباته. ومعرفة الحق

هي بالأساس معرفة الله، فالله هو الحق، والذي يجب الحق بحسب الله. والذي يتعدى على الحق، سواء بالفكر أو العمل، يُحسب أنه تعدى على الله.

والمسيح إذا دخل حياتنا، فهو وحده القادر أن ينقلنا من سيرة أهل العالم إلى سيرة أولاد الله. ودخول المسيح حياتنا أساسه أن نؤمن به بإيمان القلب، ونلتزم بوصاياه التي جمعها قديسو العلي، من رسل وتلاميذ قديسين، في إنجيله المحسوب أنه مدرسة الإيمان واستنارة الفكر.

وبالالتزام بأقوال المسيح في الإنجيل ووصاياه، يبني الإنسان نفسه على الحق الإلهي، فيعرف الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية. والمسيح وهب لنا عطية الآب ووعدنا المقدس، وهو الروح القدس، الذي يفتح عقولنا وقلوبنا لنقبل معرفة الله والالتصاق به. وكما قال المسيح، إن الروح القدس «يُعَلِّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قُلْتُهُ لَكُمْ»^١، فيصبح الإنجيل مصدر المعرفة بالروح، التي تجعلنا نكف عن أعمال ومدارك العالم، وندخل في مجال القداسة التي

^١ يو ١٤: ٢٦.

بدونها لا يرى الإنسان طريق الحق ولا الله^٢.

والمسيح بهذه الآية يقدم نفسه، أيها القارئ المبارك، لكي يدخل حياتك ويقودها في طريق الخلاص والفداء، الذي أكمله لينقلنا من العالم إلى الله، ومن الظلمة التي تحكم العالم إلى نور الحياة مع الله. فاقبل أيها الصديق دعوة المسيح، ليدخل حياتك ويعمل فيك وبك أعمال الله.

لأنه لما قال إنه «بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً»، فهو يعني اقبلوني لأدخل حياتكم وأعمل فيكم وبكم أعمال الله، ولأفتح قلوبكم وأذهانكم لتقبلوا استنارة الفكر، التي بها وحدها يمكن أن ندرك الحق ونسير في نور المسيح حتى نستنير بنوره.

وهذه الآية التي يعرض فيها المسيح نفسه لدخول حياتنا، هي الأساس الذي يمكن أن نبتدئ به، أي قبول المسيح في حياتنا ليعمل فينا مشيئة الله، ويتمم فينا ولنا وصاياه المقدسة، التي هي أساس نور المسيح، وهي طريق الحياة الأبدية. فإذا أمسكنا بالمسيح بإيمان صادق، نكون قد أمسكنا بالحياة الأبدية التي يدعو إليها المسيح. علماً بأن المسيح نفسه هو بالسرّ الإلهي الحياة الأبدية ذاتها، فمن

^٢ آنظر عب ١٢: ١٤.

قَبْلَ الْمَسِيحِ قَبْلَ فِيهِ وَبِهِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.
هَذَا هُوَ سِرُّ الْمَسِيحِ وَسِرُّ الْحَقِّ وَالْحَيَاةِ، مَنْ تَقَبَّلَهُ يَكُونُ قَدْ ضَمَّنَ
خَلَاصَهُ وَفِدَاءَهُ، وَانْفَتَحَتْ بَصِيرَتُهُ وَعَرَفَ سِرَّ الطَّرِيقِ وَالْحَقِّ
وَالْحَيَاةِ.

٢٦ ديسمبر ٢٠٠٥

«إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته، كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم»

إنجيل يوحنا ١٥ : ١٠، ١١

أعطى المسيح مثل الثبوت فيه كغصن في كرمة، إن ثبت في الكرمة فإنه يأتي بالثمر. وهنا يكشف لنا عن سر الثبوت فيه، وهو أن نحفظ وصاياه. فوصاياه كعصارة الكرمة، التي إذا سرت في الغصن تجعله يثمر، وبقدر ثبوته يكون الثمر. مثل بديع أن يشبه المسيح نفسه بالكرمّة، وأباه بالكرّام، ونحن بالأغصان. ويعطي المسيح هذا المثل الأساسي لكي يكشف عن سرّ ثبوته هو في الآب، وهو أنه يحفظ وصايا الآب ويحبه! تواضع ما بعده تواضع، أن يعطي المسيح نفسه مثلاً للثبوت، أنه يثبت في الآب ويحفظ وصاياه ويحبه!!

ويعود المسيح ويكشف سرّ الثبوت فيه، أنه سرّ الفرح الحقيقي. فالذي يثبت في المسيح ويحفظ وصاياه، يهبه المسيح فرحه الإلهي،

لكي يفرح الإنسان بالمسيح ويكمل فرحه، بمعنى بلوغه الكمال. ويحاول المسيح بكافة الطرق أن يلفت نظرنا لأهمية وصاياه وأهمية حفظها. فتارة يقول إن حفظ وصاياه هو سرُّ الثبوت فيه وسرُّ الثمر. وتارة أخرى يجعل المسيح حفظ وصاياه أنه أساس استعلان الإنسان لسرِّ الفرح الإلهي، الذي سيسكن قلوبنا إن نحن حفظنا وصاياه.

فيا ليت القارئ ينتبه إلى محاولات المسيح الكثيرة لإثبات أهمية حفظ وصاياه، الأمر الذي لن يكلفنا شيئاً بالمرّة. لأن المسيح يَعِدُ بأنه سيدخل بنفسه إلى أعماق حياتنا، ويتولّى توضيح وشرح وصاياه، بل ويعمل على ثبوت وصاياه في قلب الذي أحبه وحَفَظ وصاياه. علماً بأن وصايا المسيح يتولّى الروح القدس كشف نورها وسرّها للإنسان، بل ويعمل على تثبيتها في قلب الإنسان، علاوة على أنه يتولّى تلقينها للإنسان وتذكيره بها.

هذا كله يبعث في الإنسان روح الإمساك بالمسيح، حتى يتمّ فيه كل وعده هذا. فما أصبح على الإنسان إلاّ الثقة بالمسيح ووعوده، وأن يفتح قلبه لاستقباله جالساً متهدّباً بإنجيله. «وَجَدَ كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي لأني دُعِيتُ

باسمك يا رب إله الجنود»^١. والذين قبلوا المسيح في حياتهم، وحفظوا وصاياه، صاروا من أشهر الوعَّاظ في العالم، بل عملوا آيات ومعجزات هزَّت الدنيا.

فالمسيح أثبت للإنسان أنه أمين في وعده، وقادر أن ينفِّذه في أضعف إنسان. بل ويجعل من مضطهديه الذين آذوا كثيرين أشخاصاً آخرين، مثل بولس الرسول، الفرّيسي المتمرِّس في قتل الرجال والنساء المسيحيين، إذ دعاه الله وهو سائر في طريقه ومعه إذن رسمي بقتل المسيحيين، وكلمه من السماء قائلاً: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده»^٢. وأرسل له إنساناً مسيحياً تقياً ليدعوه إلى الإيمان بالمسيح، وعمَّده. وحلَّ عليه الروح القدس، وذهب يبشِّر بالمسيح رباً وإلهاً للذين كان يضطهدهم. وجذب، ولا يزال يجذب، بتعاليمه المحيية، المئات والألوف والملايين، بل وأجيالاً برمتها إلى حب المسيح والإيمان به.

ويعترف الكاتب أن فضل بولس الرسول عليَّ أكثر مما أعترف وأقول، فهو الذي فتح عينيَّ وقلبي لحب المسيح وحفظ وصاياه،

^١ إر ١٥: ١٦.
^٢ أع ٩: ٥.

والتبشير بالكتابة والوعظ باسمه وحبه سبعين سنة. وحتى اليوم والساعة، وأنا ألهج بكلماته وتعاليمه وحبه للمسيح. وأعترف بفضلته وفضل المسيح عليّ، بعد أن كنت طفلاً خجولاً، صيرني على ما أنا فيه.

لذلك أدعوك أيها الصديق المبارك، والأخت المباركة، أن تُقبلوا على الإنجيل بنية مقدسة، وتطلبوا حياة جديدة من المسيح، فيعطىكم. فإنه يعطي، كما يقول الإنجيل، بالكيل المملوء والفائض من نعمته^٣. لتفرحوا وتفرحوا الناس بالكنز الثمين الذي احتفظ به الإنجيل لمحبي الرب.

٢٦ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ أنظر لو ٣٨:٦.

«ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم»

إنجيل يوحنا ١٥ : ١٦

هذا هو سرُّ المسيح الذي يعمل به ويدعو، فهو ينادي ويدعو لكي يُقبل إليه الناس ويؤمنوا به، لكي يصيروا أولاد الله. فإذا أُقبل إليه الإنسان وأحبه وفتح عينيه على إنجيله وأقواله ووصاياهِ، فإنه يعتقد أنه هو الذي جاء إلى المسيح واختاره رباً وإلهاً. ولكن المسيح يكشف سرّه، بأنه هو الذي جذبهُ إلى حبه والتلمذ لإنجيله ووصاياهِ.

وفي هذا السر عاشت أجيال برمتها، التصقت بالمسيح وأحبتهُ وخدمت اسمه. وكانوا من أشهر الوعّاظ والأساقفة والبطاركة، أغنوا الكنيسة بمعرفتهم وإيمانهم وموهبتهم، التي ملأت الكتب والرقوق. وها نحن نستقي منها حياتنا وإيماننا وحبنا للمسيح. هؤلاء اختارهم المسيح، ولا يزال يختار خدامه، وبينهم على الإيمان ويرسلهم يمشرون ويكرزون.

فالمسيح هو رأس الكنيسة، والكنيسة الحقيقية الغنيّة بالإيمان

والخدمة هي جسده، والمؤمنون فيها هم أعضاء هذا الجسد،
مشتعلون ناراً، لا يكفون ولا يهدأون عن الكرازة والتبشير باسمه.
فالمسيح اختارهم وألهم قلوبهم بحبه، وألهمهم الكلمة الحلوة التي
تدخل القلوب وتأسرها لحب المسيح والإيمان به. فالمسيح عمل في
الكنيسة منذ قيامها وحتى الآن، واختار فيها رجالاً ونساء،
اختصهم بقوة الكلمة التي تخرج من قلوبهم سهاماً نارية تلهب من
يسمعهم^١، ويضم إلى الكنيسة كل يوم مئات وألوفاً من محبي
وصاياه.

والكنيسة إلى اليوم غنية حقاً بمن اختارهم المسيح، وسكب من
روحه القدوس في قلوبهم. فاستنارت أذهانهم، وذهبوا ويذهبون
كل يوم في كل العالم، يضيئون بمعرفتهم، وينيرون وسط ظلمة
العالم التي استحكمت اليوم في الأجيال الناشئة، الذين سدوا آذانهم
بسدادة الأغاني وألفاظ العالم. وأكمل الشيطان سدّها بإلهابهم
بشهوة الجسد، فابتعدوا عن الله والكنيسة والإنجيل، وصاروا بني
بليعال.

ولكن إن كان العالم قد حُفِظَ إلى اليوم، فبسبب المختارين

^١ أنظر حقوق ٩:٣.

لذين اختارهم الرب من وسط الشعب، ليشهدوا لاسم المسيح
وإنجيله المقدس.

والعالم إلى اليوم محفوظ بكلمة الله التي حملها مختارو الله،
وأذاعوها ولا يزالون يذيعونها. والكنيسة في أشد الحاجة إلى هؤلاء
لمختارين، لينقذوها من طوفان الخطية التي تملكت على شعوب
رأم، جذبها الشيطان لتعيش تحت نيره المغلوب والمكسور على
لصليب. ولكن لا يزال الشيطان المهزوم يغوي حواء حتى اليوم.
فالمرأة أصبحت سبب عثرة كبيرة، مع أنها كانت من أعمدة
لكنيسة الأولى، وربت أجيالاً برمتها في مخافة الرب.

فالدعوة اليوم هي موجهة إلى المرأة التي تجلس في بيتها، تربي
أولادها في مخافة الله وحب الإنجيل والكنيسة. لأنه يستحيل أن
يقوم البيت القبطي بدون المرأة، مهما عمل الرجال واستأجروا
لخدمات. فسرُّ المرأة هو قلبها وحنانها، الذي يورث الأولاد
للداعة والتواضع ومخافة الله. فالمرأة المختارة أعزُّ من ذهب العالم
كله، وأثمن من كنوز الدنيا^٢. فهي وحدها الكنز الحقيقي
المخفي في حقل العالم، لأنها هي القادرة وحدها أن تجمع أولادها

^٢ أنظر أم ٣١: ١٠.

لحضن المسيح.

وقول المسيح أنه حينما يأتي ابن الإنسان على الأرض، «أُعلِّه يجد الإيمان على الأرض»^٣، يحزُّ هذا القول في قلوبنا، لأننا نرى بأعيننا أن الإيمان جفَّ من قلوب الناس، وحلَّ محل الإيمان مسرَّة الدنيا وغناها ومجدها الزائل. فهل يقوم مختارون، ينقذون العالم والكنيسة من مصيرها الذي ترسمه بيدها؟ الدعوة هنا إلى رجوع، إلى يقظة روحية، تنتشل هذه الأجيال من طغيان العالم على أولاد الله.

٢٦ ديسمبر ٢٠٠٦

^٣ لو ١٨: ٨.

«لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن
فليس لهم عذر في خطيتهم»

إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٢

الكلام هنا موجّه لجيلنا الذي ترك الإنجيل ووصايا الله، وبذل
كل طاقته ليزيد مكسبه في الدنيا من تجارة أو وظيفة. وكثيرون
حصلوا على المال الوفير والغنى الفاحش، فازدادوا زيفاً عن الله
ونسياناً لدينهم، وإهمالاً لأولادهم، فشبوا عاصين متمردين، محيّن
للمال والفسحة والسينما، واقتناء العربات والصياغة بها في كل
دروب الأرض. وفقدت الكنيسة بذلك رجالها الأتقياء وشبابها
الحرّ القوي المتمسك بالله والإنجيل.

لهؤلاء يقول: «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم
خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم». بماذا سيجاب
رجال اليوم حينما يسألهم الله عن واجبهم في تربية أولادهم. بماذا
ستجيب أيتها المرأة، التي تركت أولادها وذهبت تعمل ما هو
ليس عملها، وتجوب تشتري وتبيع ما لا يشتري ولا يُباع،

وتركت أولادها للخدم والخادِمات والشيطان ليعمل فيهم أعماله.
ما هو عذر المرأة التي يعمل زوجها ويغطي حاجات الأسرة
والأولاد، لتذهب تبحث عن عمل أو تسلية؟

ما هو عذر الإنسان الذي لا يعرف إيمانه، وأهمل إنجيله، وانقطع
عن الكنيسة وسماع الكلمة، وصرف وقته في التوافه والتسلية
وسماع التلفزيون؟ أما الآن فبعد أن حذر المسيح وأنذر، أنه ليس
لهم عذر في خطيتهم، فالدينونة أيها الرجل أبو العيال، والأم أم
العيال، لن ترحم، وستدفعون ثمن إهمالكم وثن ضياع أوقاتكم،
ورفض كنيستكم وإنجيلكم، دينونة مريعة لا ترحم. لو لم يكن قد
جاء المسيح وترك كلمته ووصيته مكتوبة في إنجيله، ما كانت لكم
خطية. أما الآن فماذا ستجاوبون الديان، الذي سيسألكم عن
سبب ترككم الإيمان والكنيسة والإنجيل؟

«لو لم أكن قد جئت وكلمتكم لم تكن لهم خطية، وأما الآن
فليس لهم عذر في خطيتهم». هل يمكن أن تسمعوا هذا التحذير
من المسيح، فتعودوا وتندموا على ما فات، تبدأوا التوبة والعودة
إلى الله؟ المسيح سيظل ينتظركم حتى تتوبوا وترجعوا إليه، وتطلبوا
العفو والرحمة.

إن إنذار المسيح أنه سيطالب المسيحيين بمدى استجابتهم لإنذاره، والتوبة والعودة إلى الإيمان والحق والتقوى الصادقة، هو إنذار لكل من يسمع ويقرأ، لأنه سيدين الذين رفضوه وأحبوا العالم، أو أحبوا أنفسهم وداسوا على كلمته. لأنه ليس عذر لمن أهمل الإيمان، وأهمل طاعة كلمته، وداس على وصاياه. إن دينونة هؤلاء مخيفة.

فهذا الزمان هو الزمان الأخير، فالذين يسوفون العمر باطلاً سيُغرَّمون، لأن الإنذار قائم، أنه ليس لهم عذر في خطيتهم. فنحن ندعو الرجال والنساء إلى العودة إلى تقليد الأسرة المسيحية، الذي تسلمناه من آباءنا وأمهاتنا، أن حق الله أولى من حق العالم، وكل إنسان مسئول عن حياته وحياة مَنْ هم في رقبته. والعودة إلى الله يسندها روح الله، ويُسهِّل للإنسان التوبة وحب التقوى، وأهمية كلمة الله في حياته التي يقرأها في إنجيله. وليس عذر لمن سدَّ أذنيه وأغلق عينيه عن إنذار المسيح، إنه ليس عذر لمن يخطئ ويترك إيمانه وإنجيله وتراث آباءه.

٢٦ ديسمبر ٢٠٠٦

«لأنكم لستم من (هذا) العالم... لذلك يبغضكم العالم،
إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم»

إنجيل يوحنا ١٥ : ١٨، ١٩

الذين قبلوا المسيح رباً وإلهاً، أصبحوا ليسوا من العالم، بل
ويبغضهم العالم. لماذا؟

واضح جداً أن العالم وُضع في يد الشرير، فالذي يحب العالم
يحب العالم، ويصبح لعبة في يد الشيطان، لأنه يطيعه في كل
مشوراتِهِ. ولا يعود العالم يحتمل اسم المسيح لأنه يكون تبكيتاً له.
فمن أجل اسم المسيح يضطهد العالم الذين للمسيح. وقد اضطهد
العالم ورئيسه المسيح، اضطهاداً قادهم إلى صلبه، وأصبح الشيطان
يعرف كيف يكيل للمسيح الضربات في أشخاص الذين قَبِلُوا
المسيح وآمنوا به. وهكذا اتَّسَمَ العالم بَعْدَاوَةِ الْمَسِيحِيِّينَ
واضطهادهم من أجل الاسم. والمسيح هنا يسبق ويوعّي الذين له،
أن يكونوا عارفين بما يَكُنُّهُ الْعَالَمُ لَهُمْ، حتى لا ينساقوا وراء الذين
يعيشون في العالم وهم مأسورون تحت جذبه.

لهذا كانت أول نصيحة يتقبلها الإنسان المسيحي، أن ينتبه وهو في بداية حياته الإيمانية، أن لا ينحرف وراء جذب العالم، ومعاشرة الأشرار الذين يعبدون العالم. هذا هو الجانب السلبي في طريق الإيمان بالمسيح، القادر أن يتلع الناشئين. ولكن بمجرد أن يبدأ الإنسان المسيحي طريقه الصحيح، ويصلّي ويتعرّف على محبة المسيح، يتعد عنه عملاء الشر. وبمجرد أن يحسّ بانحياز العالم ضده، يرمي في حضن المسيح ويمسك بالإيمان.

والمعروف والمؤكد عندنا، أن بمجرد أن يمسك الإنسان بالمسيح، يحتضنه المسيح. لأن وعده قائم كل الدهور، أن «من يُقبل إلي لا أُخرجه خارجاً»^١. هكذا جعل المسيح الإيمان به رهن إشارة الإنسان الذي نوى أن يدخل حظيرة المسيح.

وإزاء بغضة العالم لمن يقبل المسيح، يفتح المسيح أحضانه لكل من التجأ إليه. ونحن ذُقنا علقم العالم واضطهاده المرّ، ولكن كان ستر المسيح علينا ودفاعه عنا يفوق الوصف. فنحن نؤمن ونشهد أن حمى المسيح لأولاده، يفوق كل قوة الشيطان وعالمه. وقول المسيح: «احملوا نيري عليكم... لأن نيري هيّئ وحملني خفيف»^٢،

^١ يو ٦: ٣٧.

^٢ مت ١١: ٢٩، ٣٠.

حقيقة مستترة يعرفها كل من رمى حملة عليه، وفضل نيره على نير العالم الشرير. والذين ذاقوا حلاوة المسيح، أصبحوا مستعدين أن يأكلوه بالحق. فعينه علينا طول النهار، كالأم التي تحرس أولادها وتغذيهم بحياتها.

والمسيح الذي أحبنا وأسلم ذاته من أجلنا، قد اشترانا من قبضة الشيطان بدمه، ولن يستطيع الشيطان ولا العالم أن يخطفنا من يد المسيح ويد الآب^٣، التي هي قوتنا وملاذنا الأبدي. فمهما أبغض العالم وكشّر العدو بأسنانه، فنحن في حمى مَنْ خلق السماوات والأرض، وقد خلقنا جديداً بالروح لنفسه، فنحن أولاد الله وأعضاء بيت الله^٤. وحظنا ونصيبنا محفوظ لنا في السموات^٥، نراه بالإيمان ونحيا له بالعيان، ونسعد به في أحلك ساعات الظلام، لأن أعيننا مثبتة فوق من حيث يأتي عوننا^٦، تحرسنا يمين الرب حتى نعبّر إليه ونتهلل لأن نصيبنا قد قرب.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ أنظر يوحنا ١٠: ٢٨، ٢٩.

^٤ يوحنا ١٢: ١ وأف ٢: ١٩.

^٥ ١ بط ٤: ١.

^٦ مز ١٢١: ١.

«تأتي ساعة (وقد أتت الآن) فيها يظن كل من يقتلكم
أنه يقدم خدمة لله»

إنجيل يوحنا ١٦ : ٢

الآن نحمدك يا رب السماء والأرض، فقد أتت الساعة التي قلتَ عنها، وهي حاضرة كحضور يوم صليبك. فهي إن كانت ساعة الظلمة، فأنت لن تُخفي عنا وجهك، فصليبك مرسوم الآن أمامنا. وكما مجدك الآب وتمجد الآب فيك في هذه الساعة، فنحن في مسكنتنا واتضاعنا نجد أن نصيبنا في هذا الجسد قد قَرُبَ، ونحن باستعداد للقياء. وإن كان صليبك هو مجدك، فشركتنا في صليبك تورثنا ذات الجسد الذي ذُقتَ.

ومن عجب الأيام أن يُشرق علينا اليوم الذي حددتَ، أنه «تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله»، ويفتح له باب في الجنة. ويا ليتة يفتح لهم دون مقتلة، فكنا نسعد أيضاً بهم ونفرح، ويهون علينا العالم ومن فيه. فنحن للموت الآن وفي كل حين، فساعتنا حاضرة في ضمائرنا، نترقبها بفارغ الصبر حتى

نخلص من هذا العالم ونأتي إليك. فموتنا نحن هو باب الصعود إليك، والجلوس تحت رجلك، بل والجلوس معك على كرسيك. فكيف نجفل من تهديدات الموت، والموت لنا حياة؟ بل هو باب الجنة، إن كانت الجنة هي الملكوت.

قلت لا تخافوا خوفهم!! فالرجاء يجعلنا نعبر على الموت كأنه تحقيق الوعد. وإن جاءت الساعة فهي ساعتنا وليست ساعة أحد غيرنا، فيها نغمض أعيننا هنا لنفتحها عليك يا رب في السماء. وسيان لنا، هنا أو هناك، فنحن لك على كل حال، مهما كان في الحال تهديد الموت!

ولا يوجد في الأرض كلها من يفرح في الموت وأخبار الموت وتهديد الموت إلا نحن، لأن في الموت تحقيق رجائنا في القيامة. فإن مُتْنَا فموتنا قيامة، وفي قيامتنا رجاء ميراثنا في السماء. فمن ذا الذي يخاف الموت أو يرهب، إن كان في الموت دخول الراحة الأبديّة التي نحلم بها كل يوم.

فمرحباً بالساعة وبالموت إن كان في الموت نقلتنا السعيدة، وإن كانت الساعة هي نهاية أوجاعنا على الأرض. فإن كان البشر

يهددوننا بالموت، فالملائكة، بل والمسيح سيستقبلنا فوق بالبشر والترحاب. فمن ذا الذي يخاف الموت بعد أو يهرب.

والباب المفتوح في الجنة هو بابنا، بل مسيحنا الذي قال إنه «هو الباب»^٢، ندخله نحن لنسعد بالمسيح الذي ينتظرنا فوق. فإن انتهت حياتنا على الأرض بالسيف، فلتبتدئ حياتنا فوق بالمجد. فنحن نستودع حياتنا هنا لنستقبل حياتنا فوق. وسواء كنا هنا أو فوق، فنحن نحيا في المسيح، بل والمسيح يحيا فينا^٣. فلم يعد الموت محسوباً عندنا بالمرة، وساعته عندنا خيال نظرحه من فكرنا. لأن فكرنا مشغول بما بعد السيف، وبعد الموت وبعد الساعة.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٥

^٢ يو ١٠: ٩.

^٣ غل ٢: ٢٠.

«قد سميتكم أحبباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي»

إنجيل يوحنا ١٥ : ١٥

عندما طُرد آدم من أمام وجه الله، عاش على الأرض بعيداً عن الله، وأورث ذريته البعد عن الله. فأصبحت البشرية تعيش في جهل مُطبق بالله، كالعبيد الذين يعيشون في بيت سيدهم ولا يعلمون شيئاً عن شخصه وأعماله. لأن الأبناء وحدهم هم الذين يعرفون أباهم ويعرفون كل ما يخصه. أما عبيد البيت فحياتهم مقصورة على الخدمة وحسب.

ولكن جاء المسيح مُرسلاً من الآب، حاملاً كل ما يخص الآب، عارفاً بكل ما له وما عنده، وما عمله ويعمله. لذلك فإن المسيح جاء من عند الآب عارفاً كل ما عند الآب، وابتدأ يعلم ويشير بقرب ملكوت السموات، وبكل ما عند الآب من نحو الإنسان. هذه المعرفة بالآب وبكل ما عنده وله من أعمال ووصايا، رفعت

حالة البشرية من أغلال العبودية التي كانت ترسف^١ فيها بعيداً عن الله، إلى حالة البنين الحقيقيين الذين يطلعون على سر الآب السماوي. لهذا يكون الإنسان قد انتقل من حالة عبد أمام الله، إلى حالة ابن الله المحبوب.

كانت هذه النقلة السعيدة للإنسان، من حالة العبيد إلى حالة البنين المحبوبين، هي من وظيفة وعُهد الابن الوحيد المحبوب من الله. فقد نقل بنوته لله إلى الإنسان، ومن محبة الآب له إلى محبة الإنسان. «وعرّفهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم»^٢. هذا هو القول الذي ختم به المسيح إرساليته على الأرض. فحب الآب للابن، بتعليمه وتعريفه بكل ما عند الآب، استطاع الابن أن ينقل حب الآب للمسيح إلى حب الإنسان الذي آمن به وبالآب. وكان بناءً على ذلك أن رفع المسيح الإنسان من حالة العبودية أمام الله، إلى حالة البنين المحبوبين.

كانت هذه هي رسالة الابن الكبري، أن يُدخل الإنسان إلى الله

^١ تسير مقيدة فيها.

^٢ يو ١٧: ٢٦.

الآب في حالة حب، كما أحب الآب المسيح كابن الله:
«وأحببتهم كما أحببتني»^٣.

وكوننا نحصل على رتبة البنين المحبوبين لدى الآب، فهذا قمة
نجاح المسيح كابن الله في إرسالته من الآب للإنسان، الذي كان
يرسف في سلاسل العبودية للخطية والموت والشيطان. إذ حرره
منها جميعاً، بتعليمه المحيي، وبموته كفدية أخرجت الإنسان من
تحت عبودية العالم والشيطان.

ولكي يضمن المسيح دوام عمله كمخلص وفاد ومحِب، أعطى
نفسه للإنسان بالروح، ودخل في الإنسان ليحيا فيه إلى الأبد. هذا
اكتشفه بولس السليح، وأعلن للبشرية كلها سرَّ المسيح هذا
العجيب والمذهل، بقوله: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»^٤.
وهكذا نقل لنا المسيح صفته وقدرته اللاهوتية في قوله إن «الآب
الحال في هو يعمل الأعمال»^٥، و«لأني لم أتكلم من نفسي لكن
الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم»^٦.

^٣ يو ١٧: ٢٣.

^٤ غل ٢: ٢٠.

^٥ يو ١٤: ١٠.

^٦ يو ١٢: ٤٩.

فصار المسيح نفسه الحالُّ فينا هو الذي يتكلم بنا^٧ ويعمل أعماله.
هذا هو سرُّ اللاهوت المذهل، الذي سرَّى من الآب لابن، ومن
الآب والابن لنا. فإن كنا نحيا الآن بهذا الإيمان القوي والرصين،
فهذا تمهيد لما سنحصل عليه بالتحقيق فوق.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٥

^٧ أنظر ٢ كو ١٣: ٣.

«الذي يُبغضني يُبغض أبي أيضاً»

إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٣

نحن لا نستعجب لماذا يبغض العالم وأهل العالم المسيح واسم المسيح وكل من حمل هذا الاسم. ذلك لأن المسيح كشف حقيقة العالم، أنه موضوع في يد الشرير. وأولاد هذا العالم مُساقون رغم إرادتهم للخضوع تحت مطالب هذا العالم، التي هي كلها من صنع الشيطان. ولأن المسيح ظفر بالشيطان وكل أعوانه على الصليب^١، ونحاه إجباراً عن تسلطه على الإنسان، ذهب الشيطان يكيل لأولاد المسيح ومحبيه الضربات، مختفياً وراء الناس الذين سخرهم تحت قبضته. فأصبح في الظاهر أن الشيطان لا يزال يعمل، مع أن الذي يعمل هم أشخاص أحرار، أو يظنون أنهم أحرار، مع أن العدو متسلط عليهم خفية، يعمل بهم وفيهم^٢. ولكن في الحقيقة التي أعلنها المسيح، أن العدو لا يزال يعمل، وكل عنفوان غلبه يصبه على اسم المسيح، والذين يدينون باسم المسيح. فبغضة

^١ كو ١٥: ٢.

^٢ «رئيس سلطان الهواء الذي يعمل الآن في أبناء المعصية» (أف ٢: ٢).

المسيح هي في حقيقتها بغضةٌ للآب السماوي الذي أرسله، وإنما خفيةٌ بأعمال كاذبة وأقوال تظهر من الخارج أنها مديح لله، وهي كلها مُركزةٌ لتنحية المسيح عن حقيقة بنوته لله. بل ومصوبةٌ لمؤمنين به، حتى يلغوا حقيقة المسيح والآب من قلوب المؤمنين ٤. ولكن هيهات، فالمسيح غالبُ العالم، وهو قائم في السماء شدد قلوب المؤمنين به، ويسندهم إزاء بغضة العالم العائش في كذب الشيطان وكأنه إله نور، وهو ظلمة في ظلمة، مآلها نار بحيرة النار التي تنتظره وتنتظر الذين يعمل فيهم^٣.

وخطورة بغضة المسيح قائمة في أنها هي بعينها بغضة الله الآب، هي بغضة منتقلة من الأرض إلى السماء. فأصبح الذين يبغضون المسيح قد قفلوا لأنفسهم باب السماء. ويبغضتهم لأولاد الله لمؤمنين باسم ابنه يسوع المسيح، استغلَّهم العدو لينشر البغضة في العالم، وجعل البغضة هي بضاعة العالم الحاضرة، واختفت المحبة مَحَنَةَ الإنسان على أخيه الإنسان. وهكذا جدَّدوا أول نسل آدم، آيين وهاييل. فكما انقسم العالم آئِئذ بين قاتل ومقتول، هكذا انتهى العالم إلى هذه المصيبة عينها. فقاين العالم يتحفز لقتل هاييل خَر الزمان وليس من مُصَالِح. لأن المَبْغُض هنا أَبْغَض هاييل وإله

^٣ رؤ ٢٠: ١٠.

هاييل، فالمصالح صار مبغوضاً بل وصار مقتولاً.

فأصبح للإنسان ومُبغض الإنسان مهلة قليلة، عندما لا يعود زمان ولا تعود فرصة للتوبة أو العودة إلى الله، حينما يحل القضاء ويُنصب ميزان العدالة، ويقف الديان ليفضح آراء القلوب وأعمال الظلمة، وينكشف الظالم ويدخل القاتل إلى مصيره المحتوم.

في ذلك اليوم يفرح ويتهلل من قضوا أيامهم بكاءً ونواحاً من قسوة الإنسان على أخيه الإنسان، وظلم العدو الذي سُلِقَى كَرَمَةً تُداس بالأقدام.

«وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم»، ويلبسهم تاج الغلبة والخلاص، الذي ألبسه له أبوه بعد أن أكمل سعيه على أرض البغضة والأحقاد. حينئذ يدرك المظلوم أن له قاضياً ساهراً على حقه، يعطيه جزاء ما ظلم به، حياةً أبديةً يسكن فيها البر والفرح والتهليل.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٥

«إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح؛ ... ولكني سأراكم أيضاً فتهرب قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم»

إنجيل يوحنا ١٦ : ٢٠، ٢٢

إنه بكاء ونواح على غياب المسيح، إذ أنه فراق دائم كما توهم التلاميذ. ولكن حينما تمَّ المسيح وعده وظهر لهم ، فرحوا فرحاً عظيماً^١. ومنذ هذه الساعة التي رأوه وفرحوا، وحتى اليوم، لا زلنا نفرح بفرحهم، لأننا كما يقول بولس الرسول: «أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا؟»^٢، ونحن نراه أيضاً بالاستعلان، لأن المسيح يتراءى لنا في كلمته. وحينما نبلغ بالكلمة إلى الإحساس بالمسيح نفرح ونبتهج فرحاً ليس من هذا العالم، إذ ليس هو فرحاً جسدياً، ولكنه فرح الاستعلان بالحق وبوجود المسيح.

كان تلميذاً عمواس سائرَيْن إلى بيتهما^٣، فرآهما المسيح من فوق وهما سائران حزائى معبَّسَيْن، فنزل سرّاً وانضم إليهما في نفس

^١ يو ٢٠: ٢٠.

^٢ ١ كو ٩: ١.

^٣ لو ٢٤: ١٣-٣٥.

المسير. وبدأ الحديث معهما والحوار. فابتدأ المسيح يشرح لهما ما جاء عنه في المزامير والأنبياء. وأخيراً ألحاً عليه أن يدخل معهما إلى البيت فدخل. وإكراماً له قدماً له خبزاً وكأنه ضيف، فأخذ المسيح الخبز وكسر. وبكسر الخبز تمّ التقديس، فظهر لهما المسيح على حقيقته، وفرحاً جداً ولكنه اختفى عنهما. فأخذ التلميذان يقولان لبعضهما، كيف أنه لما تكلم معهما على الطريق أحسّا بقلبيهما واشتعل قلباهما بحرارة الإحساس بوجود الرب ولم يتكلما. وهكذا تم بالحرف الواحد «إني سأراكم ففرحون». فغياب المسيح يقبض القلب، وإن دام ذلك يبكي الإنسان وينوح. وحينما يرى أهل العالم بكاءنا ونواحناء، يفرحون شامتين. ولكن إذا عاد المسيح وتراءى لقلوبنا نفرح فرحاً لا يقدر أحد أن ينزعه منا بعد. هذا ما تمّ للتلاميذ، إذ لما مات المسيح على الصليب، اعتزل التلاميذ وأقفلوا أبواب العلية خوفاً من اليهود، إذ حسبوا أنهم أصبحوا يتامى بلا إله، وكانوا حزائي أشدّ حزناً من الشكلى. ولكن لما عاد المسيح ورأوه، فرحوا فرحاً عظيماً، ومنذ هذه اللحظة والفرح يمتدّ عبر السنين ليكون فرحنا نحن أيضاً، وفرح أولادنا إلى الأبد.

وإن كان يتهيأ لنا حينما نرى المسيح بالاستعلان في كلمته، أننا نحن الذين اكتشفنا وجوده، يكون هو في الحقيقة الذي أعلن لنا

ذاته، ويتم القول: «الذي يحبني... أنا أحبه وأظهر له ذاتي»^٤. وظهور المسيح هذا لا يزال يتم عبر كل العصور في كلمته الحيّة الباقية إلى الأبد.

فالمسيح عند وعده «سأراكم أيضاً فتفرحون». وإن كان يتهيأ لكل من يرى المسيح أنه هو الذي يراه، ولكن في الحقيقة هو الذي يرانا، فيتراءى لنا. عشرون قرناً والمسيح عند وعده، يتراءى لمحبيه فيرونه ويفرحون برؤياه. والذين رأوه ورآهم يعيشون بيننا ويشهدون شهادة حق.

ونحن الآن نعيش أحزاننا كل يوم، لأن العالم يحجز عنا سلامنا وفرحنا، ويذيقنا مرارة الاضطهاد والبغضة، ولكن المسيح سيرانا فوق ويمسح كل دمعة من عيوننا، ويعوّضنا عن أيام العالم المرّة، سلاماً وفرحاً وراحة كبرى في أحضان أبيه.

فمرحباً بالأحزان إن كانت هكذا منظورة من الله، وقد أعدّ لنا راحة علياً لن يمسّها حزن بعد ولا بكاء.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ يو ١٤: ٢١.

«في العالم سيكون لكم ضيق،
ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم»

إنجيل يوحنا ١٦ : ٣٣

هذه هي كلمات المسيح الأخيرة التي ودّع بها تلاميذه، وأعلن فيها أنهم بعد صعوده سيبدأون يواجهون ضيق العالم، خاصة من أجل اسمه، لأن المسيح لم يهادن اليهود ورجال المجتمع بل كشف أعمالهم، واكتسب بتعاليمه التي كانت ضد سلوكهم عداوة كل الأوساط اليهودية.

ولكن المسيح بإظهار الحق وتعاليم الحياة الصالحة، وبكشف سوء أعمال الفئات اليهودية، وبهدم العادات الدينية التي ابتدعها اليهود، كان قد وضع أساس العهد الجديد وتعاليمه ومواعيده. فكان ذلك بمثابة غلبة المسيح على الذي كان قائماً ضد الحق في العالم.

فإن كان المسيح قد ترك العالم بعد أن أثار بتعاليمه طريق الحياة، وتركه مضيقاً وضمناً السير فيه برعاية روح الله وتعاليم الإنجيل، لم

يعد يقلق على مصير من سيؤمنون به، خاصة أنه نَحَى الشيطان عن تزيفه للحق والحياة، وغَلَبه وأسقطه، «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء»^١. فقال عن حق: «أنا قد غلبتُ العالم»، بمعنى أنه سلّم لنا تعاليمه وفتح أمامنا طريق الحق والحياة، وسط عالم حاقِد ولكنه مغلوب.

فأصبح الإيمان بالمسيح ممهّداً، وقيادة المسيح منتصرةً وغالبةً، وقد أرسل الروح القدس من عند الآب بعد صعوده: «لكني أقول لكم الحق إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبيّكُ العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة. أما على خطية فلاهم لا يؤمنون بي، وأما على برٍّ فلاأني ذاهبٌ إلى الآب ولا ترونني أيضاً. وأما علي دينونة فلاأن رئيس هذا العالم قد دينَ»^٢. لذلك فنحن نواجه عدواً مكسوراً ومغلوباً ومرعوباً من الصليب، يسهل تحييده بالإيمان، والغلبة عليه باسم المسيح والروح القدس.

فقول المسيح «سيكون لكم ضيق»، هو في الحقيقة ضيق

^١ لو ١٠: ١٨.

^٢ يو ١٦: ٧-١١.

مغلوب، ينتصر بالكذب وبالتخويف المزيّف، يفضحه طفل صغير إن هو حمل الصليب في وجهه ودعا باسم الرب. أما قوله «ثقوا أنا قد غلبت العالم»، فهو بمثابة تسليم عالم مغلوب باسم الرب، لا يُخيفنا في شيء.

فالمسيح بعد أن أكمل خلاصنا وفدائنا على الصليب، ومنحنا سلامه الذي يسند وجودنا في العالم، أرسل لنا الروح القدس من عند الآب، ليعلمنا ويدكرنا بكل تعاليم المسيح. وهكذا لم يعد أماننا ما يعطل إيماننا أو يهدد سلامنا، خاصة أنه كسر شوكة الخطية على الصليب، وكسر علو الشيطان وأنزله من السماء، فألغى سلطانه على الأرض. فهو حينما يقول «ثقوا أنا قد غلبت العالم»، فهذا لكي يُدخل إلى قلوبنا شجاعة المسيح وسلطانه، ويزيد إيماننا تشديداً وقوة. فالذي أصبح معنا من قبل المسيح، أعظم بما لا يقاس مما هو في يد العالم والشيطان. فنحن بالمسيح غالبون غالبون، وبروح المسيح نسود فوق كل زعازع العالم الكاذبة.

فإيماننا بالمسيح محصّن بقوة المسيح والروح القدس، إن طلبناه والتجأنا إليه في كل ضيق. لأنه مكتوب أنه في ضيقنا يتضايق

المسيح^٣، وفي أنيننا ينزعج «شاول شاول لماذا تضطهدني؟»^٤. فاضطهاد المؤمنين يُسمَّع عند المسيح فوق، فيئن بأنيننا وينزل لينقذنا^٥، فنحن لنا الآن في السماء من يرثي لضعفنا ويقود مسيرتنا. وبحسب قول بولس الرسول: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في»^٦، فإن كان هذا هو عمل المسيح فينا، فنحن الآن أعظم من منتصرين^٧، لأن المسيح قائد مسيرتنا والمتكلم في فمنا والعامل فينا «أن تريدوا وأن تعملوا»^٨.

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ أنظر إش ٩:٦٣.

^٤ أع ٩:٤.

^٥ أنظر خر ٣:٧ و٨؛ مز ١٨: ٦-٩.

^٦ غل ٢:٢٠.

^٧ رو ٨:٣٧.

^٨ في ٢:١٣.

«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي
وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٣

هنا يقرر المسيح في صلاته الأخيرة أن معرفة الآب والابن هي حقيقة الحياة الأبدية، والإيمان بالآب والابن هو الطريق الصاعد الذي يؤهل إنسان الله للدخول إلى الحياة الأبدية. هذا هو ملخص الإنجيل كله. ومعرفة الآب والابن تكون بانفتاح الذهن. وانفتاح الذهن رأس مال الإنسان المسيحي التقي، وهو يتم بنور كلمة الإنجيل وباستضاءة روح الله القدوس. والمعرفة الحقيقية للآب والابن قائمة في جوهر المحبة، «عرّفْتهم اسمك وسأُعرّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببْتني به، وأكون أنا فيهم»^١، آية استعلان حيٍّ، قالها المسيح كآخر ما كشفه من سرّ الحب وسرّ المعرفة!!!
فالمعرفة والمحبة توأم الله. الأولى تقود للثانية، والثانية تقود إلى

^١ يو ١٧: ٢٦.

لأولى، والاثنتان ميراث سماوي ورثناه من فم المسيح ومن روحه
لقدوس. واضحٌ هنا أن معرفة اسم الآب فكُّ لغز الإيمان، ومعرفة
سم المسيح هو الذي فتح باب الطريق والحق والحياة، والاثنتان
أصبحا ميراث الإنسان بفضل الله. فمن ذا الذي يعرف المسيح ولا
يحبه؟ بل ومن يعرف اسم الآب ولا يكون قد بلغ المنتهى في حب
الآب والابن؟

نحن عشاق حب الآب والابن، ولا نملك من الدنيا إلا هذا
العشق. فالدنيا ستزول، ويزول بزوالها كل من عَشَقَ الدنيا وأضاع
حياته لها. أما نحن فقد جحدنا الدنيا وعشقنا الآب والابن، عشقاً
صامتاً يغلي في صدورنا، كتماناه عن العالم إلى أن يكشفه الآب
والابن في السماء. ولكي يثق القارئ فيما نقول، فليمعن النظر
ويفتح عيني قلبه، ويقرأ ما كتبه يسوع بنفسه: «سأعرفهم اسمك
ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به وأكون أنا فيهم». هنا يزيد
المسيح سرّاً من أسرارهِ الخفية حينما يقول: «ليكون فيهم الحب
الذي أحببتي به وأكون أنا فيهم». لأنه يستحيل أن يوجد حب
الآب ولا يوجد المسيح. فوجود حب الآب يفيد وجوده هو، أي
وجود الآب، ووجود الآب يستحيل أن يتم بغير وجود المسيح.

فليست هي معرفة اسم، التي للآب والابن، إنما هي وجود

حقيقي لهما. وهذا يفيد أن المعرفة والحب رهن الوجود! فمعرفة اسم الآب التي يطلبها الابن هي بعينها إعلان وجوده، لأنها ليست كمعرفة أمور العالم، بل معرفة الآب والابن تعني تواجدهما وتعني بالضرورة استعلانهما. لأن المعرفة في جوهرها استعلان حقيقة.

ومن أجل هذا صرَّح المسيح أنه هو الحق والحياة. فالحق استعلان والحياة وجود. ومن آمن بالمسيح نال وجوده وحياته، وانطلق بحياة المسيح التي فيه إلى الحياة الأبدية التي له.

وصحَّ قول المسيح إن «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته». وهنا يضمُّ المسيح معاً: «معرفة الآب والابن» فتكون هي الحياة الأبدية.

وهذا حق لأن الحياة الأبدية هي حياة الآب والابن، الأزلية والأبدية معاً، «أنا الألف والياء»^٢. والآب والابن لاهوت واحد لا يفترق. على أن الآب أرسل الابن إلى العالم ليُعرِّف العالم بالآب. ويقول المسيح دائماً: «الذي رأي فقد رأى الآب»^٣، «أنا والآب واحد»^٤. فكانت مهمة المسيح الجوهريّة هي استعلان الآب للعالم،

^٢ رؤ ٢٢: ١٣.

^٣ يو ١٤: ٩.

^٤ يو ١٠: ٣٠.

ليتمجد الآب بالابن. كما مجّد الآب الابن، «مجّدتُ وأمجّد أيضاً»^٥، كان هذا جواب الآب للمسيح الذي قال: «مجّدي أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم»^٦.

فيا لَسَعْدِ الإنسان الذي صار شريكاً في مجد المسيح والآب، واستحق الحياة الأبدية مع الله!

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥

^٥ يو ١٢: ٢٨.

^٦ يو ١٧: ٥.

«العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٤

يا لها من رسالة عظمى ومباركة، أعظم رسالة دبرها الله بعد الخلقة الأولى للسماء والأرض التي عاث الشيطان فيها وأفسدها واستعبد الإنسان وأذلّه.

وكان أول عمل عمله المسيح في إرساليته، هو أن صارع الشيطان في التجربة على الجبل، تمهيداً للظفر به على الصليب. فغاب الشيطان عن العالم وبدأ المسيح يستعلن ملكوت السموات والحياة الجديدة العظمى للإنسان. وافتتح المسيح العهد الجديد بالموعظة على الجبل، التي جاءت في افتتاحية إنجيل القديس متى الرسول، التي جاءت بمثابة دستور الحياة الجديدة للإنسان. وأخذ بعدها يوضح للإنسان أسلوب حياته الجديدة التي احتواها الإنجيل، إن في الأربعة الأناجيل، أو في كل الرسائل التي ألهمها للرسول، كل رسول باسمه، بعد أن أيدهم بروحه القدوس.

كانت حياة المسيح عملاً في عمل، لم يكفّ فمه عن الكلام

الحبي الذي ملأ به مُحتوى كل قلب الإنسان وعقله. وكشف قليلاً قليلاً عن سرّ الله الذي فيه، وسرّ الآب الذي أرسله. فكانت حياةً ملأت كل الحياة، لم يأت قبلها نبي أو معلم يحمل لنا ما حمل المسيح. بل وأعظم أعمال كل الأنبياء والمُعَلِّمين السابقين، بالكاد استطاعت أن تشير مجرد إشارة، لمن سيأتي بعدهم، أي المسيح، أي الذي سيُغطّي كل حياة الإنسان وقلبه وفكره، وينير أمامه طريق الحياة الأبدية، الذي كان قد أغلق منذ آدم حتى مجيء الرب.

كان جوهر عمل المسيح الذي أكمله هو استعلان جوهر الآب. إذ كما يقول سفر العبرانيين، لما أراد أن يُجملَ أوصاف المسيح الجوهريّة، فقال إنه هو «الذي جعله (الله) وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسمُ جوهره وحاملُ كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً للخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي»^١. وهذا أدقُّ مُختَصَر ورد في الإنجيل عن من هو المسيح، وماذا كان عمله على الأرض.

لقد فتح المسيح عهداً جديداً للإنسان، لا يقوم على ناموس بعد، بل يقوم على أساس عمل الآب الذي عمله بالمسيح، والذي

^١ عب ١: ٢، ٣.

أكمله المسيح. وقَدَّم ختام عمله هكذا: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته»^٢.

إن خلقه السماء والأرض الأولى تصغر وتتضاءل أمام عمل الآب هذا، الذي أتمه بالمسيح وفي المسيح. وكان بطل الخلقة الأولى (آدم) قد هوى من مركزه، ونزل إلى حضيض الأرض مُشيَّعاً بالسخط من الله، مع شريكته حواء محرَّك الشر. وبدأ العهد الجديد، وكان في الحقيقة عهد الله الجديد مع الإنسان. استُعلن فيه، أول من استُعلن، ابن الله نفسه، رسلاً من الآب السماوي ليخلص الإنسان بفدية حياته، ويقود الإنسان الجديد المخلوق جديداً «بحسب الله»^٣، حاملاً صورة الله الحقيقية ومحبة الفائقة التي أورثته المجد.

فيا له من عمل ذاك الذي أعطاه الآب للابن، فأكمّله على أصدق حق، ليقدمه بتقدمة الإنسان له، ليقبل من الآب المصالحة العظمى، التي عاشت من أجلها أجيال وأجيال تنتظر هذه الساعة. ومصالحة الإنسان بالله الآب كان ثمنها دم الابن على الصليب،

^٢ يو ١٧: ٤.

^٣ أف ٤: ٢٤.

ليشفع في المذنبين ويكسب لهم غلبة العالم، وإبطال عمل الخطيئة وموت الموت. وقام المسيح من موت الفدية إلى قيامة المجد، حاملاً في جسده المقام الإنسان المغفور الخطايا ليصالح الآب. وینفتح أمام الإنسان الملكوت والحياة الأبدية، التي كان بابها قد انغلق في وجه آدم، ووقف الشاروبيم يحرس الملكوت بسيف من نار، الذي نَحاه المسيح وأصبح هو بنفسه الطريق إلى الملكوت، حاملاً الحق والحياة. ويا لسعد الإنسان الذي قضى آلاف السنين حزيناً باكياً يطلب الرحمة والفداء، فجاءه مَنْ رَحَّمَهُ وفداه وأعاده إلى حضن الله بعد خصام وغربة طالت بطول الزمان.

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥

«والآن مجّدي أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي
عندك قبل كون العالم»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٥

المسيح لا يطلب حالاً جديداً له، بل هذا هو حاله بالمجد الذي كان له قبل كون العالم. ومن أسرار المسيح الخطيرة ما جاء عفواً في الإنجيل، أن المسيح تألم مراراً كثيرة بعد كون العالم. كيف ولماذا، هذا أغلق الكتاب عن معناه وتفسيره. ولكن ربما، وعلى قدر حقارة معرفتنا، أن قدّر المسيح كان من قدّر الإنسان. فلما خلّق العالم، والإنسان في العالم قبل الصليب كان يخطئ في حق الله، فكان هذا يؤلم المسيح ألماً بعد ألم، مراراً كثيرة بقدر كثرة خطايا الإنسان وزيغانه عن الله. حتى نزل المسيح مُرسلاً من الآب ليحمل قضية الإنسان أمام الله. ويبدو أن مجد المسيح الذي كان له قبل كون العالم قد أساء إليه الإنسان بخطاياهِ وتجديفاته على الله، والله صابر عليه من أجل خاطر المسيح، حتى حلّ الزمان وحلّت ساعة الخلاص، فأرسل الله ابنه إلى العالم.

«فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه»^١. فالمسيح الآن وبعد أن أكمل ذبيحة نفسه ليحمل كل خطايا الإنسان مرة واحدة على الصليب، يكون قد أكمل كل غاية الله وعمله، الذي طلب من الابن أن يعمل، فأكمّله. ولما أكمله، ترجّى الآب ليعيد إليه المجد كاملاً، الذي كان له منذ تأسيس العالم.

وهنا أيها القارئ العزيز، كشف بديع ومريع عن مقدار آلام المسيح، ليس فقط بعد أن تجسّد، بل وقبل أن يتجسد بتأسيس العالم. يعني أن تأسيس العالم وخلق الإنسان على صورة الله، تسبّباً في آلام المسيح، الذي يبدو أنه كان مسئولاً عن الإنسان منذ تأسيس العالم.

وهنا ختام آلام المسيح بتكميل كل عمل الله. وهو بهذا يطلب المجد الذي كان له من قبل تكوين العالم!!! وقيمة آلام المسيح ليست عزيزة عند الآب فقط، بل هي حياتنا وفخرنا ومجدنا. فلولا آلام المسيح ما غُفرت خطايانا، وما استحققنا المثل أمام الآب

^١ عب ٢: ٢٦.

«بلا لوم في محبة» المسيح^٢، وما كان ممكناً أن ننال التبنّي^٣ أو نُكَمِّلَ لنا مواعيد الله العظمى والمجيدة^٤. فالآلام المسيح هي حقاً مجدنا واستحقاق دخولنا إلى ملكوته.

فكون المسيح يقرر أمام الآب أن العمل «الذي أعطيتني قد أكملته»، فهذه هي نهاية المنتهى لعظمة الخلاص الذي أكمل، والفدية التي استطاعت أن تفكَّ غضب الله علينا. فنحن يوم أكمل المسيح عمل الله من أجلنا، اكتملت لنا نحن أيضاً قضية خلاصنا وغفران خطايانا وصُلِّحنا مع الآب، واستحققنا «الدخول إلى الأقداس بدم يسوع (المسيح)»^٥، لنجد لأنفسنا «فداءً أبدياً»^٦ مُخلِّداً عند الآب.

فعمل الآب الذي كلّف به الابن، هو عملنا وهو من أجلنا، وبه انتقلنا من الموت إلى الحياة، وورثنا مجد الابن المذخر له في السموات، وانفتحت لنا أبواب الحياة الأبديّة بلا سؤال أو تقديم

^٢ أف ١: ٤.

^٣ أف ١: ٥.

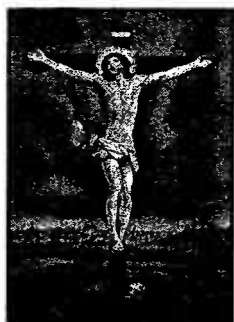
^٤ ٢ بط ١: ٤.

^٥ عب ١٠: ١٩.

^٦ عب ٩: ١٢.

شهادات، أو الاستجارة بمن يضمّننا. بل تُقَابِل هناك بصفتنا أولادَ
الله المختارين، الذين ضمنهم المسيح بحياته، وفازوا بحب الآب
ورحمته.

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥



«لأن الآب نفسه يحبكم
لأنكم قد أحببتموني وآمنتُم أُنِي من عند الله خرجت»

إنجيل يوحنا ١٦ : ٢٧

لقد كانت صلاة المسيح الأخيرة توسلاً إلى الآب أن يحبنا كما أحبه الآب^١. وهنا يؤكد لنا المسيح أننا أصبحنا محبوبين لدى الآب: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعَيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمجد مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»^٢.

وهنا يكشف لنا سرَّ محبة الآب لنا أنها بسبب محبتنا لابنه يسوع المسيح، وإيماننا أن الله الآب أرسله لنا ليخلصنا ويفدنا ويعيدنا إلى رتبتنا الأولى. وهكذا جمع لنا المسيح محبتنا للآب ومحبتنا ليسوع

^١ يو ١٧: ٢٦.

^٢ أف ١: ٣-٦.

المسيح. وباكتمال محبتنا للآب والابن، نكون قد تأهلنا لميراث المسيح في الآب هناك في الحياة الأبدية، المعلنة الآن والمفتوحة لنا عند اكتمال غربتنا على الأرض، ومجيء المسيح ليأخذنا إلى الآب.

ومحبة الآب هي منتهى رضا الآب علينا، بعد خصومة دامت كل الدهور السالفة، التي قضاها الإنسان متغرباً عن الله وعن محبته، يذرف الدموع بلا كيل، ويتنهد من عبودية الشيطان واستهزاء العالم الشرير. والآن بمجيء المسيح وتكميل صلحنا مع الآب بذبيحة المسيح الكفارية على الصليب، ابتداء الآب يستقبلنا عندما نذهب إليه ليمسح الدموع من أعيننا، ويفيض علينا بحبه ورضاه، ويستقبل المختارين منا مع «أهل بيت الله»^٣.

ونحن الآن محبّون للآب والابن، ومحبوبون من الآب والابن. وبهذا استحققنا أن نكون أبناء ملكوت الآب والابن، حيث نكون شركاء حقيقيين للمسيح والآب، نرث ميراث المسيح في الآب. ونفرح من الآن بنصيبنا السماوي الفائق في الوصف، وإن كان يجب أن نُحزن قليلاً لِيُختبَر صبرنا واحتمالنا، حتى إذا ما نجحنا

^٣ أف ١٩:٢.

^٤ أنظر ١ بط ٦:١.

في احتمال أحزان وضيقات الحياة بسبب اسم المسيح، نستحق القول: «ادْخُلْ إِلَى فرح سيدك»^٥. فبقدر أحزان هذا الدهر، ومحن الحياة باسمه في وسط جيل شرير وملتو، يكون الله الآب قد أعدَّ لنا «النصيب الصالح الذي لن يُنزع» منا^٦.

فمحببة الآب تبشِّرُ بحياة في المجد لا يدانيها مجد، لأنه كما قال المسيح: «كل شيء قد دُفِعَ إِلَيَّ»^٧، كل ما في السموات والأرض، هذا كله سيكون الإنسان حبيب المسيح شريكاً له، كما في أحزانه، كذلك في أمجاده. لدرجة أنه من عظم محبة المسيح لنا محبة خالصة قوية من قلب حنون أحنَّ من قلب الأم على رضيعها آلاف المرات، طلب من الآب في صلاته الأخيرة أن يُحضرنا الآب في ملكوته مع المسيح، لنرى مجده الذي أعطاه الله^٨. إنها أحاسيس أخ شقيق وحبيب لحبيب.

هكذا طوّقنا المسيح بحبه ولطفه وحنانه، لا على الأرض فقط،

^٥ مت ٢٣: ٢٥.

^٦ آنظر في ١٥: ٢.

^٧ لو ١٠: ٤٢.

^٨ لو ١٠: ٢٢.

^٩ يو ١٧: ٢٤.

بل وفيما أعدّه في السماء لنا، لنكون أعزّ خلائق الله، وأبناء حب
الآب والابن، مدللين كرضيع على صدر أمه. فيعوّضنا عن قسوة
هذا الدهر، الذي نعيشه متغريين عن وطننا السمائي. ويجزل لنا
من لطفه فننسى أيام الجفاء والجفاف والبعد عمّن يحبنا، مكرويين
ومذللين تحت قسوة الزمان ومحن الأيام، وبغضة العالم وأهل العالم
التي أنستنا أن لنا صدرًا حنوناً في السماء ينتظرنا ليفيض علينا من
حنانه، ويعوّضنا عن سنين أكلها الجراد، وتعرّينا فيها أمام عدونا
وأعوزنا بمجد الله.

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنا أظهرتُ اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم،
كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٦

كان المسيح تبارك اسمه لا يكفُّ عن الإعلان نهاراً نهاراً أن
الآب هو الذي أرسله^١، والآب هو الذي أعطاه الكلام الذي
يقول^٢، والآب هو الذي كان يعمل الأعمال بالمسيح وفي المسيح^٣،
والآب هو الذي عنده لنا منازل كثيرة سوف يذهب المسيح ويُعدُّ
لنا مكاناً فيها^٤، والآب نفسه يحبكم^٥.

فكان اسم الآب هو ملء حياة المسيح، وملء ذهنه وفمه. وكان
الآب بداية كرازة المسيح، وإلى نهاية الكرازة. لذلك بهذه الدالة،

^١ يو ٥: ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٥٧ و ٢٩: ٧ و ١٦: ٨، ١٨ و ٤٩: ١٢ و ٢٤: ١٤

و ٨: ١٧.

^٢ يو ١٤: ١٠، ٢٤.

^٣ يو ٣٦: ٥ و ١٠: ١٤.

^٤ يو ١٤: ٢.

^٥ يو ١٦: ٢٧.

يتقدّم المسيح إلى الآب، كمن أكمل الرسالة والوصية، وألبس الإنسان رداء البنوة التي له. ومن أسرار المسيح التي يكشفها هنا، أن كل الذين آمنوا بالمسيح ودخلوا حظيرته، كانوا أصلاً مدعوّي الآب، محسوين أنهم للآب، وأوعز الآب لهم أن يتبعوا المسيح، «كانوا لك وأعطيتهم لي».

كل هذا كان يحدث سرّاً دون إحساس منا أو معرفة. فالذي تصوّرناه هو أننا كنا للمسيح، وأعطانا المسيح للآب. كل هذا يكشف عن تواضع المسيح حتى القاع، وإنكاراً منه لأي فضل له. أما نحن فنفتخر أننا كنا محسوين على الآب، وأهدانا الآب للابن، وكأننا طفل رضيع انتقل من صدر إلى صدر. وصرنا بهذا مديونين فعلاً لحب الآب، كما أننا مديونون لحب المسيح: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»^٦.

وكان المسيح يُلحّ علينا باستمرار أن نحفظ وصاياه، حتى في حفظها تكون لنا حياة، لأن كلامه محيي. ولكن الآن يكشف لنا المسيح مرة واحدة أن الوصايا وكلام الإنجيل كله، هو وصايا

^٦ يو ١٦: ٣.

وكلام الآب الذي أعطاه للمسيح ليقول ويعمل! فإن كنا حفظناه، فإن هذا كان بدفع خفي من الآب بالروح. فالمسيح هنا يُخلي نفسه من مصدر الكلمة وكل وصية، فهذه كلها عَمَلُهَا الآب وقال بها للمسيح، لِيَتَمَجَّدَ الآب بالمسيح. لذلك حَقٌّ للمسيح كل الحق أن يقول للآب: «أنا مَجْدُكَ على الأرض»^٧، وطلب بناء على ذلك أن يمجده الآب بالمجد الذي له قبل إنشاء العالم!^٨

وبكلام المسيح للآب هنا، نشعر بمدى الصلة القوية جداً بين الآب والابن، وخَقٌّ للمسيح كل الحق، أن يقول «أنا في الآب والآب فيَّ»^٩، و«أنا والآب واحد»^{١٠}، وأن الآب هو الذي يقول وهو الذي يعمل الأعمال. ولما كان يحاجج اليهود بكل درجاتهم، كان يقول: «الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني»^{١١}، «خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم

^٧ يو ٤: ١٧.

^٨ يو ٥: ١٧.

^٩ يو ١٠: ١٤.

^{١٠} يو ١٠: ٣٠.

^{١١} يو ٣٦: ٥.

وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب»^{١٢}، «لو لم أكن قد عملتُ بينهم أعمالاً لم يعملها أحدٌ غيري لم تكن لهم خطية»^{١٣}. و«أما الآن (بعد هذه الأعمال كلها) فليس لهم عذر في خطيتهم»^{١٤}. هذا الدفاع كله كان على أساس أن الآب هو الذي عمل هذه الأعمال التي أوعزها للابن. فالمسيح يصرِّح بكل وضوح أن الأعمال ليست لى بل الذي أرسلني هو الذي يعمل هذه الأعمال^{١٥}.

فحقيقةً إن المسيح أظهر اسم الآب للناس كلهم، ومجَّد الله في كل قول وعمل، إذ نسب الكل للآب، والإنجيل كله يشهد بذلك. وخرجنا (جميعاً) بالإجمال من دراسة الإنجيل أن كل ما قيل فيه هو من فم المسيح ولكنه قول الآب وعمله. ولا يمكن ولا يستطيع أي عالم في الدنيا، أن يفصل كلام المسيح عن كلام الآب أو عمل المسيح عن عمل الآب، أو مجد المسيح عن مجد الآب.

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥

^{١٢} يو ١٦: ٢٨.

^{١٣} يو ١٥: ٢٤.

^{١٤} يو ١٥: ٢٢.

^{١٥} يو ١٤: ١٠.

«الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا
يقيناً أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٨

يكشف المسيح هنا بغاية الوضوح والاختصار، أن كل ما قاله
المسيح مستمد من الآب، وأنه نقله لتلاميذه والعالم كله كلمة
كلمة، أعطاهم ما أعطاه الآب. ثم يوضح المسيح سرَّ مجيئه للعالم،
أنه خرج من عند الآب. وأصبح ذلك مؤكداً من تصريحه الدائم،
وصار عند التلاميذ ثم عند العالم كله (أي كل من آمن بالمسيح)
صار أمراً يقينياً أن المسيح خرج من عند الآب، فأمنوا بأنه حقاً
مُرسل من عند الآب. كل ذلك دخل ضمن عقيدة المؤمنين
بالمسيح، وأدركوا دور الآب العظيم في توصيل رسالة الخلاص
والفداء للإنسان.

فإذا اتضح أماننا وحدة التعليم والعمل بين الآب والابن الذي
تَّممه المسيح، أدركنا بغاية الوضوح أن الله الآب والابن اشتركا معاً
في لاهوت واحد، لتكميل خلاصنا وفدائنا وإعدادنا لتكون أهلاً

لدخول ملكوت السموات، أي الحياة الأبدية.

وعندما يقول المسيح مخاطباً الآب، إن «الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم»، يؤكد بذلك أن الآب يتكلم في الابن، والابن يتكلم بالروح الكلام الذي صار منهجاً للخلاص المرسوم بين الآب والابن لحساب الإنسان. مما يجعل الإنجيل الذي ورثناه من المسيح، عبر الرسل أصحاب الأناجيل والرسائل، هو دستور الإيمان بالمسيح والآب للعهد الجديد.

وبهذا الاتحاد أو الوحدة بين الآب والابن، بلغنا نحن بواسطة الإيمان الحيّ بالآب والابن، إلى شركة فيما للآب والابن. امتدّت هذه الشركة إلى عمق أعماق الإنسان المؤمن لتبُلُغ إلى الاتحاد السريّ في الآب والابن: «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مُكمّلين إلى واحد»^١. أليس هذا هو عجب الإيمان المسيحي، الذي يُصيرنا في وحدانية سرّية مع الآب والابن؟ «من صدّق خبرنا ولمن استُعِلت ذراع الرب»^٢، إلّا نحن الذين صرنا محسوبين في الآب والابن، فلم نُعد ثلاثة بل واحداً! انفرش علينا مجد الآب والابن، فابتلّعنا في

^١ يو ١٧: ٢٣.

^٢ يو ١٢: ٣٨.

ذاته. فلم نُعد بشراً مُدَلِّين - بعد - تحت تهديد الموت، بل أصبحنا محسوبين أعضاء بيت الآب، المُعَدِّين لميراث السموات. من يصدِّق؟

ولكن هذا هو عمل الآب الذي عمله في الابن لحسابنا، ليضمَّننا إلى خاصته فنصبح شركاء مجد الآب والابن.

عجبي على الإنسان الساقط المطرود من أمام وجه الله، الذي استقبله تراب الأرض ليحيا فيه ويموت تحته، ليصير في ملء زمان الخصام الإلهي والقطيعة التي جمعت الإنسان مع الحيوان، ليموت موته ويُدفن دفنه، ولكنه - بخلاف الحيوان - يقوم قيامته هذه ليصعد مع ابن الله كرفيق قيامة وشريك حياة، ويجلس كإله عن يمين عرش الله في المسيح^٣، الذي أهَّله هذا التأهيل الذي لا يدركه عقل ولا معقول. ويُدخله برفقة المسيح وفيه في ملكوته لميراث حياة أبدية في ميراث الابن الوحيد.

من يصدِّق خبرنا هذا، ولمن استُعِلَّت ذراع الرب، التي رفعتنا من التراب ومن تحت التراب، إلى علو السموات هكذا، مع من؟ مع المسيح ابن الله الوحيد المحبوب، الذي نضح علينا من بنوته لله

^٣ رؤ ٣: ٢١.

ومن لاهوته، حياة أبدية هي حياة الآب والابن. اسمعوا وتَهَلَّلُوا،
فالإنسان صار واحداً مع الآب والابن: «كما أنك أنت أيها الآب
في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... أنا فيهم وأنت في
ليكونوا مُكَمَّلِينَ إلى واحد»^٤.

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ يو ١٧: ٢١، ٢٣.

«كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي
وأنا مُمَجَّدٌ فيهم»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١٠

التبادل الوجدوي بين الآب والابن، هو تطابق ومطابقة، كل ما هو للآب هو للمسيح. شيء جديد على أذهاننا جداً، لأن الذي للآب هو مُلْك السموات والأرض، وكل الخليقة ما في السماء وما على الأرض، الزمن والدهور كلها، وآجال الإنسان ومجاليه، ولا شيء يخفى عليه. وهذا عينه هو مُلْك الابن تماماً بتمام. فالآب والابن واحد بالوجود والملكية والعمل.

أما كون المسيح مُمَجَّداً فينا، فهو شرف البشرية المنحطة التي طُرِدَتْ يوماً من وجه الله. هكذا رجع إليها اعتبارها. وقول المسيح: «أنا مُمَجَّدٌ فيهم»، فهو وإن كان لا يزيد على المسيح، فهو رفعة ما بعدها رفعة للإنسان، وزيادة ليست من أصله ولا من معدنه. فمعدنه الأصلي تراب، وماله الأصلي تراب. أما كيف يمكن أن التراب يتسبب في مجد المسيح، فهذا لغز الألغاز، لا يفكّه إلا كون المسيح صار إنساناً بالتجسد، وبقي كما هو إلهاً وملء

اللاهوت فيه. فالحقيقة أن البشرية هي التي تمجّدت فيه وبه. ولكن لما صنع فينا «تطهيراً لخطايانا»^١، انفكّت عقدة لساننا، وبدأ الإنسان يسبّح ويمجّد مَنْ خلّصه من عار الخطية، وفكّه من قبضة الشيطان، وأقامه من الجسد ليجلس مع المسيح في السموات. فصار هذا بجد ذاته تمجيداً للمسيح فينا، وتحقيق ما يقول: «وأنّا مُمجّد فيهم».

لذلك صَحَّ النداء أيها الإخوة، أن «مجّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله»^٢. فقد أصبح كل ما تملكه من أي شيء صالح، هو إعاره مستعارة من الذي للمسيح. لأن المسيح من أجل حبه وتواضعه الشديد، وهبنا ذاته وكل ما له، حتى ميراثه الإلهي في السموات، أشر كنا فيه لأنه سكن فينا ونحن سكنا فيه. فأصبح كل ما للآب للمسيح، وكل ما للمسيح لنا، فنحن تملّكنا في الله تماماً كما تملّكنا الله. وتم قول المسيح الفائق السرية والمجد، وكرره بسبب جديته، بل خطورته: «أنا فيهم وأنت (أيها الآب) في»^٣، وهكذا ننتهي إلى واحد!! أيّ واحد هذا؟! ولكن بسبب أن اللاهوت التحم بالناسوت في المسيح، أي التحم الله بالإنسان،

^١ عب ١: ٣.

^٢ ١ كو ٦: ٢٠.

^٣ يو ١٧: ٢٣.

تَمَّتْ المعجزة التي تفوق تصوُّر الإنسان. ولكن هكذا كل أعمال الله! فبعد أن تجسّد ابنه الذي كان في جسده ملء اللاهوت، امتلأنا نحن به وفيه، ودخل الإنسان الوحدة الرهيبة مع الله. والعجيب، ومن تواضع المسيح المخجل لنا، أن يقول: «وأنا ممجّد فيهم». قولٌ تَهْتَرُّ له أجيال الإنسان التي عاشت راضية بحيوانيّتها، تأكل وتموت ولا تدري ما هو محبّاً لها في ملء الدهور. ولكن العلامة الأولى جداً التي ولّدت نصيب كل الإنسان الإلهي، هي قول الله عند خلقه أول إنسان دبّاً على الأرض، «نعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا»^٤. وهكذا سجّلت السموات ما للإنسان في الله، وحُفِظَت كلمة الله في محافظ الدهور والأجيال، حتى برزت مرة واحدة في ملء معناها ومبناها، الذي كانت فيما سبق لغزاً لم يحلّه رسول ولا نبي، حتى ولّد المسيح في بيت لحم، ودُعي الصبي «قدوسَ العليّ»^٥!!!

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ تك ١: ٢٦.

^٥ لو ١: ٣٥، ٣٢.

«أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني
ليكونوا واحداً كما نحن»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١١

تركة المسيح التي بقيت لنا كل الدهور فيما بعد الصليب، هي
«احفظهم في اسمك». واسم الآب هو الآب. وهكذا صار الآب
حافظ البشرية التي آمنت بالمسيح، كل الدهور السالفة حتى يومنا
هذا. كان المسيح، كما قال، يحفظ خاصته حفظاً الدجاجة
لفراخها تحت جناحيها: «حين كنت معهم في العالم كنت
أحفظهم في اسمك، الذين أعطيتني حفظتهم. ولم يهلك منهم أحد
إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب»^١.

فالمسيح كان يحفظ تلاميذه. والعجيب المذهل أن يقول إنه
حفظهم في اسم الآب. إلى هذا الحد كان المسيح يعيش كل يوم
ماسكاً باسم الآب. نحن نسجل له هذه اللقطة المذهلة، التي يظهر

^١ يو ١٧: ١٢.

منها بغاية الوضوح، مقدار التصاق المسيح بالآب السماوي. فهو كان يعيش كل يوم، ويعيش معه تلاميذه كلهم، تحت ظلّ القدير في السماء كمصدر حفظ وعناية وإلهام. يتحركون به وأمامه، ويتكلمون بفمه وكلامه، ويصنعون المعجزات والآيات باسمه وقوته حتى النهاية، عندما سلّموا له الوديعة وانتقلوا إلى السماء يُحدّثون الآب بما صنعوا باسمه.

وهنا يسلم المسيح الوديعة ليد الآب قبل أن ينتقل إليه مباشرة: «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن!!!» والمسيح هنا يطلب لتلاميذه ذات الوحدة التي جمعت الابن بالآب: «ليكونوا واحداً كما نحن (الآب والابن)». هذه هي تركة المسيح على الأرض، سلّمها ليد الآب ليرعاها كما رعاها المسيح وأقوى.

وفعلاً، ظلّت البشرية تسير إلى الآن ألفي سنة، مدفوعة بقوة دعاء الابن للآب، تحت مظلة الآب مباشرة.

والمسيح يطلب للبشرية الوحدة السرية التي للآب والابن، التي أخفق العالم أن يميّزها ويطبّقها، حتى صارت البشرية مفتّنة، ليس في الدول فقط، بل وفي البيوت والعائلات والكنائس. والواضح أن

الإنسان عجز عن أن يحفظ وحدته في الأسرة والمجتمع والأمم. واستطاع عدو الخير أن يُهَيِّج الدول بعضها على بعض، والأسر كأفراد في أسرة واحدة. بل وانفصل الآباء عن أبنائهم، والأمهات عن بناتهن. وتولَّى الشيطان رعاية الإنسان! والشكوى مرفوعة إلى الله أن يتولَّى مصير الإنسان، الذي فلت من أيدي الأسر والحكومات، وسار كل إنسان على رأسه عَوْضَ رجله، لا يعرف خالقه ويحتقر الأبوة والأمومة، ويمجِّد حرية الشيطان، الذي تولَّى الرعاية في هذه السنين التي أكلها الجراد.

لقد خابت الكنائس عن أن تجمع الإنسان على الإنسان. وخابت الأمهات عن ضبط بناتهن والرجال عن ضبط أولادهم. وتولَّى الشيطان رعاية الأسرة والمجتمع، وهيهات أن يعود التعقل، ويسود الصلاح والتقوى، التي أصبحت - في نظر الناس - بضاعة ليست قديمة فحسب، بل ومُداسة تحت الأقدام.

فترك الأب أولاده يُربُّون أنفسهم، وترك الأمهات بناتهن للشارع يعلمهن البهرجة والفجور، وعزَّ اسم الله جداً. وفرغت الكنائس من المصلِّين فيها، لتمتلى السينما والتياترو، وألعاب السحر والشذوذ.

ونحن نرفع أبصارنا وأيدينا وقلوبنا، لمن هو قادر أن يرحم العالم
الذي فسد وأعوزه من يُصلح ويؤدّب ويُعلّم، لتعود كلمة الله إلى
سابق عهدها، ترنّ في الكنائس والمخيّمات والنوادي، ليعود
الإنسان إلى صوابه ويطلب خلاصه.

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١٤

كان المسيح يتكلم بكلام الآب، فكان كلامه لا يرتاح إلا في قلوب من اختارهم الآب ليكونوا شهوده والمنادين باسمه، فتقوّت الكلمة في قلوب من سمعوها وميّزوها وأحبوها. ولا تزال ترن في كل أرجاء العالم، ولكن لا يستقبلها بالقبول والفرح إلا المعينون للحياة الأبدية^١، الذين هم ملح الأرض ونور العالم^٢. فالعالم محفوظ إلى اليوم بالكلمة، كلمة الله التي تُحيي القلوب وتُسند الضعفاء. وإن كانت كلمة الله اليوم شحّت وصارت عزيزة جداً، ولكن لا يزال العالم محفوظاً بكلمة الله، شحّت مهما شحّت، ولكنها كالجذر الحيّ، أينما وجد الماء يتعافى ويُخرج الحياة. فليست كل بلاد الدنيا خرجت من حظيرة النعمة والله، إذ لا تزال

^١ أع ١٣: ٤٨.

^٢ مت ٥: ١٣، ١٤.

بلاد وأسر وأفراد يلهجون بالإنجيل وكلمة الله الحية في أفواههم،
يغزون قلوب كثيرين، وينعشون نفوساً لا تزال تنبض قلوبها
بالحياة.

فإن كان العالم على عكس ذلك، لا يزال يبغض أصحاب
الاسم والمتكلمين بالكلمة، لأنهم مستنيرون يضيئون بالكلمة كنور
الله في ظلمة العالم المرفوض والمختفي عن عين الله، فلا عجب في
ذلك، فقد رُفضَ المسيح من كل أولاد بليعال محبّي الظلمة
والفجور.

ولا تزال كلمة الله لها آذان تلهّفها، وأفواه تتغنّى بها. نفوس قد
ختم عليها الروح القدس لتُحفظ طاهرة لله، بهيئة في عيون من
أحبوا الكلمة وعشقوها. وإن كان العالم يبغضهم، ولكنهم
يباركون ويحبّون ويصبرون، منتظرين دائماً العون من فوق،
تُسيرهم كلمات النعمة كوقود الحياة الأبدية.

فالكلام الذي أعطاه المسيح لا يزال يرنُّ في كل العصور، في
آذان الذين ضبطوا نغم الإنجيل على أوتار قلوبهم، يرددون بالقول
والترتيلة الحلوة ما يخرج من قلوبهم المشحونة بنعمة الإنجيل. فإزاء
بغضة العالم للكلمة التي توبّخ أعمالهم، يعطيهم المسيح الصبر

وانفتاح البصيرة للتحدث بمجد الله ونعمته في قوة وإصرار، إذ يشعُّ النور من عقولهم وقلوبهم بقوة لا تُعاند، تسند الضعفاء وتُقيم المطروحين بضربات العدو، وتُمجِّد الله الذي لا يزال يسند الكثيرين ليكمِّلوا السعي ويحفظوا الوديعة.

وإن كان الذين ليسوا من العالم قد صاروا فريسة للعدو لينكل بهم، إلا أن وعد الله لا يزال قائماً فاعلاً ويُسرِّي عن قلوبهم ويلهمهم الصبر، ويريهـم الطريق كاشفاً عن بضائـرهم أن الذين معهم أكثر من الذين عليهم^٣. يتغنَّون بفضل الله ونعمته، التي حفظتهم وسط آتون العالم، كالفتية القديسين الذين رماهم نبوخذنصر الملك في آتون النار. فلما عاد الملك ليراهم وجدهم يتمشَّون وسط النار، يلهجون بغناء مُطرب باسم الله ونعمته^٤.

فمرحباً بعالم أتون الفتية الثلاثة، فنحن ورثتهم باسم المسيح وقوته، ستمشَّى ونُغني بينما العالم يُحرق، ونشهد لمن حفظنا حتى اليوم في عالم ساقط، ونحن نستنشق ندى السماء ورائحة المسيح الذكية.

^٣ أنظر ٢ مل ٦ : ١٧، ١٦.

^٤ دانيال ٣ الأسفار القانونية الثانية - تسبحة الهوس الثالث.

وسرُّ حفظنا وصبرنا وغنانا هو اسم المسيح الذي خُتِمَتْ به قلوبنا. فما عاد مُبْغِضِ الحق يقوى علينا، فنحن أقوى من جليات الجبار، وسيف الروح في يدنا وقلوبنا. نتمسكن حتى نتمكن لنقطع به رأس الشرِّ والشرير. ونهتف باسم الله الحيِّ الذي يشدد قلوبنا وذراعنا، حتى نحارب حروب الرب وليس لنا عدو ولا أعداء، وإنما العالم الذي أبغضنا ظلماً وبُهْتاناً. ولكن للبغضة نحن صابرون، حتى يأتي الذي سيرحم قبل أن يدين، فنتنفس بالمسيح وندعو باسم الرب.

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥

«لست أسأل أن تأخذهم من العالم
بل أن تحفظهم من الشرير»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١٥

ليست مسرة المسيح أن يغادر العالم، سواء بإرادتنا أو بغير إرادتنا. لأننا في العالم نعطي شهادة للمسيح، ونستمتع بوصاياه. ومغادرة العالم تدخل في مسئولية المسيح والآب عنا. وهذا ظاهر من قول: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم». فالعالم هو وطن الشهادة للمسيح، والتمتع بعناية الآب ورضاه. ونحن موجودون في العالم لرسالة سماوية، نشهد للمسيح وأعماله، ونشهد ضد الشيطان وكل أعماله، بل ونحطّم شراكه وخططه السوداء.

وكون المسيح يطلب من الآب أن يحفظنا من الشرير، فهو تكميل لما عمله المسيح للشيطان على الصليب، فقد ظفر به^١، أي ألقى القبض عليه متلبساً بأكبر جريمة عملها في كل السنين

^١ كو ١٥: ٢.

والدهور السالفة، وهي الوشاية ضد المسيح عند الرؤساء والكهنة، وتسهيل القبض عليه، ومحاكمته الكاذبة الظالمة الملفقة، والإيعاز لدى رؤساء الكهنة بالقبض عليه كمجرم. وهكذا خرجوا عليه بسيوف وعصي^٢، وأحاطوا به في جبل الزيتون، في المكان الذي كان يجتمع فيه مع تلاميذه كما كان يصلي فيه. وقبضوا عليه كمجرم، وساقوه وظلّوا طول الليل ينقلونه من حنان إلى قيافا، ثم ساقوه وأسلموه لبيلاطس البنطي الوالي الروماني في ذلك الزمان.

وكمّل عسكر بيلاطس ما بدأه رجال حنان وقيافا، من الهزء به وضربه وتعريته، وإلباسه ثوب المجرمين. وهكذا تقوّى الشيطان بمؤلاء الكهنة وأعوانهم من المجرمين، ونكّل بالمسيح أيّما تنكيل. لهذا سبق المسيح وطلب من الآب قبل أن يدخل هذه المحنة، أن يحفظ تلاميذه، وطبعاً كل المؤمنين به، من الشرير. ولأنه شريرٌ حقاً، فإن له فنوناً في وضع الفخاخ والشراك، والإيقاع بكل صنف من الإنسان بما يوافقه. وكما بقي المسيح في العالم ليوفي الآلام المستحقّة على الإنسان أصلاً، كما يوفي الموت على الصليب بكل عذاباته، لكي يلغي الموت بالموت الذي غلبه، وداس عليه

وقام منه حيًّا بالجسد، ويكْمَل على الصليب كل ما استحقه الإنسان، ليبرئ الإنسان من كل ما استحقه جزاءً لخطيته وتعدّيه؛ وهكذا بصلب المسيح وموته بُرِّئ الإنسان أمام الله من كل ذنوبه وتعدّياته، ونال الصفح الكلّي، وأصبح مهياً لدخول ملكوت الله. وهكذا بحفظ المسيح للمؤمنين به من الشرير، وإعدادهم للغلبة الكبرى على الشيطان وكل العالم، يكون قد أكمل رسالته بالتمام.

وهو هنا يتوسَّل لدى الآب أن يكْمَل ما بدأه المسيح، كونه يحفظ المؤمنين بالمسيح من الشرير. ويكون هذا العمل هو أقوى ما يمكن عمله لتكميل عمل الصليب. فعلى الصليب تمَّ شلُّ الشرير وإيقافه عند حدّه الأدنى. والآن المسيح يسأل الآب أن يحفظ المؤمنين به من خداع الشيطان وإلحاق الأذى بهم. ويلاحظ هنا أن المسيح قَصَرَ طلبه على حفظهم من الشرير، حتى لا يجرّهم عنوة إلى الخطية. ذلك لأن الخطية متحصّنة في طبيعة الإنسان الترابية. غير أن الله أنعم على البشرية بالروح القدس، وتجديد الخلقة، ليَحْصُل الإنسان على طبيعة أخرى لا تسكن فيها الخطية، بل مهياةً لانتقاء الله وحفظ وصاياه، والعمل بها لنوال النصيب الصالح المحفوظ لأتقياء الله في السماء، وميراث الابن المحبوب. وهذا هو

الذي وضع المسيح عينه عليه بعد ترك العالم، حتى لا يعدم الإنسان
معيناً سماوياً له.

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥

«ولأجلهم أقَدَّسَ أنا ذاتي
ليكونوا هم أيضاً مُقَدَّسين في الحق»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١٩

هذا القول من أبدع ما قال المسيح مُعلنًا سرَّه الخاص الذي كشفه للآب ليكون مكشوفاً لدينا بالنهاية. فكون المسيح يقدِّس ذاته، فهذا معناه أنه يحصر قلبه وعقله في الله فقط، لا يفكر إلا فيما أرسل من أجله. لا يتكلم إلا بما ينطق به الآب في قلبه. لا يعمل من نفسه أي شيء إلا ما يُوعز إليه الآب عمله. فكانت حياته إنجيلاً مقروءاً، تقدَّست بقدسيَّة الكلمة التي سمعها والتي قالها. صرَّح المسيح يوماً قائلاً: «من منكم يكتني على خطيئة (واحدة عملتُ)»!!! إذ كانت الخطيئة ترتد عنه مهزومة مقهورة، وكان يستدعي القداسة فتأتيه فاتحة ذراعيها. كل ما مسَّه المسيح تقدَّس، وكل ما خرج من فمه قدَّس. مرة صرخ الشيطان لما رآه

قائلاً: «أنا أعرفك من أنت قدوس الله»^٢، فرد عليه المسيح:
«اخرس». حتى تظلَّ القداسة التي فيه سرّاً لا يلحظها أحد.

لقد قدّس المسيح الصليب الذي صُلبَ عليه، بعد أن كان
معروفاً أنه صليب اللعنة، وملعون من صُلبَ عليه^٣، فصار مقدّساً،
وتقدّس كل من يؤمن به. حتى أن بطرس الرسول ترجّى الذين
بدأوا يصلّبونه أن لا تصلّبوني كمعلمي، اصلّبوني منكساً، فكان.
وعندما قال المسيح «من أجلهم أقدّس أنا ذاتي»، أوضح السر في
ذلك، أنه ليس لينال مجداً من أحد، بل لينضح من قداسته على
الذين آمنوا به، حتى يستظلّوا تحت ظلّ قداسته. وهو لا يقول
”لكي يصير المؤمنون به أصحاب قداسة“ كما يسموهم اليوم،
بل ليتقدّسوا بالحق الذي في الكلمة والوصية. وهنا يكشف المسيح
سرّاً يلدُّ لنا أن نكشفه للقارئ، أن كلام المسيح يخرج من فمه
مقدّساً بقدسية المسيح، قادراً أن ينقل قدسية المسيح التي في كلامه
لكل من يقبل كلام المسيح باتضاع وانفتاح.

لأجل هذا، ومن أجل هذا، يقول المسيح إنه يقدّس ذاته، حتى

^٢ مر ٢٤: ١.

^٣ غل ١٣: ٣.

تصير حياته ويصير كلامه مقدساً فيه. فكان المسيح طول حياته على الأرض مركز قداسة لكل من سار معه وتسمع أقواله. فتهافت الأتقياء على الجري وراءه لسماع أقواله. ولكن لم تدخل قدسية المسيح إلا لمن انفتح قلبه ليستوعب أقواله عن إيمان وحب وصدق. وحتى اليوم فكلمات المسيح مقصورة لا على من يسمعها بل على من يتقبلها ويحفظها في قلبه، لمعرفة كيف ستعمل الكلمة في حياته. كما كانت مريم أم المخلص تسمع كلامه وتحفظ به في قلبها، حتى إلى آخر لحظة^٤.

وصدق إرميا النبي الذي قال: «وَجَدَ كَلَامُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلَامُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي»^٥، وصاحب سفر المزامير الذي قال: «مَا أَحْلَى قَوْلِكَ لِحَنِّكَي أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِّي»^٦. هكذا يدعو المسيح، لا لأكل كلماته فقط، بل لأكل المسيح نفسه، «من يأكلني فهو يحيا بي»^٧! وما أقدسها حياة تكون، لأن الإنسان ليس فقط يحيا في المسيح وبالمسيح، بل وأيضاً يحيا المسيح نفسه فيه.

^٤ لو ١٩: ٢.

^٥ إر ١٦: ١٥.

^٦ مز ١١٩: ١٠٣.

^٧ يو ٦: ٥٧.

«ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٠

المسيحية تأخذ أول صورة لها في ذهن المسيح وفي معرفة الآب. فالمسيح يطلب من الآب أن يُدخل جميع الذين يؤمنون به إلى رعاية الآب أيضاً. هنا يسلم المسيح كل رسالته إلى الآب، ليظل هو والآب يقودان الذين يؤمنون بالآب والابن. وهكذا يدخل الآب فعلياً في تدبير حياة المؤمنين. وفي نفس الوقت بدأ المسيحيون، الذين تركهم المسيح بعد أن نفخ فيهم الروح القدس، ونالوه جميعاً يوم الخميس، بدأوا يجتمعون بنفس واحدة يصلون معاً، ويكسرون الخبز حسب الوصية. وبدأت صورة الكنيسة الأولى تخرج إلى حيز الوجود، مؤيدة بالروح، وبزيارات المسيح من حين لآخر. وانتشر الإيمان، وتعرّف عليه بولس، الذي صار رسولاً مجاهداً ومبشراً لا يُشقّ له غبار. فكانت الكنيسة تُبنى وتتقوى في البلاد التي زارها الرسل وبذروا فيها بذرة الإيمان.

«من يأكلني فهو يحيا بي». فأكل كلام المسيح صنعة يُتقنها المحبُّون للمسيح، الذين أوقفوا حياتهم له، كالمتوحدين وساكني المغاير وشقوق الأرض، لا يزالون يأكلون المسيح كل يوم ولا يشبعون قط، «فمن أكلني عاد إليّ جائعاً»^٨.

٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥

^٨ سيراخ ٢٩:٢٤.

وأصبح الذين دخلوا الإيمان يُعَدُّون بالآلاف، وكثر عدد المبشرين وعدد الكنائس. ولكن كانت الكنائس الأولى تُعَقَّد في البيوت، وبكل سرِّية وحذر، لأن اليهود لم يكفوا عن محاصرة المسيحيين والقبض عليهم ورجمهم. حتى بولس الرسول نفسه لم يُعْتَق من الرجم، ومرة حُسِبَ أنه مات، ولكن بعد أن كفوا عن رجمه، «وجرَّوه خارج المدينة ظانِّين أنه قد مات»^١، أقامه التلاميذ ونفض نفسه وقام صحيحاً. وهكذا لاقت الكنيسة الأولى ملاحقةً وطرداً وقتلاً، حتى صارت دماؤهم في كل مكان. وقال أحد المؤرِّخين الأوائل: إن دماء المسيحيين كانت هي بذار الكنيسة، أينما استشهدوا قامت كنيسة. حتى سُمِّيت الكنائس باسم الشهداء، وظل اسمهم عليها حتى اليوم. وتشرَّفت برية وادي النطرون بهجوم على إحدى كنائسها في برية أنبا مقار، وهوجمت بالأعراب وقتلوا ٤٩ شهيداً، وبُنِيَتْ لهم كنيسة صغيرة وسط الكنائس، حيث يقام تذكارهم السنوي.

وانتشرت الكنائس في مصر كلها وجميع العالم من حولها. وقامت الرهبنة وانتشرت في مصر والشام وبين النهرين، واليونان

^١ أع ١٤: ١٩.

وإيطاليا، وبلاد أرمينيا وكل آسيا الصغرى، وأسبانيا. وكانت الرهينة بذرة تقوم حول ديارها الكاتدرائيات الكبرى، التي لا تزال تملأ أوروبا كلها. وانتقلت المسيحية إلى أمريكا، فازدهرت الكنيسة هناك. ودخلت الكنيسة في عصورها الأولى المؤمنون القديسون أصحاب السير التي ملأت صفحات مخطوطات تُعدُّ بالآلاف. ولكن بسبب الحروب الكثيرة، ضعفت المسيحية، وقلَّ بناء الكنائس، خاصة بعد دخول أولادها الحروب وماتوا فيها. وبدأت روح المسيحية التي كانت متأججة طوال الدهور السالفة تبرد، وعبادة المسيحيين تبرد، وبالتالي بردت محبتهم. وانحصر الإيمان في العبادة، وقلَّ عدد العاملين بالإيمان والمنادين به، والعاملين بوصاياهم. وابتدأت الكنيسة تأخذ شكلها الأخير، فهي قائمة في مكانها خالية من المؤمنين، شاهدة على روح العصر.

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥

«ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا
فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا
ليؤمن العالم أنك أرسلتني»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢١

وحدة المؤمنين تستلزم وحدة الكنائس، وهو عمل شاق حاول
الكثيرون المناداة به والعمل له، وذهب نداءهم أدراج الرياح.
فالكنائس في العالم أصبحت تتبع أوطانها، والأوطان منقسمة
ومتباعدة عن بعضها. وكل وطن فيه كنائس منقسمة على بعضها،
فلا توجد كنيسة متحدثان. وتعددت الكنائس بتعدد المذاهب
والعقائد. وكل عقيدة منغلقة على نفسها، لا تتنازل لغيرها ولا إلى
حرف واحد. وتحول الانقسام في الكنائس إلى تباعد.

ولو أنه قام منادون لعمل جلسات عمل ونقاش، ومحاولات
لتقريب العقائد، إلا أن أثرها منعدم تقريباً. وبقي مسجلاً في
محاضر الجلسات مع توصيات، دون أن يحركها أحد.

والانقسام الحادث بين العقائد المختلفة، ولو أنه يظهر من الخارج أنه يختصُّ بالديانة والعقيدة، ولكن حقيقة الانقسام ترجع إلى عدم وجود أي علاقات محبة، ولا حتى في أبناء العقيدة الواحدة. فالعيب ليس في الدين ولا في العقيدة، بل في البعد عن الله والمحبة. وقد فسّرَها المسيح بقوله إنه بسبب كثرة الإثم تبرد المحبة ويضمحل الإيمان^١. ولا علاج لانقسام الكنيسة، فهذا قَدَر الجليل الذي فسد، والذي عبد عمل يديه، وأهمّل عبادة الله.

ولكن على اسم يسوع الذي يدعو إلى الوحدة في الإيمان والصف، بالقلب الواحد لرب واحد، لا عن شكل بل من أجل الحق الواحد الذي يجمعنا لمصير واحد، نحن ننادي باسم الرب، لكي نسمعنا القاصي عن الإيمان والداني منه، أن نخضع جميعاً لصوت الرب، ونخشى غضب الله علينا أكثر من الغضب الذي نعيشه الآن. ودعائي بالوحدة كان صنعتي، فقد كتبت فيه ثلاثة كُتُبَات، وصل أحدها إلى بابا روما فقبله وأرسل يشكر. وكان هذا ”وش الضيف“ كما يقولون، فالكلام سهل أما العمل فلا. وبابا روما الأسبق، ذهب إلى بطريرك القسطنطينية الذي على

^١ انظر مت ١٢: ٢٤ مع لو ١٨: ٨.

كنائس اليونان وآسيا الصغرى، وقبلاً بعضهما بعضاً ثم في مناسبة لاحقة سجد هذا البابا العظيم أمام رجلي مندوب بطريرك القسطنطينية، طالباً المحبة والوحدة، ولكن كانت جائزته أن نال انتقاد الكثيرين. فالوحدة بين الكنائس أصبحت في حكم المستحيل، لأن بغضة الإنسان لأخيه الإنسان بلغت حداً لها كما في قلب بني قايين. هكذا ابتدأ الإنسان حياته بالبغضة والقتل، وهكذا يختمها العالم بنفس البغضة التي لا سبب لها ولا عذر. وستظل الوحدة بين العقائد والكنائس في يد الشيطان، إلى أن يأتي المسيح وينزعها من قبضته. وإن غداً لناظره لقريب، ونحن له مترقبون.

ولكن نحن نوعي أن بُعد الكنيسة عن الأخرى، وبُعد العقيدة عن الأخرى، هذا يعني تماماً أن المسيح غائب عن هذه وتلك. لأن قبل السؤال عن الوحدة، يتحتم السؤال عن الذي يؤدي إليها ويصنعها. فالمسيح يقول: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد»^٢. إذن الوحدة تستلزم وجود المسيح والآب أولاً في قلب

^٢ يو ١٧: ٢١، ٢٣.

الكنيسة وروحها. ولا يصنع الوحدة إلاّ وحدة الآب والابن في وجودهما داخل كيان كنيسة الله. فوحدة الآب والابن، تنضح على الكنيسة وحدة وقوة وسلاماً.

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥

«وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني،
ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٢

انظروا أيها الإخوة وتمتعوا في الأمر، لأن الوحدة التي صنعها
المسيح في مؤمنيه الأوائل، كان ثمنها ثقيلاً جداً فوق الطاقة. لقد
قدّم المسيح مجده ووضع بيده في قلوب المؤمنين الأوائل، فكان
هذا هو قوة الوحدة التي جمعتهم معاً تحت لواء مجد المسيح.

فنسأل في معنى الانقسام القائم في الإيمان الواحد والمحبة، أليس
معناه أننا دُسنا على مجد المسيح، الذي هو هو قوة الوحدة
وفعاليتها؟ فاتهم الكنيسة بهذا الاتهام، يلقيها بعيداً عن الله الآب
والابن. ويصيرها نهباً للعدو يفترسها افتراساً ويسود عليها، وتعود
عبادة الشيطان. ونحن نرى الآن ونسمع بوادرها، إن لم يكن فيها
كلها، ففي أقوى كنيسة في العالم، وتتبعها كنائس أخرى كثيرة.

أين مجد الكنيسة الآن؟ نحن لا نراه ولا نسمعه. إنما نرى
الكاتدرائيات العظيمة شاهقة جداً، وفاخرة جداً ومتسعة جداً،

ولكن فارغة لا يدخلها إلا فرادى، هم المسئولون عن مبانيها.
وكان الكنائس الكبرى صارت مجرد شاهد على عصور مضت،
كانت شعوبها تحيا للكنيسة والكنيسة تسعد بامتلائها أيام العبادة.
يصدح فيها الأرغن مع صفوف المرتلين، يهزُّ الكنيسة كلها،
ويسمعهم القاضي والداني. فكانت الكنائس جوهر الوجود
الروحي الحي، الذي يَبْزُ السماء بملائكتها. كانت الكنيسة
وكانت، وأصبحت كالثكل تنعي مَنْ بناها. ولا تُفْتَحُ أبوابها إلا
من أجل ميت يُصَلُّون عليه، فأصبحت كنيسة أموات لا كنيسة
أحياء.

وحتى ولو امتلأت الكنائس في أيام الأعياد والأفراح، فليس من
أجل العبادة وممارسة التقوى، فهي مجرد خدمات تُسْتَغَلُّ فيها
الكنائس للظهور والفخر. وهذا كله هو وصف لمعظم كنائس
الغرب، أما كنائس بلادنا فلا تزال تحمل طابعها القديم. تمتلئ كل
يوم بالمصلين، وترنُّ فيها الأجراس، وتصدح فيها خوارس المرتلين
من قلوب صادقة عامرة بالإيمان. وفي كنائسنا تُمارس العبادة
بالتقوى، ولا يكفُّ المشتركون في عشاء الرب، كل يوم يجددون
العهد والإيمان. ولا تجد كنيسة فارغة على الإطلاق، فالْعُبَاد
يتزاحمون في الحضور وفي الاشتراك، بصورة تعيد إلى الأذهان

الكنيسة الأولى القوية. وإن كان بناء الكنائس يقابله عقبات كثيرة، ولكنها لا تزال تُبنى في كل حيٍّ وكل شارع، ولم يشكَّ الشعب من قلة الكنائس. فبرغم تدقيقات المراسيم التي على أساسها يُعطى الشعب حق بناء كنيسة، ولكن الحق يُقال إننا لسنا محرومين من تقديم العبادة، وكنائسنا دائماً مكتظة بالمصلين، علاوة على الصلاة في البيوت.

ولا يزال مجد المسيح والآب مستعلنًا في قلوب الألفوف من الشعب المحب، الذي يدين بالعبادة الحارة والتقوى كميراث من الأجيال الأولى، وعُباد الجبال والمغائر. فلا تزال صحاري مصر تفخر بالمتوحّدين والعُباد والأديرة العامرة. فمصر تفخر بعبادتها دون الدول الأخرى، التي تعاني من صدود العبادة وغياب التقوى.

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥

«أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مُكَمَّلين إلى واحد»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٣

سرُّ الوجود الإلهي يطال الإنسان لأول مرة في حياة الإنسان. أمرٌ مذهل للعقل، ولا يمكن لقدرة الإنسان أن تعي هذه الحقيقة الإلهية الفائقة. فالإنسان في كل عصوره الأولى متغرَّبٌ عن الله، وحيدٌ، بل يتيمٌ ليس من يرثي لحاله. جاء مئات الأنبياء والمعلمون، واكتظت البلاد بالوعاظ، فما استطاعوا أن يرفعوا من نفسيَّة الإنسان، وإحساسه بالعبودية والخوف من الموت، ومَن هو صاحب الموت.

وفي أيامنا المليئة بالمفاجآت، التي تأتينا كلها من الله من السماء، نسمع سمعاً تَهْتَرُّ له الأرض والسماء. وتقف الملائكة مذهولة حينما تدرك ما يقول المسيح: «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مُكَمَّلين إلى واحد»! وأيُّ واحد هذا؟؟

عندما تفحصنا الأمر بكل ما أوتينا من قدرة على الاستعلان والكشف، استطعت أن أدرك أن "الواحد" الذي يقصده المسيح،

هو أن يدخل الإنسان المؤمن المتجدد، الحاصل على الروح القدس، في المجال الإلهي الذي للآب والابن. كيف؟

لأن المسيح ابن الله تجسد بجسد إنسان، فتشرّفت البشرية بأن المسيح دخل فيها، أي دخل كيائها ومجالها البشري. فلما استطاع المسيح أن يلغي الخطية منا، ويُبطل قوّة الموت عنا، ثم يرفعنا معه في ذات كيانه الإلهي إلى السماء، ويُجلسنا معه عن يمين الآب، أدخلنا مرة أخرى باستحقاق وجوده مع الآب وفي الآب، أدخلنا إلى الآب، أي صرنا في ذات مجال الآب. وهكذا أتمّ المسيح معجزة جعل الإنسان واحداً مع الآب والابن. شيء يُذهل العقل، ويفوق كل من هو عاقل وكل ما هو معقول. فماذا نقول، وبماذا نتكلّم، إلّا أن نضع أيدينا على فمنا، ونقول آمين يا رب!!

ولكن هذا الكشف لأعظم أسرار المسيح والآب، يستلزم منا حياة متّضعة تحت يد الله، وعبادة طاهرة نقيّة تناسب هذه الدعوة. فلو تأملنا سابق عهدنا، في بداية حياتنا مع الله، التي كنا فيها بالجهد نعرف الآب، وبالجهد الجهيد ندرك رسالة المسيح التي جاء ليكملها لحساب الإنسان، كنا قانعين بالفتات التي كانت تتساقط من فم المسيح، فنسرع في تسجيلها، ونفتخر بالأيام التي جعلتنا عبيداً، بل أبناءً لله وإخوة للمسيح، وكفى. وكان الإنجيل مرجع

غذاثنا الروحي، نفكُّ أَلغازه بالروح القدس، الذي تولَّى أمرنا بعد المسيح مباشرة.

ولكن الآن وبعد أن جاءنا السرُّ الأعظم من المسيح مباشرة، أصبحنا بالمسيح وفي المسيح، قريين جداً من الآب، بل أبناءً وخواصاً. ثم كشف المسيح السرُّ الأخير والأعظم أننا أصبحنا في المسيح والآب واحداً فيهما، نسعد بكياننا السمائي المحفوظ لنا في السموات.

وبهذا الاستعلان لسرِّ وحدتنا في الآب والابن، نصبح غرباء فعلاً وحقاً عن الأرض والناس، والأقارب والأعداء على حدٍّ سواء. بل وغرباء عن بني جنسنا، إذ تَجَنَّسنا بجنس المسيح والآب.

من صدِّق خبرنا؟ ولمن استُعْلِنَتْ هكذا ذراع الرب؟ أيمن أن التراب يرث السموات؟ أيمن لإنسان الخطية المُعَدُّ للموت تحت التراب، أن يصير واحداً مع الآب والابن، ويرث ميراث الابن الوحيد المحبوب؟!

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥

«أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي
حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني،
لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٤

إلى آخر لحظة من حياة المسيح على الأرض، كان يُظهر مدى
تعلقه بتلاميذه ورساله القديسين. وكأنه أخٌ محبٌ يذكر إخوته، أو
صديقٌ حميمٌ لا ينسى أحبائه. نحن أمام عاطفة إلهية لا مثيل لها،
يندر أن نجدها بين الأشقاء أو الأحباء. فالذين عاشوا وخدموا مع
المسيح، صار لهم في السماء أخاً فريداً في أُخوته، تركهم وترك
العالم وما زال يذكرهم ويصلي من أجلهم. وبالرغم من أنه سبق
وقال: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»^١، عاد يقول إنه يريد
أن يكونوا معه في ملكوته ومجده ليروا مجده. فمجده على الأرض،
غير مجده الذي مع الآب في السماء. ومجده الذي أعطاهم، غير
المجد الذي له في السماوات. نحن لا نستطيع أن نعرف ما الفرق
بين مجد ومجد، ولكن هذا هو قول المسيح. ومجد المسيح منذ البدء،

^١ يو ١٧: ٢٢.

كان من واقع محبة الآب له قبل إنشاء العالم. فكان المجد حينئذ غير مرتبط برسالته، لأنه كان قبلها، "قبل إنشاء العالم". فهنا يمكن أن ندرك أن المسيح يتكلم عما يخص لاهوته قبل أن يتجسد، حينما كان الابن في حضن الآب قبل إنشاء العالم. فمجد المسيح أزلي هو بأولية الآب والابن، وقد استعلن في العالم لمستقبل انتقاله ليدخل ضمن ميراث الإنسان في تدبير الله. ومن هنا ندرك أن الإنسان كان موضوعاً بكل ما يخصه في تدبير الله كأعزّ خلائقه. وقد انفتح هذا السرُّ نفسه لبولس الرسول، فسجّله في رسالة أفسس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمُدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»^٢!! هذا من أنصع صفحات الإنجيل، التي تضع الإنسان في أقدس وأعزّ مكان عند الله. وتكشف كشفاً روحياً صادقاً عن مقدار تقييم الله للإنسان، حينما يؤكد أن الله باركنا بكل بركة روحية في السماويات، واختارنا دون الملائكة وكل الطغماء السماوية، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، كبنين بمنتهى مسرة مشيئته. وجعل مكاننا قدامه كمحبوبين،

^٢ أف ١: ٣-٦.

يسكب علينا من حبه كأولاد وبنين. ويضع في أفواهنا كلمات التمجيد له بكل مجد روحي، والمدح له بكل مديح حلو يليق به.

إن هذه الصفحة من الإنجيل، هي من أعزّ وأخطر الصفحات في حياة الإنسان، كأعظم شهادة وقلادة يضعها المسيح نفسه على صدورنا، لتكون فخرنا وافتخارنا أمام الملائكة والسلطين وكل خلائق السموات. وتكون كسيف ماضٍ نشهره أمام العدو، كخليفة انخبط من السماء لتراب الأرض، نُشهره في الوقت الذي ارتفع فيه المسيح من تراب الأرض إلى السماء، ليدخلها في ملء بركة الآب، ودفع الروح القدس، في معية المسيح المنتصر والغالب.

لم يعد الإنسان ابن آدم من التراب وإلى التراب يعود، بل صار من أبناء ملكوت ابن الله المحبوب، وعضواً في بيت الله^٣، المهياً ليدخل الوحدة الإلهية الرهيبة التي للآب والابن، ويُحسب كواحدٍ منهم^٤ وينعم بنعمة الله كل أزمنة حياته الأبدية.

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥

^٣ أف ٢: ١٩.

^٤ تك ٣: ٢٢.

«أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتُك،
وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٥

لأول مرة نسمع فيها أن الآب يوصف بالبار، إذ كنا نظن أن المسيح هو وحده البار، الذي نزل من عند الآب ليبرّر كثيرين ببرّه^١. فكُون الآب هو أيضاً بار، نكون نحن أبناء برّ الآب وبرّ الابن. يا لها من صفة تدفعنا لنحتلّ نصيب الأبرار عند الله في السماء، الذي هو أعزُّ درجة في سلّم المجد، الذي نصبه المسيح بجسده ليوصل الأرض بالسماء. فالبرّ بمجد ذاته قوة مذكّرة للمختارين، تدفعهم دفعاً للصعود الدائم في طريق الملكوت. والبرّ هو كما رأينا، صفة الآب وصفة الابن كذلك، وقد أهديت إلينا من فضل خير المسيح علينا، أن جعلنا أبراراً، بل و«ملوكاً وكهنة

^١ ١ يو ٢: ١.

^٢ إش ٥٣: ١١.

لله أبيه»^٣.

والبر صفة نقاوة القلب والسريرة، وهي تضمنا تَوّاً إلى معية الآب والابن، كصفة خاصة بالآب والابن.

وأما قول المسيح للآب: «إن العالم لم يعرفك»، فالدليل على ذلك أنهم رفضوا الابن، بل وطاردوه، بل أسلموه للموت والصلب، مع أنه أُنذِرهم مئات المرات أنه مُرسل من الآب لهم، وأنه حامل لهم وصايا الآب وكلماته وحبه، ولكنهم سدّوا آذانهم عن سماع تصريح المسيح أنه جاء من عند الآب. لذلك لما رفضوا المسيح، رفضوا في الحقيقة مَنْ أُرسله. ولما أنكروا عليه أنه ابن الآب، تنكّروا له وللآب، وقتلوه، فنصبوا حاجزاً أبدياً بينهم وبين الآب. ولكن لم يعدم المسيح مؤمنين حقيقيين به وبالآب، عرفوا معرفة قوية أن المسيح مُرسل من عند الآب^٤.

والمسيح يقرُّ للآب هكذا: «أنا أظهرت اسمك للناس»، وسأظهر أيضاً اسمك، «ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به وأكون أنا فيهم»^٥. فالمسيح يقول ويفتخر بالقول إنه عرف الآب معرفة

^٣ رؤ ١: ٦.

^٤ أنظر يو ١٦: ٢٧.

^٥ يو ١٧: ٢٦، ٢٦.

الإنسان لنفسه، أي معرفة حقيقية تواجدية، فالابن موجود في
 الآب، يعرفه لأنه منه وبه وفيه. فإن كان في هذا فخر للمسيح،
 ففخرنا قائم في فخر المسيح، لأننا عرفنا الآب في الابن. ومعرفتنا
 عبادة هي حب وإخلاص، باستعداد أن نسلّم حياتنا للموت.
 وطالما نحن في الآب والابن، فالأرض أصبحت غربة لنا، والسماء
 موطننا. إن معرفة المسيح للآب أنشأت قصة خلاص فريدة، قدّم
 المسيح نفسه فيها للموت على الصليب، على أساس أنه يموت عن
 الإنسان وحياته لا تزال قائمة عند الآب وفي الآب. فقام من
 الموت بمجد الآب وبإرادته، فقد قال: «لي سلطان أن أضعها، ولي
 سلطان أن آخذها (أقيمها) أيضاً»^٦. فالموت والقيامة من صنع
 المسيح والآب، لتكميل خلاص الإنسان وفدائه. فمعرفة المسيح
 لدوره في الخلاص والفداء، دفعته للصليب كمن هو ذاهب في
 نزّهة، أكملها بالدموع، ولكنه قَطَفَ ثمرتها حياة أبدية للإنسان.
 فالمسيح هنا يفتخر بمعرفته للآب، المعرفة التي هي كروية
 الإنسان لوجهه في مرآة. إذ يصفها بآن واحد أنها معرفة اسم
 الآب: "عَرَفْتُ اسْمَكَ". ومعرفة الاسم في اللاهوت هي معرفة

^٦ يو ١٠: ١٨.

الذات، لأن الاسم في اللاهوت يحمل جوهر اللاهوت. وجوهر اللاهوت واحد في الآب والابن، يعرف كل واحد منهما الآخر كمن يعرف وجهه ونفسه. وكون المسيح يقول: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته»^٧، أثبت أنه عرف الآب وحقق وجوده.

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥

^٧ يو ٤: ١٧.

«وعرّفْتهم اسمك وسأعرّفهم،
ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به، وأكون أنا فيهم»

إنجيل يوحنا ١٧ : ٢٦

هذا ختام صلاة المسيح الأخيرة، الذي ختم به حديثه للآب، وفيه يُعلن عن مجمل رسالته، أنه عرّف تلاميذه والعالم باسم الآب، الأمر الذي قصد به تكميل العمل الذي طلب الآب منه أن يعمل. «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته»^١. وكان هذا تعريفاً لتلاميذه والعالم أن الآب هو صاحب الرسالة التي أكملها المسيح. وقوله: «وسأعرّفهم (الاسم)، ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به»، فهذا هو عمل الابن من خلال الروح القدس وهو في السماء. لأن المسيح لا يزال حتى الآن يفتح أذهان المؤمنين به من خلال الروح القدس، حيث يتقبلون إلهامات الابن التي يُكَمِّلُ بها إنجيل حياته. لأن المسيح يحيا في السماء، ويأشر عمله في كل الذين يعيشون له ويطلبونه.

وأروع قصة قرأها بعيني، صاحبها لا تزال حيّة تُرزق وتبشّر،

^١ يو ١٧: ٤.

هي قصة "جولشان" الباكستانية. كانت مشلولة منذ صغرها، وكانت تقرأ القرآن، وعلمت منه أن عيسى ابن مريم يشفي المرضى. فأخذت تصلي ثلاث سنوات على وتيرة واحدة، والمُسبحة في يدها: "يا عيسى ابن مريم اشفني". عالجها أبوها في فرنسا وإنجلترا دون أي فائدة، فشلل الأطفال لا يُعالج. وأخيراً أخذها أبوها إلى مكة واغتسلت بماء زمزم، ولكن رجعت بشللها إلى بلدها. واستمرت تصرخ لعيسى ابن مريم. فظهر لها يسوع بنفسه ومعه تلاميذه الاثنا عشر، وأحاطوا بها في نصف الليل. وخطبها المسيح باسمها، وقال لها: "أنا عيسى ابن مريم، ولكن اسمي يسوع، قومي انفضي من فراشك". فتململت وقالت: "أنا مشلولة". قال لها المسيح: "قومي"، فمدّت رجليها ونزلت من على السرير، ووقفت أمام المسيح برجليها وقد شُفيت تماماً من الشلل. وكان ساقها قد ضمّر كله وصار مُدلياً من جسمها، ولكنها تحسّست فوجدت ساقها وقد شُفيت تماماً وامتلأ لحمًا. ورَكَعت أمام المسيح، وعلمها صلاة "أبانا الذي"، كلمة كلمة، فحفظتها تَوًّا. وأنذرها أن "شعبي هو شعبك"، ففهمت المعنى، وبدأت تشهد باسم يسوع، وتحكي لكل من دخل إليها ما صارت إليه على يد يسوع المسيح. وكان أخوها الكبير متعصّباً للغاية، فأراد أن يقتلها وصبّ البندقيّة في وجهها، فما اهتزّت، وقالت له: "هو موت واحد، اقتلني إذا شئت، ولكن سأظل أشهد

للمسيح". فوقعت البندقية من يده، وتركها، فقامت وخدمت اسم المسيح. وشفّت أختها بالصلاة، وأخيراً سافرت إلى هولندا. هكذا عرّف المسيح اسم الآب، ولا يزال يُعرّف إلى اليوم. وبَذَرَ الحب في قلوب آلاف مَنْ أَحَبُوا عهده ووصاياه، بَذَرَ حب الآب بأعماله الإعجازية، التي لا يزال يعملها حتى اليوم. فصدق قوله: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»^٢. وهو معنا ليس كمجرّد وعد، بل إنه يُكمّل وعده بالأعمال، ويزداد الذين يشهدون له بسبب أعماله، وبسبب إلهاماته التي يبذرهما في قلوب محبيه. فملأوا الدنيا وعظاً وشهادة. وسمعنا أنه يعمل في الصين، في ملايين يجتمعون في جبل من الجبال، يصلّون ويرتلون. فإن كان العالم قد انجرف وجرفه الشيطان، فاسم المسيح لا يزال يتلأأ في بؤر كثيرة من العالم، يكملّون الشهادة ويهللون وفرحون بالرب. ولا تزال «الآيات تتبع المؤمنين»^٣، وتمتلئ كنائس بلاد كثيرة بالمصلين، يلهجون باسم الرب وفرحون.

٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

^٢ مت ٢٨: ٢٠.

^٣ مر ١٦: ١٧.

١٧م - مع المسيح (٤)

«فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم: مَنْ تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو»

إنجيل يوحنا ١٨ : ٤، ٥

وهنا بدأ العد التنازلي لصلب المسيح. كان يصلي في بستان جثسيماني في جبل الزيتون مع تلاميذه، وإذا جمعٌ من الشعب، ومعهم تلميذه الخائن يهوذا الإسخريوطي، قادمون بفوانيس تضيء لهم الطريق، وبسيوف وعصي، كأنهم خارجون على وحشٍ أو لص. وكان المسيح قد فرغ لتوّه من الصلاة، وهو عرف بالساعة التي يُسلم فيها. وقال لهم بشجاعة مَنْ هو غالبُ العالم: «مَنْ تطلبون؟»، فقالوا: «يسوع الناصري»، فردّ عليهم: «أنا هو...»

وتشجعوا وقبضوا عليه وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة المتقاعد حنّان، ومنه إلى قيافا. وأهانوه وصفعوا وجهه، وفي الصباح أسلموه لبيلاطس البنطي، الوالي الروماني. وبدأت المأساة الكبرى على أيدي الجنود والغوغاء: ضربٌ على الرأس، وبصقٌ في وجهه. وعرّوا ظهره وجلدوه ٤٠ جلدة إلا واحدة، فتهرأ لحمه ونزف دمه. وحاكمه بيلاطس ولم يستطع أن ينقذه من أيدي الكهنة

الذين أهدقوا به، فكانت ساعتهم وسلطان الظلمة^١، التي حبكها العدو وسخر لها كل اليهود المجانين، وكل الجند الرومانيين الذين لا يعرفون الرحمة. وهزأوا به أشدَّ الهزاء، وكأن الشيطان عرف ساعته، فاستغلَّهم أسوأ استغلال.

لقد ظلَّ المسيح طول الليل مقيداً، وواقفاً أمام اليهود كمجرم إلى أن طلع الصباح، فسَلَّموه لبيلاطس وجنوده. وهؤلاء عملوا به أعمالاً لا تُعمل، من ضرب على الرأس والوجه، ولم يتركوا فيه مكاناً لم يُضرب. تَأَذَّى جسْمه جداً من ضربات السياط على ظهره العاري، ولم يتركوه حتى بدأ بيلاطس في استجوابه، فاعترف الاعتراف الحسن في وسط تهديدات الموت. فسمع بيلاطس أقوال المسيح، وخرج خارجاً يقول لرؤساء الكهنة والشعب الملتف، أنا لم أجد فيه «علة واحدة»^٢. ولكن كان الجواب: «أصلُّه أصلُّه»^٣، فقال لهم: «أأصلب ملككم»، فردُّوا عليه تحدياً له: «ليس لنا ملك إلا قيصر»^٤. فسَلَّمهم المسيح ليصلبوه، فصلبوه وأكملوا فيه كل ما اشتهوا، وهو صامت لا

^١ لو ٢٢: ٥٣.

^٢ يو ٤: ١٩.

^٣ لو ٢٣: ٢١.

^٤ يو ١٩: ١٥.

يتكلم. لأنه كان يرى في كل هذا ختام رسالته. فـصُلِبَ المسيح ومات على الصليب، ودُفِنَ. وفي ثالث يوم قام المسيح كما سبق وقال. وهكذا أكمل المسيح كل عمل الآب، وذهب إليه في السماء حاملاً روح الإنسان وقضيته العظمى، بعد أن ختمها بطلب المجد. فأجلسه الآب عن يمينه، بإعلان التساوي في كل شيء. ولكن الأغرب جداً في كل هذا، أنه أجلس الإنسان، بعد أن غلب له العالم، وسلّمه ليد الآب مغفور الخطايا وليس عليه دَيْن واحد، إذ دفع ثمن الكل بدمه الحيّ.

وبهذا يكون المسيح قد أكمل كل أعمال الآب، التي وضعها عليه. فأرضى الآب، ومنح الإنسان مجده وبنوّته وميراثه الأبدي في السماء. فعاد الإنسان إلى رتبته الأولى قبل السقوط، وصالحه المسيح بالآب السماوي، ليدخل إلى حب الآب ويوهب ما أفصح عنه المسيح، وزفّته الملائكة إلى وطنه السعيد.

٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

«اجعل سيفك في الغمد،
الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟»

إنجيل يوحنا ١٨ : ١١

ليس هنا مجال للمبارزة وضرب السيوف، فالساعة معيّنة منذ الأزل، وقد جاءت في ميعادها، والرب مستعدُّ لها، بل متشوّق إليها. سمّاها المسيح «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»^١، فقد دخل المسيح على عتبة الصليب. لم يكن في أعمال الشيطان عمل واحد يرعب المسيح أو يخيفه، ولكن النصيب الواحد الذي جعل المسيح يصلي صلاة منحصرة في قلبه الدامي، هو أن في الصليب وفي الاهتمام حمل خطايا التجديف على الله، وإهانة مجده. فكيف يتقبَّل هذه الخطايا الموجهة للآب، وكيف يتقبَّلها المسيح ليُحسَبَ مجدِّفاً أو ناكراً وجوده؟ لأن المسيح كان يلبس الخطايا كلها، ويقف أمام الآب خاطئاً حاملاً التجديف على الله. كذلك الخطايا التي تحطُّ من قيمة الله، كيف يواجه الآب وهو حاملها؟ لذلك صلّى كثيراً وطلب كثيراً، وبكى وانحصر بالروح، طالباً أن يجيز عنه كأس إهانات الله أيّه. ولما رأى أن الآب أيضاً كان

^١ لو ٢٢: ٥٣.

صامتاً ولم يردّ على المسيح في ذلك الأمر، صمت المسيح وقال للآب إن كانت هذه وصيّتك وعملك، فليكن، وانتظر المسيح ما سيأتي عليه. «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» نعم شربها حتى الثمالة، وهو يئن تحت ثقلها. أمّا هذه الكأس أليست هي كأسنا، التي كان من الحق أن نشربها نحن لا هو، فنحن الذين جلبناها على المسيح، والمسيح منها براء. من جدّف على الله؟ أليس نحن؟ من أغاظ الآب بأعمال لا يعملها إلا الشياطين؟ فهل نحن نعمل والمسيح يدفع ثمن أعمال جهالتنا؟ ولكن قد كان، ولا مفرّ من تصفية حساب الإنسان أمام الآب، ليدفع المسيح الثمن عنا بالكمال والتمام. والآن حلّت ساعة الظلمة، فالشيطان هو الذي رفع القضية علينا، ويطالب بحقه. هو الذي يطالب بموتنا وصلبنا. وتصدّر المسيح للعدو، وهو وحده القادر أن يحامي ويدافع ويدفع الفدية. لأن الخطية ليست خطية إنسان واحد، بل خطية كل الأجيال منذ آدم حتى ذلك الوقت. فمن ذا القادر أن يتصور فداحة القضية؟ إن أخبارها أفلقت الآب في السماء، لأن الإنسان بلغ الخط الأحمر، الذي فيه تنقلب الأعمال التي يقترفها الإنسان بدفع العدو، إلى اتهام الآب بأن عمل يديه أتلف عمل الآب في السماء كخالق أمام عدو الله والإنسان. فليس إنزال الابن من السماء للنزهة، بل أرسله الآب وسيف العدالة مرفوع على رقبة الإنسان. وهذه هي آخر لحظة احتملها الآب بالنسبة للإنسان. فنزل

الابن حاملاً صورة قضاء الله المحتوم على الإنسان، وكأفها قضية خاسرة. فبدأها المسيح بأن صار ينادي بقرب الملكوت وقرب الدينونة. وإلى آخر لحظة من حياة الابن على الأرض وهو يركز بالسنة المقبولة، كآخر مهلة للإنسان. وجاهد المسيح في الدفاع عن الإنسان، حتى اكتسب عدداً قليلاً، ساروا معه وقبلوا يقيناً أنه هو المسيح ابن الله المرسل لخلاص الإنسان^٢. ولكن حتى وفي آخر لحظة في حياة المسيح، ولم يفهم التلاميذ معنى الصليب ومعنى الموت! حتى قام المسيح من الأموات وقد ربح قضية الإنسان، ربحاً علنياً، حينما ظفر في آخر لحظة بالشیطان وكل أعوانه^٣، وكسر شوكة القاتلة، أي الموت، الذي هو بضاعة الشيطان الحاضرة كل لحظة. وأقام المسيح معه من الموت الإنسان الذي انحبس تحت التراب كل الدهور السالفة. وقام الإنسان مستقبلاً غلبة العالم التي أحضرها له المسيح، ليرتفع مبرراً بدم المسيح ليرث مُلك السموات.

٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

^٢ مت ١٦: ١٦.

^٣ كر ٢: ١٥.

«ويكون كلُّ من يدعو باسم الرب يخلص»

سفر أعمال الرسل ٢ : ٢١

أكملنا ما جرى في حياة المسيح حتى الصليب والقيامة. وها نحن ندخل بعد ذلك أول ما ندخل، إلى سفر الأعمال، وهو السفر الأول بعد سرد قصة الخلاص والفداء، الذي أكمله المسيح على الصليب. ونبدأ هنا نسرد ما تمَّ بعد صعود المسيح، حينما بدأ التلاميذ يأخذون دورهم في الكرازة باسم الرب. وكان اسم الرب يعمل بقوة، وكان المسيح في الاسم.

وكان «كل من يدعو باسم الرب يخلص». أليس هذا عجباً؟! فالمسيح، ولو أنه ارتفع عنهم، ودخل إلى راحة مجده، إلا أنه كان يعمل باسمه. فكان التلاميذ وأخصاء الرب، ينادون نداء المسيح بقرب ملكوت الله، بل وبدء الدخول في هذا الملكوت. وكان التلاميذ يكرزون في كل مكان، منادين باسم الرب. وبدأ اسم الرب يظهر أن له قوة عمل المسيح، فكان كل من يدعو باسم الرب ينضمُّ إلى التلاميذ، ويعلن إيمانه وخلاصه. فدبَّت الروح الإلهية في المجتمع اليهودي، الذي قَبِلَ الرب وعاش باسمه. وبدأ

المخلّصون يكرزون أيضاً، بسبب الروح المتأجج فيهم، خاصة بعد أن حلّ الروح القدس في يوم الخمسين، الذي كان أصلاً عيد الحصاد. فصار عيد زرع اسم المسيح، الذي نما بقوة النعمة التي انسكبت من السماء على كل من آمن وخلص.

وكان عمل المسيح من السماء مستمراً، وكأنه حاضر معهم بالروح. فتشجّع التلاميذ جداً، وجالوا في كل البلاد المحيطة بأورشليم، يكرزون باسم المسيح. وكان كل من يدعو باسم المسيح يخلص، في سهولة ويسر. وكان الاسم قوة سماوية ترافق الكارزين.

ولا يزال اسم المسيح له القوة عينها، من السنة الأولى لصعود المسيح حتى اليوم، ألفي سنة. حتى ملأ اسم المسيح كل الأرض. وصار المخلّصون ألوف ألوف، وربوات ربوات من قديسي العلي. وبقي اسم المسيح هو علامة الخلاص، وقوة الدفع التي تدفع جماعة المؤمنين، ليس فقط لكي تعيش وتفرح، بل وأيضاً لكي تدعو وتكرز.

وكما تنبأ المسيح عما سيحدث، كحقيقة، فهكذا حدث: "إن كانوا اضطهدوني فسيضطهدون كل من حمل الاسم". فمركة الشيطان، وإن كان قد كسره المسيح، إلا أن الشيطان المكسور يتعافى على حسّ خطايانا، ويأخذ منا ويطعننا. فنحن أصبحنا مسئولين في مركة الشيطان معنا، لأن اسم المسيح لا يزال رعباً

له. ولكن ما زال الشيطان يُلهي الناسَ عن هذا الاسم، ويطمس معالمة في قلوب وصدور الذين باعوا المسيح وانشغلوا بالعالم. ولكن يظل اسم المسيح رأس مال المجاهدين ضد العالم وشهوات العالم، يتلمسون حياة الظفر والمجد تحت ستار هذا الاسم. فالسمااء ستزول والأرض معها، ولكن كل من أمسكوا باسم المسيح، سيقون ويشهدون ويظفرون ويغلبون، حتى يلقاهم المسيح فوق ويُلبسهم إكليله، إكليل الغلبة والخلاص والمجد الذي لا يفنى.

واليوم نحن، أيها الأحباء، من ضمن الذين أمسكوا الاسم. لأنه بالصدق منتهى الصدق، هو ستارنا الذي يسترنا بعيداً عن العالم، وقوتنا التي تشد أزرننا ونحن في الشيوخوخة المضمحلة. ولكن الاسم يعطينا قلب أسد، يشددنا في حروب العدو التي لا تهدأ، لنغلب باسم الرب الذي غلب لنا العالم، وتركه مغلوباً تحت أقدامنا. لنهتف باسم المسيح ونلهج بحبه، وننادي: تعالوا أيها البعيدون عن الاسم، وذوقوا ما أطيب الرب^١.

٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

^١ مز ٣٤: ٨.

«لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به
ينبغي أن نخلص»

أعمال الرسل ٤ : ١٢

لقد وضع المسيح في اسمه سرًّا كل قوته، ليكون بين الناس
كالمسيح نفسه. وحققاً لا يوجد، ولن يوجد، اسم آخر تحت
السماء خلّص إنساناً. فجميع الأنبياء أظهر الله ضعفهم، ولم
يستطيعوا تخليص حتى أنفسهم، فأغلبهم مات مغلوباً. لأن
الإنسان، أيّاً مَنْ كان، بالكاد استطاع أن يعظ ويتكلم عن البر،
ولكن لم يكن في كل العصور بارًّا واحداً أمام الله. فالرسول بولس
يقول: الكل أخطأوا وأعوزهم برُّ الله، ليس من لا يعمل خطية،
«ليس بار ولا واحد»^١. فالخطية والإنسان شيء واحد. حتى جاء
المسيح ورنَّ اسمه تحت السماء، أن بهذا تخلصوا، وبغير هذا لن
يوجد خلاص.

فاسم المسيح خلّص كثيرين، وسيخلص الكثيرين. فهو الكنز
النازل من السماء، حاملاً سرًّا الصّفح عن كل خطية، وهو العامل

^١ روم ٣: ٢٣، ١٠.

الوحيد لخلاص كل من يؤمن به ويحتمي. فأصبح اسم المسيح هو هو فادياً ومخلصاً. فكون المسيح يهبنا اسمه لنحيا به ونخلص، فهذا قوام عهد الله الجديد، الذي وهبه لنا كالمسيح تماماً. والاسم في جوهره حامل للشخص وكل قوته وسماته. إن كان هو اسم ابن الله الكائن في حضن أبيه الأبوي، يشفع فينا ويشددنا، فمعونتنا اليوم تأتي من فوق من السماء في حينها الحسن. لذلك يقول بولس الرسول، أن أرفعوا أعينكم إلى «فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله»^٢ فهو «عن يمين الله... يشفع فينا»^٣.

فالمسيح ترك لنا اسمه حاملاً كل أعماله وصفاته، ووعوده الصادقة. فمن تمسك بالاسم يكون قد أمسك بالمسيح، ومن نادى بالاسم فقد أخذ أجر المبرر بالمسيح نفسه. واسم المسيح ليس ككل اسم، لأن اسم المسيح له أعمال لم يعملها أحد غيره، وهو يعبر عن شخصه ووجوده وعمله ووعده. لأن المسيح وإن كان قد ارتفع إلى السماء، فهو بقوة لاهوته يملأ كل الأرض وكل السموات. لأن اسمه وإن كان منطوقاً بالفم، يملأ الكيان البشري الذي ينطق به، كما يملأ الوجود كل الوجود. لذلك فهو اسم عامل بقوة صاحبه، حامل كل مواعيده، إن خلاصاً أو فداءً، أو

^٢ كو ١: ٣.

^٣ رو ٨: ٣٤.

قوة أو انفتاح عين وقلب. فالذي لا يَسَعُهُ العالم، يَسَعُهُ قلب من ينادي به.

فنحن المسيحيين نُدْعَى أصحابَ الاسم. ومن أجل الاسم تُقْبَل أو تُهان. تُقْبَل لدى من يحمل الاسم، أو تُهان عند الذي لا يحمل الاسم ولا يطيقه.

فباسم المسيح يُفْتَح لنا باب، وتُغْلَق في وجوهنا كل الأبواب. وسيَّان عندنا، فقد اعتدنا قفل الأبواب، وقفل القلوب والألباب. فنحن نعيش بالاسم، نتنسَّم منه رضا الله وعون القدير. فما لنا والدنيا إن انقفلت في وجهنا الأبواب، فلنا في السماء باب مفتوح سيستقبلنا بالترحاب. فإن كنا في غُربتنا على الأرض ذُقنا الذل والهوان، ففوقَ سيكون طعامنا المنَّ الجديد، وماء الحياة النابع من أمام عرش الله^٤.

فبالاسم هنا ينفتح لنا طريق السماء، الصاعد من الأرض إلى السماء. وبالاسم هناك تُطْعَم طعام الله، الذي هو أطيب من شهد العسل.

٣١ ديسمبر ٢٠٠٥

^٤ رؤ ٢٢: ١.

«فأجابهم بطرس ويوحنا وقالوا: إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا. وبعدهما هددوهما أيضاً أطلقوهما إذ لم يجدوا البتة كيف يعاقبوهما»

أعمال الرسل ٤ : ١٩-٢١

التلميذان يوحنا وبطرس استجوبوهما عن شفائهما لمرض كان من بطن أمه مُقْعِداً، وسألوهما عن كيف شُفِي؟ فرد بطرس معلناً، إنه باسم يسوع المسيح شُفِي هذا المريض. فتضجروا جداً، ولكن الآية والرجل المريض واقف بينهم، فأوصوهما أن لا يذكرنا هذا الاسم. فكان رد بطرس: ”إن كان حقاً أن نسمع لكم، ولكن يتحتم أن نعرف أنه باسم يسوع تم الشفاء، ويتحتم علينا أن نشهد بما عملنا“. فأوصوهما أن لا يذكرنا هذا الاسم، وطردهما من أمام الجمع. فخرج بطرس ويوحنا، وأخذا يناديان بالخلص الذي تم باسم المسيح. فدعوهما مرة أخرى وضربوهما وطردهما. فازداد هذان تمسكاً باسم المسيح وبقوته.

ولما أتيا إلى رفاقهما، رفعوا صلاة طويلة قائلين: «يا رب انظر إلى تهديدهم وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة، بمد يدك للشفاء ولتُجَرَّ آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع، ولما صلُّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلاً الجميع من الروح القدس»^١.

هذه بداية كرازة التلاميذ، وقد أيدها الله والروح القدس. وأصبح لجميع المؤمنين «قلب واحد ونفس واحدة»، «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم»^٢.

أجمل صورة لبداية الخدمة الرسولية. كانت حارة ومؤيدة بالروح والمسيح، وآيات كثيرة كانت تتبعهم^٣. وتضافر كل المسيحيين في ذلك الوقت، في بيع مقتنياتهم ووضعها تحت أرجل الرسل. وكان جميع المسيحيين يحضرون، ويجتمعون في الهيكل في رواق سليمان. وتضجّر الكهنة، فألقوا عليهم الأيادي، وصار حبسهم. وجاء ملاك الله بالليل، وفتح أبواب السجن وأخرجهم

^١ أع ٤: ٢٩-٣١.

^٢ أع ٤: ٣٢، ٣٣.

^٣ مر ١٦: ١٧.

وحضُّهم على كلام الشعب، وإظهار هذه المعجزة. ولما جاء الصباح أرسل الكهنة مَنْ يُحضر التلاميذ من الحبس، فوُجِدَ الحبس مغلقاً والحُرَّاس واقفين، ولكن كان السجن فارغاً. ووجدوا الرسل في الهيكل يعلمون الشعب. فأرسلوا واستحضروهم، وقالوا لهم، أما قلنا لكم أن لا تذكروا هذا الاسم، وهوذا «أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان»، فرد الرسل: «ينبغي أن يُطاعَ الله أكثر من الناس». فاستقرَّ رأيهم أن يقتلوهم، لولا غملائيل الفريسي، الذي دافع عنهم: أقول لكم «تنحَّوا عن هؤلاء الناس واتركوهم. لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يُنتَقَضُ، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا توجدوا محاريين لله». فأحضروا الرسل «وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع».

أما الرسل فلما أُطلقَ أسرهم، صاروا فرحين «لأنهم حُسِبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه»^٤.

وهكذا بدأت الكنيسة، واعتمادها الكلِّي على اسم المسيح، الذي لم يخذلهم قط. فكرزوا ووعظوا، وازدادت الكنيسة عدداً

وقوة. ووقفت الكنيسة بالرسل الذين فيها مرة أخرى أمام العالم،
تكيل له الضربات، ويكيل لها الضربات، حتى اشتدَّت الكنيسة
جداً، وأصبحت لا تُغَلَب.

أول يناير ٢٠٠٦

أول تشكيل لأول خدمة اجتماعية في الكنيسة

لما صار تذرُّ من أرامل اليونانيين داخل الكنيسة الأولى، اجتمع الرسل واختاروا سبعة إخوة مشهورين بالحبّة والرحمة والخدمة. أولهم اسطفانوس الشهيد الأول في الكنيسة، ومعه ستة آخرون. كانوا جميعاً مشهوداً لهم، ومملوئين من الروح القدس. فصلّى عليهم الرسل، ووضعوا الأيدي عليهم. وكانت كلمة الله تنمو، وتكاثر عدد التلاميذ جداً. وجمهور كثير من الكهنة كانوا يطيعون الإيمان. وكان اسطفانوس المملوء نعمة يصنع آيات ومعجزات كثيرة في الشعب. وحاول جماعة من الحاقدين عليه تلفيق التهم ضده، أنه يتكلم ضد موسى والله: «ولم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به» (أع ٦: ١٠).

فعقدوا له مجمعاً صورياً، وهيجوا عليه الشعب والمجمع، فقاموا واختطفوه «وأَتَوْا به إلى المجمع». وأقاموا شهوداً كذبة يقولون إنه يجدفُ "ضد هذا الموضع المقدس والناموس"، و«سمعناه يقول إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع (الهيكل) ويغيّر العوائد

التي سَلَّمْنَا إِيَّاهَا موسى» (أع ٦: ١٢-١٤).

والعجيب أن الإنجيل يشهد لهذا الشماس الأول التقى، أن «وجهه كأنه وجه ملاك» (أع ٦: ١٥). ولما أقاموه في الوسط ليدافع عن نفسه، سرد الإيمان من أول إبراهيم إلى يسوع، في جمل قوية رصينة، تُحسَب أنها بإلهام الروح القدس، كل الذي حدث قبل موسى حتى يعقوب، والنزول إلى مصر، وترحاب ملك مصر، حيث جعل يوسف وصياً له بصفة الملوكية ليحكم مصر كلها، فيعبر بالشعب المصري واليهودي معه سنيَّ الجوع المؤلمة. ولكن انقلبت الحوادث على شعب إسرائيل بعد موت يوسف، حينما جاء فرعون آخر. ثم ميلاد موسى وجَمَّاله، وتغرُّب موسى في مديان. ولما كملت غربة بني إسرائيل أربعمئة سنة في مصر، أخرجهم موسى. وظلَّت معهم خيمة الشهادة التي أقامها موسى، حملوها معهم في التيه، إلى أن دخلت أرض الميعاد. ومرة وعظ موسى الشعب، وقَسَى عليهم جداً بسبب عقوقهم، وبسبب عبادتهم عاجلاً ذهبياً أقامه هرون تحت التهديد.

وخاطب اسطفانوس اليهود: «أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم، أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء (المسيح) البار».

وغيرهم بأنهم أخذوا الناموس ولم يحفظوه. فلما سمعوا منه ذلك
التقريع، وسمعوه إلى هذا الحد، قاموا واختطفوه. وفي هذه الحنة،
وقبل رجمه مباشرة، رأى السماء مفتوحة، ويسوع جالساً عن يمين
الله في المجد. فلما صاح متهللاً أنه يرى المسيح عن يمين الله، سدّوا
آذانهم وصاحوا صياحاً عظيماً، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه.
وكان بولس المدعو شاول يحفظ ثياب شهود اسطفانوس، وهو
الذي خلّفه بالروح فيما بعد، ليصبح أعظم شاهد للمسيح
ولاستشهاد اسطفانوس بعد ذلك. وقبل أن يسقط اسطفانوس
ويموت صرخ طالباً الصفح عن أعدائه الذين قتلوه.

وهكذا ترصّعت الكنيسة بوسامها الأول، لأول شهيد. وصار
دم اسطفانوس بذرة قامت منها أعظم الكاتدرائيات. لأن اسم
اسطفانوس عطّر الدنيا كلها، كأكبر شاهد وشهيد للمسيح.
وعلى دم الشهداء بُنيت الكنائس وُثِنِي حتى اليوم.

أول يناير ٢٠٠٦

دخول الحبشة (إثيوبيا) في الإيمان المسيحي

كانت عبادة اليهود تُحتَم عليهم زيارة أورشليم والهيكل. ففي أيام عيد الحصاد، كان يجتمع ألوف ألوف اليهود القاطنين في كل أنحاء العالم. ذكر منهم الإنجيل: «فرثيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبُثُس وآسيا، وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي لبيية التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء، كريتيون وعرب»^١. وطبعاً إثيوبيا التي هي الحبشة.

وكان الذي يمثل الحبشة آنذاك، رجل "خصي"، هو القائم على كل خزائن الملكة في الحبشة. فبعد أن أكمل زيارته التقليدية، جلس في عربته التي أقلته من الحبشة إلى القدس، والآن من فلسطين إلى الحبشة. وكان رجلاً تقياً حقاً. إذ وهو على سَفَر في عربته، كان يقرأ ويتأمل في سفر إشعياء النبي. وكان يقرأ المقطع الذي جاء فيه: «مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام

^١ أع ٢: ٩-١١.

الذي يجرُّه، هكذا لم يفتح فاه» (أع ٨: ٣٢). وفي هذه اللحظة بالذات، وصل إلى العربية محفوفاً بالروح القدس، المدعو فيلبس المبشِّر من الشمامسة السبعة، ورافق العربية وهي تجري. ولما سمع الخصي يقول هذا المقطع، سأله فيلبس، هل أنت فاهم ما تقول، رد عليه: كيف أفهم إن لم يعلمني أحد. وطلب منه أن يصعد إلى العربية ويجلس بجواره، ويشرح له سرَّ الإنجيل ومن هو الشاة الصامتة. وابتدأ فيلبس بقصة يسوع المسيح، الذي ذُبِحَ كشاة ولم يفتح فاه. فأمن الخصي بالكلام وفرح قلبه، وطلب أن يعتمد. وفي أقرب بركة نزل فيلبس والخصي، وعمده حسب طلبه. والعجب أن بمجرد أن صعد فيلبس من الماء، اختطفه الروح فوجد في أشدود. وسارت عربية الخصي، وعبرت مصر كلها، ومنها إلى السودان ومنها إلى الحبشة. أيُّ صبر هذا الذي كان لهذا الخصي، ولكن هذا هو عمل الله منذ البدء، يُسخر الظروف والناس والزمن لكي يخدم الإيمان. طوبى للحبشة التي بلغها الإيمان مبكراً جداً، وصار هذا الشعب صاحب أصدق إيمان بيسوع المسيح. لقد أمدَّت هذه القصة الحبشة (إثيوبيا) على طول تاريخها، بالإيمان بالمسيح ساخناً ملتهباً، تسنده طبيعة هذا الشعب الخشنة جداً. فقد عاصرتُ الكثير منهم، وقصدي رهاب حبشي أراد أن يحفر مغارة

بجوار مغارتي. ولطيفة قلب هذا الإنسان جداً، وهو أمهري الأصل،
من أنقى الشَّيْع في الحبشة، وعاشرني سنوات كثيرة؛ كان خير
رفيق. وكنت صامتاً لا أتكلم، لأحتفظ بهدوني وسلامي.

والحبشة من البلاد المتمسكة بالإيمان المسيحي، وكان
إمبراطورها طيباً مخلصاً، محباً للقدس ولمصر، فكنا كأنا بلدٌ واحدٌ.
وتحتفظ الحبشة بالمخطوطات الأولى جداً، التي فيها سِيرَ آبائنا
القديسين، وكان في مصر وفي الأديرة كثيرون من رهبان الحبشة
الأتقياء.

أول يناير ٢٠٠٦

«ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى»

إنجيل لوقا ٩ : ١، ٢

الآن نضع التلاميذ وأصبحوا مهيين أن يحملوا الرسالة مع المسيح. لذلك استدعاهم المسيح وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء المرضى، أثناء ما كانوا يكرزون بملكوت الله. وهنا يتضح لنا أن قوة المسيح مستمدة من الله، لذلك فهي مهياة أن ينقلها المسيح لتلاميذه الأخصاء. كانت هذه هي التجربة الأولى ليمتحن المسيح إن كان تلاميذه على مستوى الرسالة. فأعطاهم أسلحتها قوة وسلطاناً على العدو، الذي كان واقفاً بالمرصاد ليفسد رسالة المسيح، بعد أن نجاه المسيح من دائرة وجوده وخدمته. ولكن العجيب في الشيطان أن يظلّ مناوئاً للمسيح وهو مكسور فاقد قدرته. لذلك كان السلطان وكانت القوة التي أعطاهها المسيح لتلاميذه، قادرة أن تحيّد مشاغباته، بعد أن كان

سلطانه لا يُقاوم. فهذه أول بادرة في الإنجيل لتحسين العاملين باسم الرب. وظل العدو يقاوم وهو مكسور، «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء»^١. كان عمل المسيح هذا فيما قبل الصليب، ولكن بعد الصليب انتهى عصر الشيطان إلى الأبد، ليحل الروح القدس، قوة الله التي لا تُغلب.

والعجيب حقاً أنه بعد أن قيّد المسيح الشيطان بقوته وسلطانه، أصبح الباب مفتوحاً أمام التلاميذ لبدأوا بشفاء المرضى وصنع الآيات باسم الرب. ونجحوا بنجاحٍ واضحٍ، وفرحوا بما صار لهم وعلى أيديهم.

وكان هذا هو أول أيام الكرازة على أفواه التلاميذ. فهو يوم خالد يسجلُ الله رحمته الأولى التي أنقذت العالم من سلطان الشيطان، الذي كان لا يُقهر. فافرحي أيتها البشرية وأبشري، إذ دخل المسيح في مجال عمل الإنسان، ليجعله عملاً لغلبة الشيطان، وإخضاع قوته وسلطانه بسلطان الله وقوته. وعمل الشيطان كان عنيفاً جداً وفاجراً جداً منذ أن أسقط الإنسان، آدم وحواء، من أمام وجه الله ورحمته، وصار يستولي عليه ويُخرّب كل مملكاته وصفاته.

^١ لو ١٠: ١٨.

واليوم هو أول أيام الإنسان، بعد دهور الحزن والكآبة، ليدخل الإنسان في مجال عهد الله بغلبته لقوة الشيطان وإخضاع سلطانه. فيُحسَب هذا اليوم بدء تاريخ الإنسان الحر، عندما تحرر من قيد العدو وقوته وسلطانه، بفضل قوة المسيح التي نزل بها من السماء خصيصاً، ليردع الشيطان ويحبسه بقيود لا يفلت منها، بانتظار عقابه الأخير. وكان الشيطان عدو الله قبل أن يكون عدو الإنسان. فمبارك هو اسم الله الذي أعتقنا من قوته وسلطانه، ووهبنا حرية البنين لله. فقبل أن يطالبنا الله بعدم الخضوع لهذا العدو، أعطانا السلطان والقوة عليه، فلم يُعد لأي إنسان عذر في اتِّباعه غوايات الشيطان والتلهي بمسراته!

فنحن الآن نعيش أيام مجد المسيح والآب أياماً هي أعياد وتذكارات حيّة لأجناد المسيح والآب. فيا ليت الكنيسة تحدد مثل هذا اليوم لعيد تقيمه، ويكون اسمه "عيد الإنجيل"، لفرح أولاد الله بكلمة الله، التي قيّدت الشيطان بانتظار معاقبته في بحيرة النار، العتيدة أن تبلع العدو وكل من انطوى تحت سلطانه. ليتمجّد المسيح بغلبته على العالم وصاحب العالم، لنعيش معه غاليين، وأعظم من منتصرين.

أول يناير ٢٠٠٦

«أطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تُزاد لكم»

إنجيل لوقا ١٢ : ٣١

بطول حياة المسيح لم يكفَّ قط عن الكرازة بملكوت الله، الذي كان هو الهدف الذي ركَّز عليه كل تعليمه. وهنا يعطي النصيحة الإلهية للذين يسمعون، أن «اطلبوا ملكوت الله»، أما هذه الأشياء التي في العالم فهي تُزاد لكم، من أكل وشرب ولباس ومأوى. فابن الإنسان لم يكن له «أين يَسند رأسه»، يقضي الليالي في العراء يصلي، وبالنهار يطوف البلاد يكرز بملكوت الله. فكان همُّه الأول والأخير، أن يتعرَّف الناس على وطنهم السماوي عند الآب.

فحينما نطلب ملكوت الله ونسعى إليه ونكرز به، نكون قد أكملنا رسالتنا المسيحية في العالم. لأن سرَّ وجودنا في العالم، وستر الله لنا في هذا الزمان، هو لإعطائنا فرصة طلب ملكوت الله. فإن كنا قد أعددنا أنفسنا لدخول ملكوت الله، نكون قد أكملنا

^١ لوقا ٩: ٥٨.

رسالة وجودنا في العالم.

وحينما يقول المسيح «اطلبوا ملكوت الله» وهذه كلها تُزاد لكم، فهو وعدٌ إلهي من رب السماء والأرض، قادرٌ أن ينفّذه بالحرف الواحد. فهو القائل: «دُفِعَ إِلَيَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض»^٢. فالمسيح لما يَعِد الذين يطلبون ملكوت الله أنه يزيد لهم كل ما يحتاجون إليه، فهو من عنده يعطينا، ومن خيراته الروحية والزمانية يفيض كما قال، حتى نقول كفى كفى.

وحينما يقول المسيح «اطلبوا ملكوت الله»، فهو يدعونا إلى مُلكه في السموات، لا لكي نحيا فيه كما على الأرض، بل إن مدعوِّي المسيح لملكه السعيد هم مدعوون بالحقيقة لكي يكونوا «ملوكاً وكهنة لله أبوه»^٣. فلا يستهن أحد بقول المسيح «اطلبوا ملكوت الله»، لأنه يدعونا حقاً للحياة معه ومع الآب، كمختارين ومحبوبين ومُنعم علينا. فميراث ملكوت الله هو غاية ما أعدّه لنا المسيح، وغاية ما يمكن أن يحظى به الإنسان. علماً بأننا حينما نطلب ملكوت الله، يفتح المسيح ذهننا لندرك قيمة هذا الطلب،

^٢ مت ١٩: ٢٨.

^٣ رؤ ١: ٦.

فهو أفخر عطايا الله لأخصائه ومحبيه. وبمجرد أن يكون ملكوت الله هو هدف حياتنا على الأرض، وغاية ما نرجوه ونتمناه، يصبح ملكوت الله فرحنا ومجدنا، وعزاءنا وسرورنا. فليس في كل عطايا الله ما يضاهي ملكوته السعيد الأبدى.

والسر الذي أبقاه المسيح لأخصائه، هو أنه بمجرد أن ننشغل بملكوت الله، ويصبح هدفنا الذي نسعى إليه، يتولّى المسيح باقي احتياجاتنا دون أن نحمل همها. وهذا يدخل في قوله: «احملوا نيري عليكم... لأن نيري هينٌ وحملِي خفيفٌ»^٤. فنير المسيح هو السعي في إثر ملكوت السموات. والحمل هو تحمّل أقواله بقلب مفتوح. وفي هذا وذاك لا يتركنا المسيح وحدنا، بل يشترك معنا كتفاً بكتف. فبقدر ما نجاهد، هو يُسهّل ويعين. وعندما نتبع المسيح نشعر أنه قريب منا. وعندما نحمل هو يحمل معنا، خاصة من جهة الحياة معه، وأتباع طريق الملكوت الذي أعدّه، ليصبح كل من يسير فيه يسير معه المسيح، وكل من خار تحت صعوبة عقباته، تولّى هو رفع كل عقبة من الطريق، ليصبح الطريق ممهداً تماماً للسير فيه. لأنه قال «أنا هو الطريق»^٥، فجعل السير فيه سيراً معه،

^٤ مت ١١: ٢٩، ٣٠.

^٥ يو ١٤: ٦.

والفرح بالسير المُعان فيه فرحاً به.

والمسيح تكلم كثيراً ليصف صلته بالباب والطريق والوصول،
فنحن حينما نصمم على السير في طريق الملكوت، نكون قد ألقينا
كل الحمل عليه^٦، وانتظرنا الختام على يديه، فهو القائل: «أنا هو
الألف والياء البداية والنهاية»^٧؛ لا كمن يسير معنا، بل يسير بنا،
ولا كمن يعين فحسب، بل كمن يحمل ويسير.

٢ يناير ٢٠٠٦

^٦ أنظر ١ بط ٥: ٧.

^٧ رؤ ١: ٨.

«المُسْتَعْلِي عند الناس هو رجسٌ قدام الله»

إنجيل لوقا ١٦ : ١٥

كان عصر المسيح مملوءاً بالفريسيين الأغنياء وذوي الأموال المتكدّسة، فكان لكلام المسيح وَقَعٌ سيّئٌ عليهم. وقد قال المسيح على المكشوف، لا تقدرون أن تكرموا سيّدين، إما الله، وإما المال^١. فالحب للمال يصعب عليه جداً أن يُعشّر أمواله، حسب أصول خدمة الآخرين. وإن هو تجرّأ وعشّر أمواله، فإنه يستأجر رجلاً يَبُوقُ قدامه ليُفسّح له الطريق، ويشير إلى عطفه على الفقراء. كل هذا رفضه المسيح، واعتبره جزءاً من خدمة العالم. لأن العالم يُخدم بالرياء والكذب، والمال في يد محبّي العالم جزء لا يتجزأ من حب العالم. وقد أوصى الرب أن «لا تُعرّف ثمالك ما تفعل يمينك»^٢، أي يلزم أن تكون العطية غير محسوسة عند الإنسان نفسه، لأنها معطاة لله.

^١ لو ١٦: ١٣.

^٢ مت ٦: ٣.

وهنا يقول المسيح إن المستعلي، أي المتكبر، عند الناس هو رجس عند الله، أي نجس. وهذا أشنع وصف للكبرياء. الإنسان المتواضع محبوب عند الله والناس، بعكس المتكبر في نفسه، فإنه يستعلي على الناس ويستعلي على الله دون أن ينتبه. ومرة أخذ المسيح ولداً صغيراً وقال لتلاميذه: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات»^٣.

ولما تملأ الرؤساء والكهنة، عندما كان الأولاد يرفون المسيح في فناء الهيكل قائلين: «أوصنا لابن داود... أوصنا في الأعالي»^٤، وقالوا له: سكت هؤلاء الأولاد، ردّ عليهم: «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ»^٥، لأنه مكتوب «من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسيحاً»^٦، فكان المسيح يرتاح لصراخ الأولاد، لأنهم كانوا على سجيّتهم. والفارق كان كبيراً جداً بين الكتبة والفريسيين والكهنة، وبين هؤلاء الأولاد. فالصوت الوحيد الذي سُمع في الهيكل كان صوتهم.

^٣ مت ١٨: ٣.

^٤ مت ٢١: ٩.

^٥ لو ١٩: ٤٠.

^٦ مت ٢١: ١٦.

وكانت هذه هي البادرة الوحيدة التي نطق بها الناس احتفالاً به، فكَتِبَتْ في الإنجيل كذكرى عطرة تنسّمها المسيح قبل الصليب، في الوقت الذي كان يهوذا الخائن يستلم فيه أجرة خيانتته وتسليمه الرب، الذي لما أحس بجريمته شفق نفسه. كان صراخ الأولاد صراخ حب، وكانت خيانة يهوذا في نفس الوقت خيانة البغضة. فالأولاد كسبوا رضا المسيح، ويهوذا صار رجساً وثنانة.

وكان المسيح ولعدة مرات، يوعّي التلاميذ أن الكبير فيهم هو خادم الجماعة^٧، وصغيرهم هو رئيسهم. ولكي يجعل هذا درساً ثابتاً في حياتهم، أخذ لقان ماء وفوطة ائتزر بها، وغسل أرجل تلاميذه. ولما استكثروا هذا العمل قال لهم: «أنتم تدعونني معلماً وسيّداً»^٨، وها أنا غسلت أرجلكم، اصنعوا هذا لذكري، فالكبير فيكم يخدم الجماعة، والصغير يُحمَل على الكتف.

لأول مرة في تاريخ البشر يحتلّ الصغير محلّ الرأس، والرئيس محلّ الخدمة. فتبايُن الدرجات بين الناس، هذا رفعه المسيح من الوسط، وجعل للكبير مسئولية الجماعة كلها، والصغير جعله كالكبير.

^٧ مت ٢٠: ٢٦.

^٨ يو ١٣: ١٣.

١٩م - مع المسيح (٤)

وهذا التباين في قيمة الجماعة، رفع الجماعة كلها إلى مستوى المسؤولية. فالكبير يُحترم، والصغير يُعطف عليه، فلا يعود في الجماعة المسيحية من يرتفع على حساب الصغار، ولا الصغير يأخذ مكان الكبير. واختفى الكبرياء والتعالي بالجنس أو المنصب، ولأول مرة في تاريخ البشرية يحتل الصغير والضعيف مركز الاحترام، ويختفي المتكبر والمنفوخ.

٢ يناير ٢٠٠٦

«ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك
لأن ها ملكوت الله داخلكم»

إنجيل لوقا ١٧ : ٢١

لأول مرة يصرّح المسيح هذا التصريح، لأننا كنا نظن أن ملكوت الله في السموات مُخْفَى إلى أن يأتي المسيح في نهاية الدهور وَيُكْمِل الدينونة. ولكن أن يكون ملكوت الله داخلنا، فما أسعدنا خليقةً. لأن ملكوت السموات هو الحياة الأبدية، حيث يحكم الله مختاريه. فاسم الحياة الأبدية يحتل مكانة عالية جداً، لا يقربها إلاّ أخصاء الله الموعودون. فإن كان ملكوت الله داخلنا، فنكون قد حصلنا على مجد الله الأزلي، وبلغنا غاية المنتهى. لأن آخر ما يترقّبه الإنسان في حياته على الأرض، أن يكون انتقاله الأخير هو إلى ملكوت السموات. وبغير ملكوت السموات ليس للإنسان رجاء أو أمل.

وَمُلْك الله في السماء، هو المكان المعين من قبل إنشاء العالم، والمخصّص للمختارين من بني الإنسان. وها المسيح يصرّح لنا هنا،

أن «ملكوت السموات داخلكم». ونحن نفهم من ذلك أن خلقنا الجديدة، التي سوف نستمدّها من روح الله، والتي ستكون مُعانة ومميّزة بالروح القدس، هي داخلنا الآن مهَيّأة للحياة الأبدية، أي الحياة بلا نهاية في حياة الآب والابن في السماء.

وملكوت الله، أي الحياة الأبدية، ليست كحياة الأرض التي فيها نولد لنحيا ونأكل ونموت، ولا يكون في موتنا أيُّ أثر للحياة التي عشناها. فالجسد سينتِن ويتهرأ ويأكله الدود، ويعود إلى التراب الذي أُخذَ منه. فالحياة الأبدية حياة في المسيح والآب، لا بداية لها ولا نهاية، كلها أعياد وأفراح ومفاجآت. لأن هناك سيُستعلن لنا جميع الآباء والأنبياء والملائكة المقدسين، وكل أبرار الأرض. ستكون طغمة تستمد وجودها كوجودنا، وما يعزّينا يعزّيهم، وما يفرّحنا يفرّحهم. ولا يكون هناك حزن ولا تنهد في نور القديسين.

ولكن الذي يتحمّم علينا الرجوع إليه، أن الرب يقول في هذه الآية إن ملكوت الله داخلنا، فما معنى ذلك؟

نعود إلى بولس الرسول في قوله: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا

في^١. فالمعروف إذن باليقين المدوّن في الإنجيل أن المسيح يحيا فينا: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في^٢»!! فإن كان المسيح يحيا فينا، فالحياة الأبدية، التي هي هي المسيح، تحيا فينا! لأن طالما المسيح يحيا فينا، تكون الحياة الأبدية حتماً تحيا فينا. أي أن المسيح القائم من الأموات يباشر قيامته فينا، ونباشر نحن قيامتنا فيه، بل ونباشر جلوسنا معه عن يمين الآب بالضرورة. فكون المسيح يحيا فينا، نكون قد بلغنا الألف والياء معه. فهو الأول لنا والآخر لنا، وحياتنا مستترة مع المسيح في الآب، حينما يُستعلن المسيح سنُستعلن نحن فيه^٢. وإعلان المسيح واستعلانه مجدّ في مجد، ونحن ممجّدون فيه. من يصدّق خبرنا، ولمن استُعلنت ذراع الرب، أليس لنا نحن الذين نعيش في المسيح، والمسيح يعيش فينا؟ والمسيح نفسه يحيا في الآب، والآب يحيا فيه. يا للمجد، لقد كُتِبَ لنا أن نعيش مع الآب في الابن، وتعيش الحياة الأبدية فينا.

٢ يناير ٢٠٠٦

^١ غل ٢: ٢٠.

^٢ كور ٣: ٤.

«قدّسهم في حقك، كلامك هو حق»

إنجيل يوحنا ١٧ : ١٧

المسيح يطلب من الآب أن يُقدّس المؤمنين به، كما يقُدّس الكاهن الخبز الموضوع على المذبح، ويصرخ "القدّسات للقدّسين"، فيتناول منه المؤمنون ويتقدّسون بقدسيته. هنا يطلب المسيح من الآب أن يقُدّس المؤمنين به، لا بخبز وخمر، وإنما بروحه القدوس، قداسة يراها الناس بتحويل طبيعة الإنسان لتصبح طبيعة جديدة ذات أعمال برّ وتقوى. فكلام المسيح ورثته الكنيسة كحق إلهي عامل في طبيعة الإنسان، يجده ويحييه حياة روحية، لا بالكلمة فقط ولكن بتقدّيس الخبز والخمر اللذين يتناول منهما الإنسان فيثبت إيمانه ويتقوى في حياته، فيثبت في المسيح.

والمسيح يصرّح بسر الكلمة، أنها قادرة بالروح الذي فيها، أن تقدّس الإنسان. وهنا يشير المسيح إلى أن حق الله هو كلامه، الذي يُعرّض على الإنسان رخيصة بلا ثمن في إنجيله المقدس. الذي يجلس إليه مَنْ يريد أن يتلمذ للحق، يقرأ ويعيد ويزيد، حتى

ترسخ الكلمة في ذهنه، وتحوّل إلى استعلان الحق الذي فيها،
فيفرح الإنسان ويتهلل بالروح، لأنه يكون قد أدرك المسيح
والآب.

فحينما يقول المسيح للآب «كلامك هو حق»، فهو يتكلم هنا
من عمق ذخيرة قلبه، فقد ذاق وعاش كلمة الآب، وأحيّت فيه
الحق والنور، وكرز وبشّر بها، فازدادت نوراً وبهاءً ومجداً فيه وبه،
وفاضت علينا في تعليمه ووصاياها. فعندما يقول المسيح: «كلامك
هو حق»، فهو هنا يُزيد الحق حقاً، ويجعل حق الآب نوراً يستعلنه
الإنجيل ليضيء كما يضيء المصباح في مكان مظلم. أما المكان
المظلم فهو قلوبنا، إن هي تسلّمها الشيطان، وأغواها بغوايته التي
جرّها في حواء ونجح.

فالكلام لكم يا إخوة، الحق أمامكم، ونور الحق مُهدى إلى
قلوبكم، إن هي انفتحت على حق الله في الإنجيل ووصايا يسوع.

٢ يناير ٢٠٠٦

«اللهم ارحمني أنا الخاطئ»

إنجيل لوقا ١٨ : ١٣

صلاة قصيرة يعلمها الرهبان للداخِلين الجدد في الحياة الرهبانية. وهي صلاة العشار، التي كان يقولها وهو خَجَلٌ من نفسه، يدقُّ صدره؛ في مقابل الفريسي، الذي صَلَّى بافتخار أنه ليس مثل العشار الحقير، لأنه كان يصلي رافعاً رأسه، مقارناً حاله بحال العشار الخاطئ. فنزل العشار إلى بيته مغفور الخطايا، أما الفريسي فلم تُغفر خطاياها.

وكانت هذه الصلاة تُدخل النفس في حالة هدوء وسلام، بل وثقة وفرح بالله. وهكذا برع في هذه الصلاة رهبان كثيرون. وكانت باباً في السماء، مفتوحاً لدى الله. وتطوّرت هذه الصلاة القصيرة إلى صلوات أخرى أتقنها الإنسان، فهي مفتاح ناجح للراهب المبتدئ، لا تَبْزُها صلاة. علماً بأن الذي رواها هو المسيح نفسه، فهي مدعّمة بفكر المسيح الذي يقبل كل صلاة ترضيه. ونحن نقولها هنا متأثرين بوقّعها على القلب، وسيطرتها على

الضمير وجلبها للراحة. وشهادة أجيال الرهبان لها تؤكد صدقها ومفعولها الفريد في الإنسان الباحث عن بداية الحياة الروحية، والذي يهوى التلمذة للمسيح والقديسين. وما أسعدها أياماً، تلك التي كنا نقضي ساعاتنا نصلي بلا حدود، دون أي انشغال للفكر. ونحن هنا نقدمها للقارئ كهدية من أيام رهبنتنا الأولى، تأتي ثمارها عندما يتعوّدها الإنسان، وتصير على مستوى الحديث مع الله.

فطلب الرحمة من الله يليق كل ساعة. وإذا ذاقها الإنسان متواتراً في حياته، يعود إلى تكرارها عن إحساس بفضلها عليه، لأنها تسحب الذهن الشارد، وتردّه إلى حضرة الله، فيتعوّد اليقظة والاتصال بالله بأسهل طريقة، وهي طريقة التعوّد.

والتكرار بالصوت المنخفض أسهل من التكرار بدون صوت، لأن الصوت المنخفض يدخل السمع في التمرين الدائم، فيزيده رسوخاً في الذهن. فإذا توقّف الذهن، عاد للتمرين بسهولة ويسر. وإذا غاب كثيراً عن التكرار، يعود إليه نادماً، لأن التكرار الواعي يخلق الإحساس بالضرورة، فهو لا يخرج عن حقيقة الصلاة التي ترسخ في الذهن باعتبارها عمل الله، والتي تفوق كل عمل آخر للعقل. وهي تُحسب طريقاً موصلاً إلى الله، كشفه المسيح من عنده، كطريق مختصر لإنسان يطلب الله، غير مزوّق بكثرة الألفاظ

والمعاني. وفي هذه الصلاة القصيرة جداً، يتركز كل ما يُعوز الإنسان، وكل ما يريده الله. قصيرة غاية القصر، ومتواضعة غاية التواضع. ويكفي أن تكون من فم المسيح. وتكريماً للمسيح تُحسب أجمل صلاة، فهو أكثر معرفة بحاجة الإنسان من الإنسان نفسه. فكل حاجة الإنسان هي من عنده، ومستعد أن يعطيها لمن يطلبها. وقد وعد وعداً أكيداً: «اسألوا تُعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم»^١، وهي تغطي كل احتياجات الإنسان. وقال أيضاً: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً»^٢.

٥ يناير ٢٠٠٥

^١ مت ٧:٧.

^٢ يو ١٦:٢٤.

«يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا،
وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار»

رسالة يوحنا الرسول الأولى ٢ : ١

الرسول يوحنا هو رسول عدم الخطية، والوحيد الذي قال إن أولاد الله لا يخطئون. باعتبار أن وَلَدَ الله وَلَدَ جديداً بالروح، وأن من يخطئ يُثبت أنه لم يولد من الله ولا عرفه. وهذا أبداع ما قيل في الإنجيل. فالقديس يوحنا كتب في إنجيله آخر ما قاله المسيح قبل الصليب: «وَعَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم»^١. وليلاحظ القارئ الإبداع في التعبير، إذ يقول إنه إذا كان فيهم "الحب الذي أحببتني به"، مخاطباً الآب، "أكون أنا فيهم". والإبداع هنا هو اعتبار أن المسيح هو حب الآب، فإذا كان حب الآب فيهم، يكون المسيح فيهم بالتبعية.

^١ يو ١٧: ٢٦.

فالمسيح هو حب الآب، لذلك اعتُبرنا نحن أننا أولاد الله. والمحبة تجوهرت^٢ بالمسيح، فالله محبة والمسيح محبة، ومن أحب المسيح تجوهرت فيه محبة الآب، لأن الآب والابن واحد. هنا روعة اللاهوت في المسيحية، فمن أحب الابن أحب الآب بالضرورة. فالدعوة إلى محبة المسيح، دعوة إلى الدخول رسمياً في لاهوت المسيحية. لذلك يقول المسيح: «أنا في الآب والآب في»^٣. وهذا مدخل سرّي أوحده للإنسان، لكي يكون واحداً مع الابن والآب. وهذه هي الدرّة البراقة في المسيحية، التي من أجلها باع الإنسان الحكيم كل ما له واشتراها. ومن اشتراها حُسِبَ من أغنياء العالم، لأنها تساوي مُلك الآب والابن الأبدي، الذي ستزول السماوات والأرض، وملكوت الله باقٍ، هو كما هو إلى الأبد.

فهذه العظّمة، أيها الأحباء، هي دعوة إلى حب الآب والابن. وهي بعينها دعوة صادقة إلى بيع العالم، لشراء درّة لاهوت المسيح. «فبيعوا ما لكم وأعطوا صدقة»^٤، لتربّوا مُلك السموات. فالصدقة في حقيقتها ثمن الحب، الذي إذا تكاثّر يورث هذا الغنى الفائق.

^٢ أي تصير المحبة ليست مجرد فضيلة، بل في جوهر طبيعة الإنسان المولود من الله.

^٣ يو ١٤: ١٠.

^٤ لو ١٢: ٣٣.

وهذا أعجب ما قاله المسيح ودُوِّنَ في الإنجيل. وهذه حُسْبة تجارية يربحها كل من صدَّق خبرنا، فُتُسْتَعْلَنَ له ذراع الرب. والذي تُسْتَعْلَنَ له ذراع الرب، يعاين الرب بوجه مكشوف، فلا يعود يطيق الدنيا ولا تعود الدنيا تطيقه، لأنه يكون حاملاً اسم الرب. واسم الرب مكروه في الدنيا لأنه محسوب ضدها. ولكن اسم الرب يكفي حامله، لأنه مأكَلُ حقٍّ ومَشْرَبُ حقٍّ ومن يأكله يصير في الرب ويصير الرب فيه. يأكل من يديه طعام الحق، ويشرب من الحق الذي ينبع من تحت قدميه.

٧ يناير ٢٠٠٦

«كل من وُلِدَ من الله يغلب العالم»

رسالة يوحنا الرسول الأولى ٥ : ٤

محبة الله الصادقة المتمرّسة بالأعمال، التي ذاقت كم أن الربّ طيّب، حتى أن اسمه لا يفارق القلب واللسان. كما يقول داود المحب لله جداً، في مواضع عديدة ما معناه «إن اسمك لا يفارق قلبي لأنه صار لذّتي»^١، كلما تلوّثته زِدْتُ حباً له، عندما زادت همومي عليّ برز اسمك على فمي، فزالت همومي وزالت الدنيا من قلبي. أنت قلت إنك غلبت الدنيا، ولم تغلبها لنفسك بل أنت غلبتها لنا، فبسبب هذا هي تطاردنا بينما هي مغلوبة لاسمك، الذي نستغيث به عندما تشتدُّ علينا.

أنت قلت - يا رب - إنك لست من هذا العالم^٢، ولذلك فالعالم اضطهدك. ووهبتنا أن نحتمل اضطهاده كما احتملت أنت وغلبت، فكان احتمالك عزاءً وقوة. والذي وُلِدَ من الله، انقطع

^١ مز ٩: ٢ و ٦١: ٨ و ٨٦: ١٢ و ١١٩: ٥٥ و ١٤٥: ١، ٢.

^٢ يو ١٧: ١٤.

بالضرورة عن كل ما يعرضه العالم من مسرّات وشهوات وتَعْظُم
أسباب المعيشة. وهذه كلها انقطع تيارها الجارف، كلما جفّت
ينابيعها وسئمتها الحياة. فالعين لم تعد تُعْمِئها الشهوة، والأذن لا
تطبق ضجة الأصوات.

فالذي وُلِدَ من الله يهبه الله مسرّات الروح، فيصبح الإنجيل
كتابه الوحيد المحبوب. مجرد النظر فيه يُشعل القلب ناراً،
ويستحضر الذكريات التي يحتفظ بها الإنسان وكأنها ملكوت الله.

عندي إنجيل مُهدى لي من مكتبة الكنيسة بالجيزة، مكتوب عليه
سنة ١٩٤٨، ذكرى خروجي من العالم لقبول الرهبنة. ومكتوب
تحتها: "ها عهدي ووفائي . . أن أخدم بيعة أجدادي". كان
عوني الوحيد في كتابة عظامي حتى اليوم، فالإنجيل يحمل أعزَّ
أوقات العبادة والتمعُّن في كلمة الله الثمينة. وكل ما يقتنيه الإنسان
في شبابه يكون عوناً له في شيخوخته، وبالأكثر جداً كلمة الله
الحية الباقية إلى الأبد.

والميلاد الجديد من الله، يظلُّ جديداً كل أيام حياة الإنسان، لا
يشيخ من وُلِدَ من الله، بل تبقى أيام حياته تستمد حيويتها وفرحها
العمر كله. وكل ما كُتِبَ في الإنجيل هو ذخيرة حياة رسولية، لا

تشيخ ولا تبلوها السنين، وهي تنتقل بكل حيويتها الرسولية الأولى لتنتبع في قلب من أحبوا الرب. فالحب الأبوي الرسولي ينتقل إلينا في كلمات الإنجيل وكأنها كُتبت لتبقى ولا تفنى. هي ذخيرة حياة عطرة برائحة المسيح في كل كلمة خرجت من فمه، تعمل عملها في الروح والفكر والقلب والضمير، لتصيف حياة الإنسان على طبعة الإنجيل. فطوبى لمن اقتنى هذا التراث الإنجيلي، لأنه يحيا كل يوم بروح الإنجيل منطبعا في قلبه وفكره وروحه. وهو ولو أنه أغنى تراث تقنيته، ولكن مجانا، إذا قيس بالأشياء التي تُقْتنى بالمال. فمن يُصدّق أن تراث المسيحية كله تقنيته بثمن زهيد، مع أن كل كلمة خرجت من فم المسيح هي لؤلؤة، إذا اقتناها أحد تغنيه أكثر من ذهب العالم وفضته.

٩ يناير ٢٠٠٦

«ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق»

رسالة القديس يوحنا الأولى ٥ : ٢٠

يسوع المسيح هو الحق، كما قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة»^١. وتعريف الحق صعب لأنه صفة تختص بالله. ولكن الحق يقترب كثيراً من الحقيقة، وحقيقة الشيء هي أصلها الصحيح. لذلك فحقيقة الله هي أصل الأصول كلها. وفي الفلسفة تكون الحقيقة هي جوهر الشيء أو الأمر. لذلك فقول الإنجيل إن «ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق»، يقصد بذلك معرفة الحقيقة فيما يخص الله والروح والحياة. وعكس الحق هو الباطل والغش. فمن خصائص الحق أن يكشف الباطل والغش والكذب، التي هي تزيف الحق. والمسيح جاء بعد عصور مظلمة، امتلأت بما هو غش وتزيف، كما في العبادات التي ثبت أنها من أفعال الشيطان، المحسوب أنه الكذاب وأبو كل كذاب، فكان قَتَلاً

^١ يو ١٤: ٦.

للناس منذ البدء^٢.

ويكاد الشيطان أن يكون هو أصل الباطل، أو محترف الغش والكذب. وظلم كل الظلم أن يُحسب إنسان ما أنه كذاب أو غاش. لأن أصل الفعل، أي الغش والكذب، ليس من صنع الإنسان، إذا فحصناه فحصاً دقيقاً. لذلك قيل إن الإنسان يصير مستعبداً للشيطان، حينما يقوم بعمل الكذب أو الغش أو الباطل.

ونعتقد أن عطف الله على الإنسان عامة، إنما هو راجع لمعرفة الله بأن الشيطان هو أصل الشر والكذب والغش. لذلك نحتسب أن هذه الآية أن «ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق»، هي في جانب الإنسان، تُحسب عملاً تعطفياً من الله على خليقة الإنسان، التي استعبدت حقاً للشيطان هذه الدهور كلها، حتى بدا أن الإنسان متهم بالعمى الروحي، الذي جعله هكذا مطية سهلة للشيطان، ليقفل عينيه عن الحق. ومن ناحية أخرى، فإن عطف الله على الإنسان إنما يرجع إلى أن الله هو الحق، فإذا انعمى الإنسان عن الحق، فهنا يقف الله مدافعاً عن نفسه، إذ يعطي الإنسان البصيرة لمعرفة الحق.

بقي علينا أن ندرس معاً كلمة ”البصيرة“. فلو أنها تَمَّتْ بصلة ما للنظر، ولكنها في الحقيقة تخصُّ النظر الروحي، الذي لا تدخل فيه عينا الإنسان. والنظر الروحي هبة عظمى، فالبصيرة تختص بالحق مباشرة، والحق يخص الله. وهنا ندخل في إبداع منطقي، أي أن الله من تعطفاته الجزيلة يُعرِّف الإنسان بنفسه. هذا هو معنى هذه الآية الإبداعية، التي لولاها لظلَّ الإنسان تحت العمى الروحي، لا رجاء له من جهة معرفة الحق، بل والحقيقة أيضاً. لأن كل حقيقة تقع في مرمى الحق الإلهي الذي هو الله، وهو حق وعدل أن يكون كل حق وكل حقيقة مصدرها الله. له العزُّ والبركة والسجود الدائم، الدائم إلى الأبد.

١٠ يناير ٢٠٠٦

«ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٥ : ٢٠

إذ يردف القديس يوحنا قوله، أن الآب أرسل ابنه ليعطينا بصيرة لنعرف الحق، يقول هنا إننا نحن في الحق في ابنه يسوع المسيح، فهذا تحصيل حاصل. ولكن الذي استرعى انتباهنا جداً، هو أن الله كان يمكن أن يعطينا بصيرة لنعرف بها الحق دون أن يضحّي بابنه، بأن يُقدّم كفارة لخطايانا. ولكن الآب هنا أراد أن يَحْتَت سبب العمى الروحي، الذي أودى ببصيرة الإنسان وجعله يجافي الحق، وينحاز بكل ملكاته للباطل والغش والكذب.

الإبداع هنا واقع في الحقيقة وعين الأمر أن الله بهذا العمل الإلهي المنقطع النظير، كونه يضحّي بابنه ليُصلَب ويصير فدية للإنسان، ليُعتَق من العمى الروحي الذي يجعله يجافي الحق، وينحاز إلى الشر والكذب وعمل الباطل، يُقدّم محاولة جدّاً إبداعية، تُحسَب كأقوى أعمال الله بتاتاً. إذ يبحث سرّاً وبدون جلبة للإيقاع بصاحب

الباطل والكذب والشر عامة، ويظفر به^١، فيكسر فخاخه ويحطّم
أشراكه، ويُفني كل مهارته التي اكتسبها من إسقاط الإنسان في
شراكه وفخاخه ودهائه.

فالله أرسل ابنه إلى العالم ليحتثّ الشر والشرير، ويمحو من
الوجود المعاند الأول والأقوى للحق، أي الله. لأن هذا العمل
وحده يضمن الله عدم رجعة الإنسان إلى قِيئه ليتلذذ بالشر
والكذب. وهنا استتر عمل الله الحقيقي: «هكذا أحب الله العالم
حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له
الحياة الأبدية»^٢.

وهذا حق الله كل الحق، أن يُخفي دور الشيطان الذي ابتزّه
لنفسه، إذ يُحسّب أنه العمل السليبي الوحيد في خلقه الإنسان،
الذي لعبه الشيطان ليغيظ الله بإفساد خليقته. وهذا يظهر بوضوح
في عملية القبض على الشيطان، إذ قيل إن المسيح ظفر به وكل
أعدائه على الصليب^٣. فكلمة "الظفر" تفيد القبض بعد مطاردة،
والإيقاع بالعدو بعد ملاحقة. وكم طالت المطاردة! طالت منذ

^١ أنظر كو ١٥: ٢.

^٢ يو ١٦: ٣.

^٣ أنظر كو ١٥: ٢.

ترك الشيطان المسيح بعد صومه الأربعين المقدسة، إذ قيل: «فارقه إلى حين»^٤!! هذا هو الحين الذي صارت عنده نهاية ذلك الجبار الهارب من وجه الله.

وهكذا تم سقوط هذا الداهية، الذي دوّخ آباءنا وأجدادنا هذه القرون كلها، من الزمان الحزين الذي جازه الإنسان على الأرض، وهو فريسة لهذا العدو الذي لا يعرف الرحمة.

من أجل هذا افرحي أيتها السماء^٥ ويا أرض بعد اللعنة، لأنك لن تعودي تُسمَّين ملعونة، بل «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»^٦.

١٠ يناير ٢٠٠٦

^٤ لو ٤: ١٣.

^٥ رؤ ١٢: ١٢.

^٦ لو ٢: ١٤.

«وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية
وهذه الحياة هي في ابنه»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٥ : ١١

كان اليوم الأول الذي قال الله فيه لآدم «موتاً تموت»^١، هو
أشدَّ حياة الإنسان سواداً وظلاماً. وهذا قاله الله كعلاج مؤقت
لسقطة آدم وحواء في خطية عصيان الله، وأكلهما من الشجرة
المحرّمة، الأكل الذي بعده مباشرة عَمِيَ الإنسان ولم يعد يرى الله.
ومعروف أن الله في الجنة كان هو مصدر الحياة والحق، فلما
اختفت الحياة باختفاء الله من حياة الإنسان، اختفت معها معرفة
الحق. فالحق هو الله، والله هو الحق.

وعاد الله وتحنن على الإنسان، ورغب الله أن آدم وحواء يعودان
إلى الحق والحياة. لأن الحق والحياة هما طبيعة إلهية واحدة، قائمة في
الله وتقوم بالله، إذ أن الحق والحياة هما صفة في الله، تخص الآب

^١ تك ٢: ١٧.

والابن. وهكذا تمّ القول: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»^٢.

ومعنى بذل الابن هو موته، وموت الابن هو مستحيل لأن الله لا يموت، لذلك تمت عملية التجسد للابن في الجسد الإنساني القابل للموت. وهكذا مات الابن على الصليب بالجسد، وبقي لاهوته حيّاً فيه. وهنا أمكن للإنسان بإيمانه بموت الابن جسدياً، أن يشترك في موت الابن بالإيمان. كما أن المسيح في نهاية حياته على الأرض تمكّن من الصلاة على خبز وخمر، وقَدَّسهما وجعل سرّاً أكلهما وشربهما يُقدّس من يأكل ويشرب منهما. وهكذا صارت بتقدّيس الخبز والخمر فرصة مذهلة للإنسان، أن الذي يؤمن ويأكل ويشرب منهما، يصير متحدّاً فيهما، أي في المسيح: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه»، وتكون «له حياة أبدية»، «لأن جسدي مأكلاً حقّ ودمي مشرباً حقّ»^٣.

وهكذا صار جسد الابن ودمه مدخلاً رسمياً للحياة الأبدية.

^٢ يو ٣: ١٦.

^٣ يو ٦: ٥٤-٥٦.

وهنا في هذه الآية أعلاه، يشهد الله بنفسه أنه أعطانا حياة أبدية في ابنه. وبولس الرسول إذ عَلَّمَ ذلك عَلَّمَ الحق واليقين، قال إنه لم يُعَدَّ هو الحي بل المسيح هو الحيُّ فيه^٤. وتمَّ عملياً قول الله إنه أعطانا حياة أبدية في ابنه.

ولكن المعروف أن الحياة الأبدية التي أعطانا الآب في ابنه، نالها الابن بعد الموت على الصليب، الذي قهر عليه الشيطان وظفر به^٥. فهي حياة أبدية خالية من أي سلطة للعدو علينا. أي أننا بالمسيح المصلوب عنا نلنا حياة النصر على الموت، وبالتالي على الخطيئة، مع نصره على الشيطان كأصل للخطيئة، وكسبب في موت الإنسان منذ البدء. ففي المسيح تكمن حياتنا ونصرتنا على الخطيئة والموت، ومصالحتنا مع الله، الأمور التي جعلتنا، ليس فقط ننال الحياة الأبدية، بل وميراث الابن الأزلي المحفوظ لنا في السموات.

١٠ يناير ٢٠٠٦

^٤ أنظر غل ٢: ٢٠.

^٥ أنظر كو ٢: ١٥.

«كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِدَ من الله»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٥ : ١

يلزم للقارئ أن يدرك من هو المسيح هنا، فالقديس يوحنا يرمي إلى بعيد، لأنه يقصد بالمسيح مسيًّا العهد القديم، الذي كان النطق باسمه رهيئاً، إذ هو شخص الله نفسه. بمعنى أن يوحنا الرسول يقول صراحة، إن "من يؤمن أن يسوع (المولود في بيت لحم، والمدعو يسوع الناصري) هو المسيح، فهو يؤمن بأنه هو هو الله". وهذا حقٌّ عين الحق. لذلك يكون أيُّ من يؤمن بيسوع أنه الله، يكون قد آمن بقوة الصليب والموت والقيامة وجلس الابن عن يمين الآب في المجد، الذي هو خلاصة العهد الجديد.

ولأن الآب والابن واحد^١ وهو الله، فتجسد الابن لم يُنقصه شيئاً من لاهوت الله. وكون الإنسان يؤمن أن يسوع هو المسيح، فهذا تحصيل حاصل. ولكن هذه الشهادة، أي هذا الإيمان،

^١ يو ١٠: ٣٠.

يكشف أن صاحبه ليس إنساناً عادياً بل هو إنسان يملك الحق ويعيش فيه. ولا يوجد من يملك الحق إلا الله أو من وُلِدَ من الله. فالله حقٌّ، والمولود من الله حقٌّ هو. وهذا يكشف لنا عظمة التجسد، الذي بالإيمان به والحياة فيه، يجعل كل من يؤمن به ويحيا فيه مولوداً من الله. فنحن المؤمنون بالمسيح أنه هو المسيح، أو المسيح، أولادُ الله. وكأولاد الله نحيا في المسيح والمسيح يحيا فينا. وكما يقول المسيح مخاطباً الآب: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد»^٢، فالمسيح هنا يجعلنا واحداً في الله، لا كأبناء فقط.

هذا هو الإيمان بالمسيح الذي جعلنا أولاد الله، وواحداً في الله. ارتفاع شاهق يُرهق الروح التقيّة، إذ ونحن على الأرض يجعلنا من سكان السماء، بل وجالسين مع المسيح عن يمين الآب. كل هذا بالإيمان، وبدون هذا الإيمان لا نساوي شيئاً.

فالمسيح، والإيمان بالمسيح، رفعنا من درجة عبيد إلى أبناء، ومن أبناء إلى ورثة ملكوت الله في المسيح، نعيش مع الآب والابن في ملكوته الأبدي. فقول الآية أعلاه: «من يؤمن أن يسوع هو

^٢ يو ١٧: ٢٣.

المسيح»، هو مفتاح سرّ لاهوت المسيحية الرهيب.

وقول الآية إنّنا نصير مولودين من الله، وراءه كمّ هائل من الأسرار، مما يجعلنا فوق البشر. فالتجنّس بجنس المسيح، الذي اتحدنا به عن إيمان وحب ومسرّة، يحنّفي وراء أنّنا صرنا مولودين من الله. فهذا القول يهزّ مشاعر النفس التقيّة، لأنّ الولادة من الله تعني أنّنا تجنّسنا بجنس الله، وارتفعنا من حضيض الأرض والخطية والموت، وصرنا سماويين في المسيح وبالمسيح لله.

فالذي يُمعن القول يصاب بالذهول، بالكلام من رسول قديس ومحبوب، ومشهود له بارتفاع باعه في اللاهوتيات، حتى سُمّيَ بيوحنا اللاهوتي!! فنحن نقرأ لأقدس قديس، امتلأ قلبه ولسانه بذرر الله الفائقة في القيمة والمعرفة والحب. لهذا نعتبر لاهوت يوحنا، يُستقى سقياً لكل قلب مفتوح لأسرار الله.

١٠ يناير ٢٠٠٦

«وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم بإيماننا»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٥ : ٤

المسيح غلب لنا العالم، فورثنا العالم مغلوباً. وها هو الآن يدعونا أن نغلب العالم بإيماننا. يقول الرب إننا بالإيمان نستطيع أن نعمل أي شيء^١. وحينما لعن الرب التينة فجفت في اليوم الثاني، لاحظ تلاميذه ذلك، فلما تعجبوا قال لهم إن كل شيء ممكن بالإيمان^٢، حتى أنه لو قلنا للجبل انتقل من هنا وانطرح في البحر يكون لنا. وقد استغل أحد ولاة مصر هذا الذي يقوله الرب، فألزم كبير القبط آئذ أن يعمل ذلك في جبل المقطم، الذي كان متاحماً للنيل. فطلب الآب البطريك مهلة، وصلى واطمأن أن الرب سيستجيب. وخرج مع الوالي ووقف بجوار الجبل، وجميع الشعب صاروا يصرخون كير ياليسون. وما كان من الآب البطريك إلا أن ضرب الجبل بعكازه، وقال سرّ يا مبارك. فسار جبل المقطم والبطريك وراءه بالعكاز، والوالي وكل الشعب. منظرٌ مهيب، وكانت له رعبة مخيفة، لأن الجبل كان يدخنٌ وحوله غبار كثيف، أربع

^١ أنظر مر ٩: ٢٣.

^٢ أنظر مر ١١: ٢٠-٢٤.

الوالي وكل الشعب. وسار الجبل وساروا وراءه في محفل رهيب، حتى استقرَّ في موضعه الحالي، إذ قال له الوالي المدعور كفى كفى. ودُوِّنت هذه الحادثة في تاريخ مصر، وصار لها تذكُّارٌ سنوي.

ففي الحقيقة إن المسيح وعد أولاده أنهم مهما سألوا فإنه يستجيب. وهنا يسألنا القديس يوحنا الرسول بدوره أن نغلب العالم بإيماننا. والمسألة تحتاج إلى شجاعة أدبية، وشخصية واثقة من نفسها حتى يكون لها ما تريد. يُحكى أن مدرسا أراد في الفصل أن يشرح ما هو الإيمان لتلاميذه، فأمسك بساعته الجميلة بسلسلتها المدلاة منها وقال للأولاد: من منكم يريد أن يأخذ هذه الساعة؟ فوجم التلاميذ وسكتوا مذهولين. وإذا بأحد الأولاد يرفع يده ويقول: أنا يا افندي، فقال له المدرس تعالٍ وخذها. فذهب وهو رابط الجأش ومدَّ يده وأخذها، وذهب إلى مقعده وجلس. فصاح التلاميذ: صحيح يا افندي؟ قال لهم: نعم صحيح، لأنه آمن وصدَّق. وهكذا يقول الرب: «إن كل ما طلبتم» باسمي آمنوا أن تأخذوه فيكون لكم^٣. درسٌ صغير ولكن فعلٌ كبير!

هكذا استلمت الكنيسة هذا الإيمان عبر الدهور، فهي تصلِّي على المرضى فيُشفون^٤، وذلك بمسحة الزيت ورشم الصليب على

^٣ يو ٢٣: ١٦ ومر ٢٤: ١١.

^٤ أنظر مر ١٦: ١٨.

الجبهة واليدين. وعندنا في الإنجيل قصة المرأة الكنعانية التي من لبنان، حينما مرَّ المسيح وتلاميذه على قريتها، فخرجت تجري وراء المسيح: «يا ابن داود، يا ابن داود»، وتركها المسيح تجري وراءه وتصيح. فقال له تلاميذه رُدَّ على هذه المرأة لأنها تقلقنا. فخطبها المسيح: «ماذا تريدين؟» فقالت ابنتي مريضة، فقد ربطها الشيطان وهي مطروحة تصرخ النهار كله. فردَّ عليها المسيح: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب؟». وإزاء هذا الجواب الصعب لم تُردَّ المرأة أن تسكت، فطلَّت تصيح: ”يا سيدي يا سيدي، فإن الكلاب تأكل أيضاً من الفتات الذي يسقط من البنين“. فردَّ عليها المسيح: «يا امرأة، عظيم إيمانك»، لم أر مثله ولا في كل إسرائيل، اذهبي فإن ابنتك قد شُفيت. هذه عيّنة من الإيمان الذي واجهه المسيح واستحسنه.

١١ يناير ٢٠٠٦

^٥ مر ٢٧: ٧.

^٦ مت ١٥: ٢٨.

«أنتم من الله، أيها الأولاد، وقد غلبتموهم (الأرواح التي ضد المسيح) لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٤ : ٤

كشفٌ خطير مخفي عن عيوننا، ولكن رآه القديس يوحنا الرسول وامتدحه، أن الذي فينا أعظم من الذي في العالم. آه يا أحبائي لو آمنتُم بذلك وتأكدتم منه، فنحن نملك المسيح بالإيمان الذي فينا. ومن هو المسيح؟؟

المسيح هو الحياة الأبدية، «أنا هو... الحياة»، والذي يملك الإيمان الحيّ بالمسيح يملك المسيح، أي تكون له الحياة الأبدية. ووزن الحياة الأبدية في هذا الدهر وفي هذا العالم، الذي دُفِعَ ليد الشيطان، شيء مهول جداً، فهو يُظهر مقارنة صحيحة وحقيقية بين الموت والحياة. ونحن نقول هذا، يا إخوة، وبرهان صدق هذا القول قائمٌ نراه بأعين قلوبنا، فالذين آمنوا بالمسيح من القلب، غلبوا العالم وعبروا أمام عيوننا ومسامعنا. فأباؤنا القديسون يملأون بسيرهم السنكسار، وكتيّبات ذكراهم وأسماؤهم نردها كل يوم

^١ يو ١٤: ٦.

في قداساتنا وصلواتنا الكنسية. وهي تملأُ أَسْماء كل الشعب. فنحن أبناء أبرارٍ وقديسين ملأتُ أَسْماءهم السموات قبل أن تملأُ أَسْماءنا.

نعم، نحن بالمسيح وفي المسيح ليس فقط نغلب العالم، بل ونغلب أيضاً رئيس هذا العالم الضال والمُضِل. وعندما يُذكّرنا القديس يوحنا الرسول بأن «الذي فينا أعظم من الذي في العالم»، فهو يشير إلى المسيح نفسه وكأنه يقول: بي تغلبون، وقد غلبتم، وستغلبون العالم. والمسيح يقول ذلك وهو عالم أن وجوده فينا يرفعنا من التراب ليُجلسنا مع المنتصرين في السماء، بل ويجعلنا «ملوكاً وكهنة لله أبيه»^٢.

ولا ننسى، أيها الأحباء، أن المسيح الذي يقول هذا، وهو فعلاً حيٌّ فينا بروحه وقيامته ولاهوته، هو الذي ظفر بالشيطان عدوَّنا الأول مع كل أعوانه^٣، ذاك الذي دوَّخ أجيال آبائنا قديماً وحديثاً. فبالمسيح نُحسب غالبين ليس للعالم فقط، بل ورئيس العالم وكل شروره وأباطيله. فإن كان الشيطان يمثل العالم، فنحن نمثل المسيح والحياة الأبدية، والمقارنة مستحيلة لأنها بين الموت والحياة. لأن

^٢ رؤ ١: ٦.

^٣ أنظر كو ١٥: ٢.

٢١م - مع المسيح (٤)

ماذا في العالم إلاَّ الفناء والقضاء المحتوم، والذي فينا «رب الأرباب وملك الملوك»^٤. فمجرد أن يقول القديس يوحنا إن الذي فينا أعظم من الذي في العالم، فهذا يُحسَب على هامش ما وضعه المسيح فينا وأهداه لنا. فهو يذكِّرنا بما كان يجب أن نقوله نحن كما قال بولس إن المسيح يحيا فيه^٥. وبمجرد الإيمان بالمسيح نُحسب أننا ولِدنا من الله والله نعيش، نحيا في محبته ونفتخر بمعيَّته. والحقيقة، يا إخوة، أن القديس يوحنا بقوله هذا إنما يذكِّرنا بما عمله المسيح فينا ولنا، فنحن في أنفسنا لسنا أعظم من العالم، بل ونُحسَب لا شيء، والمسيح هو الذي جعل منا ما هو أعظم من العالم ورئيس هذا العالم. فنحن نفتخر على كل العالم، بل وملوك العالم، بأننا أولاد الله وورثة عهد المسيح في السماوات. فالافتخار لنا جائز فقط بالمسيح وفيه، ولكن نحن أحقر من أن يذكرنا العالم أو نُحسَب شيئاً فيه.

١١ يناير ٢٠٠٦

^٤ رؤ ١٧: ١٤.

^٥ غل ٢: ٢٠.

«أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٣ : ١

لم يُسمع قط أن إنساناً يُدعى وَلَدَ الله، من قبل أن يصفه القديس يوحنا في إنجيله قائلاً إن الله أعطانا سلطاناً حتى نُدعى «أولاد الله»^١. فنحن أولاد الله بالتبني يسوع المسيح، الذي باركنا الله فيه بكل بركة روحية في السموات^٢. فمن ناحية الآب السماوي، كانت لنا بركة عظيمة أن نُدعى أولاد الله. ومن ناحية المسيح ابن الله، فقد اختارنا الآب فيه بالتبني لنفسه حسب مسرة مشيئته، «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»^٣.

فإن كان بهذه أو بتلك، فهذا عمل محبة من الآب، فنحن أبناء محبة الآب. وهكذا صارت بنوتنا للآب هي عمل محبة. ولكن العجيب حقاً، أن الآب اختارنا في المسيح من قبل تأسيس العالم.

^١ يو ١: ١٢.

^٢ أنظر أف ١: ٣-٥.

^٣ أف ١: ٦.

فواضح من هذا أن اقتحام الشيطان لهذه الصلة التي تربطنا بالآب في شخص آدم، وإغوائه بحيلة الحيَّة وحواء، كان ضربة موجَّهة للبنوة، فانتزعها الشيطان وأسقط آدم في العصيان، لثُرفَع عنه البنوَّة، ويهيم متغرباً عن الله مئات الدهور السالفة.

ولكن بالرغم من عصيان آدم وفقده للبنوَّة، ظلَّ الله يترصَّده حتى أكمل عقوبة العصيان. فأرسل له ابنه الوحيد المحبوب، ليردَّ إليه البنوَّة المختارة في المسيح. فظهرت محبة الله لبني آدم بعد جفاء كل الدهور. وبكل جلاء وإعلان، وَضَحَت المحبة التي يَكُنُّها الله لبني آدم، عندما «بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (في المسيح)»^٤.

فمحبة الآب للإنسان كانت من القوة والتأصل، حتى أنها غالبت الأزمنة، كل الأزمنة. فغلبت وانسكبت على الإنسان في شخص ابنه الوحيد، الذي أخذنا صورة بنوِّته وصورة أبديته، لنحيا به ويحيا هو فينا: «وأكون أنا فيهم»^٥.

ويتحتَّم علينا أن نلقي نظرة على بنوة المسيح للآب، لأنها لا

^٤ يو ١٦: ٣.

^٥ يو ١٧: ٢٦.

تخصُّ بشراً، بل تخص طبيعة إلهية، ونحن أخذناها هي كما هي. لذلك فيوحنا نفسه يتعجب ويقول «انظروا»، أي التفتوا، «أَيَّة محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله». فقد انتقلنا بهذا الوضع من أولاد آدم إلى أولاد الله. والبون شاسع جداً، كما تعلو السموات عن الأرض، أو الموت عن الحياة.

فكوننا دعينا أولاد الله، فهذا يعني أن الآب والمسيح ضرب العدو، الذي كنا مستعبدين له، ضربة أسكنته بحيرة النار. لهذا فالقديس يوحنا يرى بعيني روحه، الدرجة الكبرى التي رفعنا إليها الآب، بإعطائنا التبني، إذ بها أورثنا ميراث الابن في المجد. فإن كان القديس يوحنا قد تأهَّل لهذه النظرة، فهو يدعونا إلى هذه النظرة عينها. وإلاً فلماذا أعطانا الله أن نُدعى أبناء الله، إلاً لكي نفتخر بهذه البنوة على العالمين، ونفرح فرحاً أبدياً لا يمكن أن يُنزع منا. وحينما يقول القديس يوحنا «أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله»، فيلزم أن ننتبه إلى أن هذا السلطان لقبٌ رئاسيٌ يخص درجتهم في السماء أعلى من الملائكة، لأن السلاطين أعلى رتبة من الملائكة، وربما يقصد أن تكون رئاستهم فوق مستوى العدو.

١١ يناير ٢٠٠٦

«أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٣ : ٢

القديس يوحنا يؤكد أننا نحن الآن أولاد الله، ولكن «لم يُظهر بعد ماذا سنكون». ذلك بحسب ما صرَّح به الإنجيل، أننا بحسب الإيمان الذي تقبلناه نُعتَبَر الآن أننا أولاد الله، لأننا تقبلنا المسيح، «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه، الذين وُلِدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله (وُلِدوا)»^١. ولادة روحية لأن «المولود من الجسد جسدٌ هو والمولود من الروح هو روح»^٢. والولادة الروحية تتم الآن بالمعمودية المقدسة في الكنيسة، على يد كاهن، حيث يتم فيها حلول الروح القدس على المعمَّد.

^١ يو ١: ١٢، ١٣.
^٢ يو ٦: ٣.

ويعود القديس يوحنا ويخبرنا، أنه بحسب إيماننا المسيحي، لا نعرف ماذا سنكون بعد ذلك، أي في السماء. ولكن الشيء الجديد الذي يعلنه لأول مرة، أنه حينما يُظهر المسيح في آخر الدهور في مجيئه الأخير والمهيب، سُنُسْتَعْلَن نحن ظاهرين معه، ونكون مثله تماماً. لأن المسيح الآن وفي هذا الدهر، محسوب أنه يحيا فينا ونحن نحيا فيه، ولكن في الدهر الآتي سينكشف معنى أنه يحيا فينا ونحن نحيا فيه. إذ لما يُظهر المسيح، أي يُسْتَعْلَن، فسُنُسْتَعْلَن نحن أيضاً فيه. والجديد الذي يعلنه القديس يوحنا هنا، هو أننا سنكون مثله، لأننا سنراه في ملء استعلانته الذي يشملنا بالضرورة. ويتضح علناً ما نقوله الآن أن المسيح فينا ونحن فيه، إذ سنكشف الصورة كيف نكون فيه وهو فينا. ويؤكد هذا القديس يوحنا، بأن يزيد القول أننا سنراه كما هو في علاقته معنا.

وقصارى القول أن ما نقوله الآن من جهة الإيمان بالمسيح، سِيرَى فوق بالعيان الروحي الخالص، الذي يتعذر الآن وصفه باليد والقلم أو بالعين الجسدية.

وبهذا الإعلان الذي يصفه القديس يوحنا، يمتد خيالنا لإدراك أن مفردات إيماننا بالمسيح الآن، ستصبح حقائق إلهية تُدْرَك في حينها، إنما يُعَبَّر عنها الآن بالكلمات المكتوبة بحبر وورق، ولكنها أجماد

سماوية يدركها السماويون، ويسعدون بها أيما إسعاد. فإنجيلنا يُقرأ الآن بالعين، ويُدرَك بالتصوُّر، ولكنه يُعاش فوق بالروح مُستعلنًا في بهاء مجده. ويوحنا الرسول يجاهد هنا ليُصور لنا ماذا ينتظرنا فوق، وإن كان يُستعلن له، فهو لنا لا يزيد عن إعلان. وهذه محاولة منه لإسعادنا ونحن في غربة قاسية، لا ندرك منها إلا أشكال كلمات وتصوُّرات، منتظرين بالصبر ماذا سيكون.

ويزيد القديس يوحنا على هذا، أننا بمجرد أن نعلم ذلك، ونتوقعه بالصبر والرجاء، فهذا يكفي أن ينقل سيرتنا كلها من لوثة العالم، إلى طهارة أولاد الله المستحقين ميراث هذه الأجماد بالحق وليس بالكلام فقط. «كل من عنده هذا الرجاء به يطهَّر نفسه»^٣.

١٢ يناير ٢٠٠٦

^٣ ١ يو ٣: ٣.

«الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ١ : ٢

القديس يوحنا يخبرنا بما رأى وشاهد ولمس بيديه، متكلماً عن المسيح الرب من السماء. وهذا التعبير يفيد حالة استعلان كلي، لا بالبصيرة النافذة فقط، بل بالمشاهدة بالعين واللمس باليد. شيء جديد على مفهوم الإنسان، لأنه يتكلم عن الله الذي لا يُرى ولا يُمسّ، ولا يُشاهد بالعين. بل ويصف المسيح أنه هو «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت (للسل)».

هذه هي معجزة التجسد، التي صال فيها يوحنا وجال، وهي معجزة الدهور والأجيال، ومعجزة الآباء والأنبياء والعهد القديم بأكمله. والقديس يوحنا ينظر إلى التجسد من جميع زواياه، مما يُحير أقوى العقول ويتخطى كل الفلسفات والنبوات. إذ كيف تُرى وتُشاهد الحياة الأبدية؟ وهي ليست من هذا الدهر، ولا تقع في مرمى عقل أو تصور. وعندما تقول إن الحياة أُظهرت، فكأنك تقول إن الله نزل من السماء وجلس مع الناس. ومعروف

بالتحديد والقطع، أن اللاهوت لا يُرى ولا يُشاهد ولا يُلمَس باليد، والحياة الأبدية هي حياة الله عزَّ وجلَّ. وإن حدث وأُظهرت الحياة الأبدية، يكون معناها مباشرة أن الله ظهر، وهذا ما قصده القديس يوحنا!!!

فالله ظهر في الجسد، وأي جسد؟ جسد إنسان. فإن قبلنا القول، وآمنا بما رآه يوحنا الرسول، نكون بالتالي وبالضرورة قد قبلنا الحياة الأبدية التي أُظهرت له. وشهادة يوحنا الرسول تُدعمها شهادة اثني عشر رسولاً. والسؤال هنا، كيف بلغ الرسل جميعاً إلى هذه الشهادة؟ إنها خبرة ثلاث سنوات، والمسيح يعيش بينهم، يأكل وينام ويعظ ويصلي، ويتراءى بالروح من حين إلى حين. فهي شهادة تدعمها حياة في ملء نعمتها ولاهوتها. أما كونهم رأوه وهو ينفصل عنهم ويصعد حياً إلى السماء، ولمَّا كانوا مذهولين، ظهر لهم الملاك وقال لهم: لماذا تتعجبون كون المسيح يصعد إلى السماء أمامكم، فهو هكذا سيأتي أيضاً من السماء وترونه^١.

وبعد الصعود، أرسل لهم الروح القدس من عند الآب حسب

^١ أنظر أع ١: ٩-١١.

وعده لهم، وملاهم من كل معرفة وفهم، وفتح بصيرتهم ليفهموا الكتب، أي الإنجيل، ويعمل بهم وفيهم معجزات إلهية لا يطاقها نبي. ولما شدد إيمانهم أرسلهم يبشرون بالمسيح وبالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لهم. وملاؤا كل الأقطار بإيمان المسيح وتعليمه، وعمّدوا الأمم وشفوا أمراضهم، وما شاهدوه ولمسوه أخبروا به العالم كله.

والقديس يوحنا سجّل للمسيح إنجيله ورسالته المملوءة بالروح والنعمة الصادقة، التي لا يزال كل علماء الدهور وأساقفة الكنيسة يتتلمذون عليها، ويقودون بها شعوبهم إلى ينابيع المسيح الحيّة.

ونحن شربنا مع الشاربين، وكرزنا مع الكارزين، وشهدنا مع الشاهدين بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا.

١٢ يناير ٢٠٠٦

«وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح،
ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ١ : ٣، ٤

القديس يوحنا يتكلم عن شركة الرسل التي صارت مع الآب والابن يسوع المسيح. هذه الشركة تكونت أولاً مع المسيح، ولم نكن البادئين بها، ولكن بتجسد المسيح في جسد بشري، أدخلنا المسيح في شركة حياة معه. لأن الجسد الذي أخذه وتجسد فيه، يُحسب أنه جسد البشرية عامة دون تخصيص، لأنه تجسد من الروح القدس وعذراء قديسة دون رجل. فأصبح الإنسان محسوباً - بصفة عامة - أختاً للمسيح: «أخبر باسمك إخوتي»، والمسيح أختاً «بين إخوة كثيرين»^٢، أو في الحقيقة كل البشرية. الله أبوه الوحيد، وأمه عذراء قديسة بلا زوج. لذلك أصبحت شركة البشرية في الابن، هي شركة في الآب بالضرورة. وعبر المسيح عن

^١ عب ٢: ١٢.

^٢ رو ٨: ٢٩.

ذلك بقوله للآب: «أنا فيهم وأنت في»^٣، فأصبحنا في صميم شركة الآب والابن بدرجة عالية جداً، يقول عنها المسيح إننا صرنا واحداً، الآب في الابن والابن فينا^٤.

هذا الزخم^٥ الروحي منشؤه التجسد: «الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى لملائكة»^٦، صعد إلى السماء. والسر في التجسد هو أن الله أحب الإنسان وصمم أن يرفعه إليه: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»^٧. فمحبته الله للإنسان أزلية هي: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمجد مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»^٨. هذه سيمفونية حب فائق على أي تصور

^٣ يو ١٧: ٢٣.

^٤ يو ١٧: ٢٣.

^٥ الزخم أي القوة والدفع الشديد.

^٦ ١ تي ٣: ١٦.

^٧ يو ٣: ١٦.

^٨ أف ١: ٣-٦.

بشري. هذا الحب الأبوي العجيب في القدرة والقوة، أبطل كل ما عاناه الإنسان في العهد القديم، وعوّض دموع الحزني التي عاشها الإنسان كل الدهور السالفة، سكب الله عليه من حبه الأبوي ما رفع عنه جرح الخطية ورائحة الموت العفنة، ورفع بصعود ابنه الغالب للعالم والظافر بعدو البشرية، ليُجلسه عن يمينه في السموات.

وصدق القديس يوحنا عندما قال عن الشركة التي صارت لنا في الآب والابن، إنها بشارة مفرحة لقلب الإنسان ليس من بعدها فرح، دعاه الفرح الكامل الذي وُهب مرة في هذه الشركة ليدوم إلى الأبد، ولا شيء ولا قوة تستطيع أن تنزعه منا.

أيها الأحباء، إن بشارة القديس يوحنا هذه، فرّحت قلوب آبائنا وأجدادنا، إذ صيّرهم عائلة سماوية، أو كما يقول الكتاب: «أهل بيت الله»^٩. فهو فرح ورثناه من المسيح والرسل، ككنز محفوظ لنا في كل كنيسة وكل مسيحي، قادر أن يوازن كل عوار العهد القديم، ويمسح كل دمة من عين كل إنسان. لأننا صرنا بهذه الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، خليفة جديدة سماوية،

^٩ أف ٢: ١٩.

مركزها الله نفسه، ورئيس إيماننا وعظيم خلاصنا يسوع المسيح. فالملائكة أدركت يوم ميلاد المسيح هذه النعمة العظمى التي صارت للإنسان، فرغموا بالمجد لله الذي تمجد في خليقته البشرية، وبالسلام على الأرض بعد لعنة دامت دهوراً بأكملها، تُخرج للإنسان غضبها عليه شوكاً وحسكاً عوض عرق جبينه^{١٠}، لتكمل سخطها عليه.

فشركة الإنسان في الآب والابن، رفعت عنه كل غضب الخليفة وحيواناتها. وسالته بعد قطيعة وقتال ومطاردة، بل وسالته الطبيعة وأعطته قيادتها، تمهيداً لفك لعنتها بظهور المسيح وظهورنا معه.

١٢ يناير ٢٠٠٦

^{١٠} أنظر تك ٣: ١٧-١٩.

«يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة خطايانا، ليس خطايانا فقط بل خطايا كل العالم أيضاً»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٢ : ١، ٢

أولاد الله، بحسب القديس يوحنا، لا يُخطئون^١. وطبعاً هو يتكلم هنا عن الخطيئة الإرادية، لا عن هفوات العين واللسان، فإنها ولو أنها تُحسب خطية، ولكن يعطينا الله الانتباه اللازم حتى نعتذر عنها. ولكن إذا حدث وأخطأنا بإرادتنا، فهذه خطية لا تُغْتَفَر إلا بالاعتراف. فحينما نعتزف بخطايانا الإرادية، التي نسميها عمداً، على يد كاهن أو إنسان قديس، نشعر في الحال أنها همٌّ زال من الإحساس والوعي. والمعروف أن المسيح بنفسه يتسمّع لاعتراقاتنا، وهو الذي يُطَيِّب القلب والضمير.

لأن من وظائف المسيح أنه شفيع لدى الآب. فالخطية تُحسب

^١ ١ يوحنا ٩: ٣ و ١٨: ١.

خطية لدى الآب، ولكن الابن يتولَّى الشفاعة في ضعفاتنا وسلوكنا السليبي حتى لا يُحسَب لنا. وشفاعة المسيح مستمدة من الصليب، فالمسيح صُلبَ مرة واحدة، ولكن أعمال الله دائمة وأبدية. وبهذا يستمر عمل الصليب، وتستمر شفاعة المسيح التي نالها بآلام الصليب دائمة ومستمرة، وكأنه يُصلَّب في كل لحظة يعترف فيها الإنسان بتوجُّع عن خطاياهم. لأن الخطايا لا تُغفَر بالفم، وإنما تُغفَر بالدم، فلا تُغفَر الخطية إلا «بسفك دم»^٢. وكان في العهد القديم يُقدَّم عن كل خطية ذبيحة خروف أو ماعز أو ثور، بحسب قياس العهد القديم. ولكن في العهد الجديد حُسِبَت ذبيحة المسيح كفارة لكل خطايا العالم، لكل من يؤمن بدم المسيح. ولأن دم المسيح قدَّم «بروح أزلي»^٣، أصبح مفعول دم المسيح ماثلاً أمام الآب على الدوام، يشفع في الخطاة ويكفِّر عن خطاياهم. ولكن دم المسيح لا يعمل إلا بالاعتراف بالخطية، وبدون الاعتراف بالخطية لا تُغفَر الخطية.

فالاعتراف بالخطية في العهد القديم كان يتم بأن واحد مع ذبح ذبيحة الخطية. لذلك فذبيحة المسيح قائمة ودائمة لكل من يعترف

^٢ عب ٩: ٢٢.

^٣ عب ٩: ١٤.

بخطاياها. وكأن الدم المسفوك على الصليب يصبح دمًا حقيقياً، وكأنه مسفوك حالاً بسخونته. ومرة أخرى نقول إن لحظة صليب المسيح آنية زمانية، تغطي كل الأزمان والدهور، تفعل فعلها كما كان بدون توقف أو انقطاع. هكذا أعمال المسيح الخلاصية، ليست مقصورة على زمان حدوثها، بل قد ملأت الأزمان كما يمتلئ الزمان كله بلاهوت المسيح. هنا سرُّ الصليب وقوته الفائقة على كل تصوّر الإنسان.

والإنسان الذي يعترف بخطاياها، يعترف بها على أساس أن الصليب قائم ودم المسيح مسفوك عليه، إذ لا بد أن تتم مقولة الغفران إن «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة»^٤. هنا طول الزمان وقصره لا دخل له في الاعتراف والمغفرة.

وحينما يزيد القديس يوحنا قائلاً: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم»^٥. فأمانته هنا هي أمانته على إرسالية الآب له «ليخلص ما قد هلك»^٦، ويُطهَّر مَنْ تدنَّس بدنس الشيطان والعالم. وكونه "عادل"، يعني أنه لا

^٤ عب ٩: ٢٢.

^٥ يو ١: ٩.

^٦ لو ١٩: ١٠.

يمكن أن يتخلّى عن رسالته في الغفران والتطهير، ويستحيل أن
يتركنا لندّان.

١٢ يناير ٢٠٠٦



«لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٢ : ١٦، ١٧

هنا يختصر القديس يوحنا العالم، ويجمع كل ما فيه في سطر واحد! هذا العالم الذي ضيَّع ملايين الأجيال، وأهلك أقوى وأجمل الرجال والنساء، ودفن سِيرَهم مع أجسادهم تحت التراب، يصفه القديس يوحنا في كلمتين، شهوة الجسد وشهوة العيون! وكقول الأستاذ الكبير مكرم عبيد إن كل من انتهى فقد انتهى! نعم. هذا حق. فأين شهوات الأجساد، وأين شهوات العيون التي لكل الأجيال السالفة، التي أحبت العالم وتركت الحق والله؟ كلها تحوَّلت إلى دود وتراب. فهل ينتصح شباب اليوم، فلا يسلموا أجسادهم وعيونهم لشهوات العالم الفاني؟

إليكم يا من تطلبون المزيد في المرتبات ورأس المال، وتسلق الدرجات وبناء المخازن الكبيرة لتسع مخزوناتكم. يقول لكم

المسيح: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تُزاد لكم»^١. ويقول أيضاً لا يمكن أن تخدموا سيدين، «الله والمال»^٢، فإن طلبتم الواحد تحتم عليكم أن تتركوا الثاني.

المال سيدّ قاس، لا يسمح قط لمن يطلبه أن يطلب معه الله. تقول: ولماذا خلقه الله إذن؟ الجواب يقوله القديس يوحنا: «ليس من الآب». ومعروف جيداً أن العالم بقاراته وجباله وبحاره وأنهاره أُعطي للشيطان^٣، وإنسان الله عليه أن يعبره دون التوقف عند جماله، لأن جماله من تزويق الشيطان حتى يجذب إليه الجهلاء. والدليل على ذلك أن جماله يتغيّر كل يوم، ولا يبقى فيه حال على حال. هل سمعتم بالتسونامي؟ كيف أغرق البحر مئات الألوف من الناس، وخاصة أهل السياحة والفرجة.

وهكذا سيودّع العالم كل عُشّاقه ومحبيه بضربات مروّعة يكيلها، من زلازل وبراكين، وأوبئة وأمراض مستعصية، والشمس تظلم والقمر لا يُعطي ضوءه، ونجوم السموات تتساقط ويكون فرع ورعب يحيط بالعالم كله. ويطلب الناس الموت فلا يجدونه^٤.

^١ مت ٦: ٣٣.

^٢ مت ٦: ٢٤.

^٣ لو ٤: ٦.

^٤ أنظر مت ٢٤: ٢٩ ورؤ ٩: ٦.

وهكذا ينتهي جمال الطبيعة وعشاق السياحة، التي أصبحت بضاعة الحاضر المطلوبة.

وما العمل أيها الإخوة؟ إن كان هذا هو خط العالم وعشاقه، الذي ينتهي به وتنتهي معه كل آمال الناس ورجائهم، في حياة مترفة ومقتنيات من كل صنف حتى لا يبقى شيء لم يقتنوه.

يقول القديس يوحنا: أنا أريكم طريقاً أفضل، كل من سلكه بلغ كل آماله ورجائه ومشتهاه، وهو العمل بحسب مشيئة الله وخوفه، واقتناء سيرة القناعة في كل شيء، وكل ما يُرضي الله من قول وعمل. لأن العالم سيمضي وكل شهواته، وكل ما تشتهيه العيون يتغير ويتبدل، والجسد يمرض والعيون تذبل، ويكاد الإنسان لا يرى العالم إلا ظلالاً من وراء عيون كلت عن النظر، ونفوس مرضت وما عادت تشتهي ولا تنظر. فاسمع يا صديقي نصيحة الإنجيل:

«وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد»^٥.

١٢ يناير ٢٠٠٦

^٥ ١يو ٢: ١٧.

«والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أظهر، يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٢ : ٢٨

هذه الوصية التي يقولها القديس يوحنا، قالها المسيح نفسه على عشاء سرّ الإفخارستيا، حينما قدّس الخبز والخمر. وأعطى تلاميذه الخبز والخمر، موضحاً أن من يأكل جسده ويشرب دمه يثبت في المسيح والمسيح يثبت فيه.^١ ثم أعطى هذه الوصية خالصة قائلاً: «اثبتوا في وأنا (أثبت) فيكم»^٢، كشرط أساسي عند طلب أي شيء. وقد شبّه هذا الثبوت بثبوتيه في الآب: «كما أنا ثابت في الآب والآب ثابت في»^٣، هكذا «اثبتوا في وأنا فيكم».

وفي موضع آخر أوضح المسيح هذا الثبوت أنه دخول في الكيان، «أنا في الآب وأنتم في لنكون إلى واحد»^٤. هذا الثبوت

^١ يو ٦: ٥٦.

^٢ يو ١٥: ٤.

^٣ أنظر يو ١٥: ١٠.

^٤ أنظر يو ١٤: ٢٠ و ١٧: ٢٣.

هو قبول المسيح والآب بالإيمان وثقة في وجوده في الكيان نفسه. مثل قوله: «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً»^٥. هنا وجود المسيح الحيّ في كيان المؤمن يتم بالإيمان الصادق، وبالاشتراك المتواتر في الجسد والدم. أما وجود الابن في الآب، فهي عقيدة إيمانية «أنا في الآب والآب في»^٦، تنتهي بوحدانية كيانية أبدية.

وهنا يتوسل القديس يوحنا أن ننتبه جداً لهذه الوصية، لأن الثبوت المتبادل مع المسيح، يعطي حالة شركة تنتهي إلى وحدانية. هذه الشركة هي شركة وجود وكيان واحد وحب صادق شديد، تعطينا منذ الآن ثقة شخصية حبيّة، تغلغل كياننا فتقربنا منه، وتعطينا الشجاعة الإيمانية عند ظهوره، إذ يجذبنا حبنا إليه بثقة ويقين الحب. أما الذين يعدمون هذا الثبوت فيه، فيعترتهم الخوف والخل عند ظهوره واستعلانه، لأنهم لم يؤسسوا لهم حباً ومودة وثقة فيه.

علماً بأن المسيح يحتفظ لكل منا بالحب والمودة الصادقة. فبمجرد ظهور المسيح لنا من الآن، نكتشف سرّ هذه المحبة الصادقة فيه. تعترف الأخت "فيبي" المصرية المنتصرة، أنها عندما ظهر

^٥ يو ١٥: ٥٠.
^٦ يو ١٤: ١٠.

لها وتحدث معها، تعجّبت جداً من حبه التلقائي لها، حتى سألت: "لماذا أنت تحبني هكذا؟"، فكانت تنسكب الدموع من عينيه بغزارة أدهشت هذه المنتصرة. وها هي الآن في الخارج تشهد للمسيح بقوة وحماس، ولا تزال تتعجب من سرّ حبه لها وهي لم تعمل شيئاً، إلاّ أنّها تعذّبت كثيراً جداً من أجل اسمه.

فمحنة المسيح لنا ليست مفتعلة بل صادقة ومذهلة، لأننا نعجز عن أن نبادله هذه المحبة الإلهية الخالصة. فكل الذين آمنوا به وتعرّفوا عليه، أحبوه حباً قلبياً خالصاً، ظلّوا يتحدثون به طيلة حياتهم.

وإن أردنا أن نتعرّف على سرّ محبته لنا، علينا أن نتذكّر كم تألم وكم تعذّب، ودُقّت المسامير في يديه ورجليه، وطُعن في جنبه بالحربة ومات على الصليب. من أجل مَنْ؟ من أجلك ومن أجلي، وكل من اعترف به وبآلامه وصلبيه وموته. فهو يلزم ويتحمّ أن يحتل مكانه في قلبنا كأخ البشرية الوحيد، الفادي الذي ذبح لتُغفر خطايانا، وصعد على الصليب وذاق عطش الموت، ومات لأجلك ولأجلي. فبمجرد أن نؤمن به ونناديه، يأتي إلينا وجروحه على يديه ورجليه، ليقول لك: تأمل أيها الحبيب كم تألمت من أجلك.

١٣ يناير ٢٠٠٦

«إن علمتم أنه بار هو،
فأعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه»

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى ٢ : ٢٩

البار هو من اعتزل عن أعمال هذه الدنيا، وعاش بتقوى وبر^١
كل أيامه. ونحن لو فحصنا اليوم عن إنسان بار، لتوقفنا مذهولين،
إذ ليس من يصنع البر ليس «ولا واحد»، كما يقول الإنجيل^٢!
فكيف إذن نسمع عن قديسين عاشوا وماتوا أبراراً، ورصّعوا سيرة
المسيحية بلآلئ أسمائهم التي كُتبت بالنور؟

الإنسان عرف البر أول ما عرف، عن المسيح وسيرته الزكية!
«من منكم يكتني على خطية (واحدة فعلتها)»^٣. ويقول المسيح:
«أنا لا أقبل شهادة من إنسان»^٤، «أبي هو الذي يمجدي»^٥. نعم

^١ رو ١٠: ٣.

^٢ يو ٤٦: ٨.

^٣ يو ٣٤: ٥.

^٤ يو ٥٤: ٨.

هذا حق، وقد جاء صوت من السماء من عند الآب يقول مرّة: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا»^٥. ومرّة سألّه المسيح: «مَجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم»^٦، فجاء نفس الصوت من الآب السمائي: «مَجَّدت وأُجِّد أيضاً»^٧.

هذه هي شهادة برّ المسيح كما قدمتها السماء. فقول القديس يوحنا قد تمّ بخدافيه، إذ شهدت السماء وشهد الرسل تلاميذ الرب، بأنه بار وقُدوس. والبر والقداسة التي للمسيح يلزم أن نفهم أنّها طبيعته التي أَشْرَكْنَا فيها عن حب ومسرة. فنحن أبرار بالمسيح، وقديسون فيه وبه. فيا لَشَقْوَةِ البشرية التي عاشت دهورها السابقة كخلقة ساقطة، لم تحتفظ بوجودها أمام الله، محتقرة ومرذولة من جهة أعمالها وسلوكها أمام الله.

أما الآن فَنَعْمًا للبشرية بعريسها الأوحد، الذي قبلته السماء كأقدس وأبرّ من عاش على الأرض، وارتفع إلى السماء في مجده

^٥ مت ١٧: ٥.

^٦ يو ١٧: ٥.

^٧ يو ١٢: ٢٨.

وبرّه وقداسته، ليعدّ لنا مكاناً عند الآب^٨.

من هنا دخل البر العالم، ودخلت القداسة لما أفاضها المسيح علينا بلا كيل. ومرة يقول الإنجيل بفم الله: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس»^٩. فالقداسة صارت وصية، والبر صار سيرة جديدة، تملأ الكنيسة وتاريخها المجيد، حتى امتلأ سنكسار الكنيسة بمئات القديسين والأبرار الذين كرّموا اسم المسيح في حياتهم. وهكذا دخل البر والقداسة مجال الإنسان الجديد، الذي امتلأ بروح الله القدوس، وعمل وخدم وبشّر فامتلأت الكنائس والبيوت بأتقياء الرب القديسين الأبرار. ويقول القديس يوحنا عن حق وصدق، إن كل من يصنع البر فهو ابن المسيح البار الوحيد.

هكذا ارتقت البشرية وصار لها منفذٌ يؤدّي إلى السماء، حيث يُجلّس الإنسان كَبَّارٌ عن يمين المسيح، ينعم بمجده وبر قداسته. والبر الآن باب مفتوح لكل من انتهى أن يكون باراً أمام الله. فحينما قال المسيح: «أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون نقياً (يتقدّس) لكم»^{١٠}، هكذا فتح المسيح باب البر

^٨ يو ١٤: ٢.

^٩ ١ بط ١: ١٦، لا ١٩: ٢.

^{١٠} لو ١١: ٤١.

والقداسة، ليقنتيها الإنسان من تعبهِ وعرق جبينهِ. فمن هو الإنسان الحكيم في هذا الدهر، إلاّ الذي جلس مع نفسه ومع ربهِ، يعمل لحساب آخرته ورضا الله، وقرر أن يُعطي الله مما أعطاه لإخوة الرب، الذين يعيشون هذه الأيام على هامش الحياة. فلو علم القارئ أن متوسط دخل الفقير في اليوم لا يزيد عن ثمن رغيف خبز حاف، يأكله ويشكر الله، ويقوم يجاهد على اسم الله، ولا شيء في البيت إلاّ الأفواه التي تنتظر لقمة العيش.

إليكم أيها الأغنياء طريق البر وإرضاء وجه الله. أعرف إنساناً جاء يطلب الرهينة، فلما سأله عن حال الأسرة أخبرني بكل صدق كاعتراف، أن الأسرة كلها تعيش على قرش صاغ واحد في اليوم. فسألته، كيف؟ فأخبرني أنهم يشترون في الصباح بقرش صاغ واحد 'حادق'، ويُغمّسوا منه في الصباح والظهر والعشاء. فسألت: وما 'الحادق'؟ قال شرش الجبنة، يباع في الفيوم باسم 'الحادق'.

إليكم يا سكان القصور وأصحاب الملايين.

١٣ يناير ٢٠٠٦

«نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة
لأننا نحب الإخوة»

رسالة القديس يوحنا الأولى ٣ : ١٤

من هم الإخوة، الذين إذ نحبهم نكون قد انتقلنا من الموت إلى الحياة؟ إن كان يقصد الإنجيل الإخوة في المستوى الأسري، فالكل يحب الإخوة. وإن كان يقصد الإخوة في الصداقة واللعب والسينما، فالكل له إخوة محبوبون. وإن كان في العمل والدراسة والتعليم، فالكل يحب للإخوة. فماذا يقصد الإنجيل عندما يقول ويحضُّ على محبة الإخوة؟

إخوة الإنجيل وإخوة الرب، هم الذين لا يحبهم الناس، وهم الذين يقصدهم القديس يوحنا. فإخوة الإنجيل والرب، هم الذين يحتاجون حقاً إلى المحبة. ومحبة هؤلاء تدخل قلب المسيح وتُفرِّحه. إخوة المسيح هم الذين بلا إخوة!! وقد فقدوا من يحبهم أو يعطف عليهم.

فهل يمكن أو يُعقل أن الإنجيل يقول، إن محبة الإخوة تنقل

الإنسان من الموت إلى الحياة، وهم إخوة الأسرة أو الدراسة، أو اللعب أو الفسحة وقتل الوقت بالسياحة والفرجة والمناظر؟ صحيح أن كلمة الإخوة تُطلَق على الذين هم في حاجة حقاً إلى الأخوة. ومن هو الذي يحتاج جداً إلى من يؤاخيه ويواسيه ويعطف عليه، عطف الأخ على أخيه؟ أليس هؤلاء الذين سقطوا من المجتمع، وانزروا على أنفسهم يجاهدون في سبيل الحصول على لقمة العيش التي تسند أجسامهم الهزيلة؟

أقول الصدق في المسيح، وضميري وألوف من الناس يشهدون، إني افتتحت مؤسسة صغيرة للعناية والصرف على الفقراء. فقبل أن تمضي سنوات قليلة على افتتاحها باسم "جمعية الملاك ميخائيل لمساعدة الفقراء"، بلغ تعداد من تقوم بالصرف عليهم، بالمال والغذاء والدواء والرعاية في المستشفيات، (١٠٢٥) ألف وخمسة وعشرين أسرة، من أول الإسكندرية وبورسعيد والإسماعيلية والوايلي وشبرا مصر، وبلاد الصعيد حتى مدينة أخميم. ولا يزال العدد يزداد. وبلغ مقدار المال الذي تم صرفه نقداً هذا الشهر (٢٥٠٠٠٠ جنية)، لكل أسرة من ١٥٠ إلى ٣٠٠ جنية، حسب الحالة والتعداد. أما المعونة الغذائية، فلكل أسرة صندوق وزنه تقريباً ٣٥ كيلوجراماً، به جميع ما يخطر على البال من غذاء صحي

لأفراد كل أسرة. وإجمالي ثمن الغذاء (١٢٧٩١١ جنيه) في هذا الشهر.

نقول هذا ليس افتخاراً، ولكن اعترافاً بما يعمله الرب معنا دون إعلان. ولكن إلى الآن لم تسمح الشؤون الاجتماعية بإعطائنا ترخيصاً للجمعية.

وعلماً بأننا نخدم ١٠٢٥ أسرة مسيحية.

علماً بأننا فقراء ولكن نغني كثيرين باسم الرب.

١٣ يناير ٢٠٠٦

«الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة،
لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيَتْ
لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلوية،
وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل
الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل»

(رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١ :
١٠، ٩)

«على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزّه عن
الكذب قبل الأزمنة الأزلوية، وإنما أظهر كلمته في أوقاتها
الخاصة بالكراسة التي أوتمنتُ أنا عليها بحسب أمر مخلصنا
الله»

(رسالة بولس الرسول إلى تيطس ١ : ٢، ٣)

«لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا

بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبهُ بَغْنَى
علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير
ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية»

(رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٣: ٥-٧)

١ - قد اخترنا للقارئ زبدة الرسالة الثانية لبولس الرسول
لتيموثاوس،

٢ - وزبدة الرسالة أيضاً لبولس إلى تيطس في موضوع واحد.
وفيهما، إن في الأولى أو الثانية، يرتفع بنا بولس الرسول حتى
نكاد نلمس السماء. فكتب لتيموثاوس وتيطس أن المسيح دعانا
إلى ملكوته دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمال في برّ عملناها، بل
بمقتضى رحمته. هذا هو القصد الذي قصده مع النعمة التي وهبها
لنا في يسوع المسيح قبل الأزمنة الأزلية، على رجاء الحياة الأبدية،
وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا، الذي أبطل الموت بموته، وأنار
لنا الحياة والخلود بقيامته، كما في الإنجيل. على أن وعد الله بالحياة
الأبدية تقرر قبل الأزمنة الأزلية، وتمّ بغسل الميلاد الثاني، أي
المعمودية، بتجديد الروح القدس الذي سكبهُ علينا بَغْنَى بيسوع

المسيح مخلصنا. والنتيجة أننا تبررنا بالنعمة، فصرنا ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية.

ونتمنى للقارئ أن يعيد قراءة ما كتبناه، على مهلٍ وبترو، لأن الحقائق الواردة فيه هي لآلئ ثمينة في مصوِّغ من ذهب. كلُّ لؤلؤة منها مهداة للإنسان المسكين، الذي ظُلمَ على مدى أجيال الدهور السالفة، وقد حبسه الشيطان حبساً مطلقاً في عبوس الظلمة والخطية والتجديف على الله مجبراً، لا يشرق عليه نور. حتى جاء المسيح وأخرجنا بالصليب من حبس الخطية المظلم، وأُناّر لنا بقيامته الحياة والخلود. ولكن الله استعلن لبولس الرسول حقيقةً عظيمةً ظَلَّتْ مخفيةً وحتى الآن، وهي أن الله المنزّه عن الكذب، وعد لنا الحياة الأبدية كأعظم هدية سمائية، ومنذ متى؟؟ قبل الأزمنة الأزلية. ولكن غطى الشيطان عيوننا، ووضع إصبعه في آذاننا، وطمس عقولنا، حتى يبقى هذا الوعد الإلهي المختوم بختم الله الأزلي، مخفياً عن عقولنا وبصائرنا. وظللنا نتلمس خلاصنا، كأعمى يتحسّس مسيرته على الحائط.

ولكي نفسّر هذه الحقيقة نقول: إن كل الذي عمله يسوع المسيح من أجل فدائنا وخلاصنا ودخولنا الحياة الأبدية حتى قدس أقداس الله الآب في السماء، وجلوّسنا الفاخر عن يمين عرش الله في

السماء في يسوع المسيح، الذي ارتقى هذا المجد ليرْقِينَا معه ويجلسنا معه عن يمين عظمة الآب، كل هذه الأبحاث: صدّق يا عزيزي القارئ أو لا تصدّق، إنّها موهوبة لنا في قصد الله الآب ونَيْتِه منذ الأزل، لنرثها في وقتها بالمسيح وفيه، الذي رفعنا إلى مستوى استعلان سرّ الآب المخفى عنا، ولكن أظهر في المسيح بتجسده. على أن لا يُستعلن لنا فقط في السماء، بل لكي نمسكه مسك اليد لليد، ونعيشه في أجمل حياة أبدعها الله الآب في المسيح، الذي هو أيضاً مع أبيه بديع السماوات والأرض، وخالق الإنسان الجديد بروحه، لكي لا يكون غريباً في وسط أهل السماوات، بل قرين مجد وصاحب جلالته، لأننا سنصير «ملوكاً وكهنة لله (أبيه)»^١.

١٥ يناير ٢٠٠٦

^١ رؤ ١: ٦.

«فإن كنتم قد قُمْتُمْ مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهِرون أنتم أيضاً معه في المجد»

رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣ : ١-٣

قيامتنا هي بقيامه المسيح من الموت، هذا نصٌّ إيماني يقيم المسيحية ويحييها. ولكن بولس الرسول يأخذها على أنها قد حدثت بالفعل، ونحن الآن نعيش قيامتنا، أي نحيا بحياة المسيح ونستمد حياتنا من حياة المسيح كل يوم وكل ساعة.

وكوننا نحيا الآن في قيامة المسيح حياة سماوية مجيدة، فهذا يُلزمنا إلزاماً أن نكون قد مُتْنَا مع المسيح بموته. وبموجب هذا الإلزام، أي بكوننا قد مُتْنَا بموت المسيح، يتحتّم أن نكون الآن أمواتاً في المسيح، حتى نقول إننا أحياء في المسيح وبالمسيح. كيف؟ فنحن نقول إننا مُتْنَا، وإننا نحيا؟ هنا يلزمنا أن نعرف أن موتنا الآن بموت المسيح، هو موت قضائي. هنا نرجع إلى ما حدث على الصليب،

حيث يقول بولس الرسول ما استعلنه في موت المسيح. فهو يقول إن المسيح على الصليب مزَّق كتاب يد خطايانا، أو بعبارة أخرى أوضح، أنه مزَّق الصلْبُ الذي كان علينا بموجب الفرائض التي بالناموس، وهو الصلْبُ الذي بمقتضاه أخذ الشيطان الفرصة لكي يشتكي علينا، هذا الصلْبُ الذي كان علينا وضداً لنا، الذي يحكم علينا بالموت^١. فبالغاء هذا الصلْبُ، أو بتمزيق هذا الصلْبُ، يصبح الشيطان قد خسر قضية الإنسان، ونال الإنسان البراءة القضائية بموجب موت الصليب. فنحن إن قلنا إننا متنا للخطية، وتبرأنا منها بموت المسيح، الذي صار موتنا بالحقيقة الإلهية، يكون هذا الموت الذي نعيشه الآن موتاً قضائياً، لا سلطان له على الجسد، حيث يصبح الجسد قد عبر من تحت الموت ليُحسَب الموت قد تمَّ من حيث إنه قد أُبطل مفعوله تماماً ولسنا مديونين للموت بشيء البتة، فقد أكمله المسيح عنا وطرحه أرضاً وداس عليه، وأقامنا بقيامته لنصبح أحياء مبرِّئين من الخطية، إنما بجسد حُكم عليه بالموت غيائياً!!! أو كما يسميه بولس الرسول، إنساننا العتيق. «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطل جسد الخطية كي لا

^١ أنظر كور ٢: ١٤، ١٥.

نعود نُستعبد أيضاً للخطية، لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية؛... كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذاً لا تملكِ الخطية في جسدكم المائت (بحكم القضاء) لكي تطيعوها في شهواته... فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة»^٢.

«إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله (في المعمودية المقدسة)، ولبستم الحديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه»^٣.

ويستمر بولس الرسول يحضُّنا على أساس تبرئة القيامة على الاتصال الروحي والعقلي بما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الآب يشفع فينا.

ولكن من أقوى الاستعلانات التي أُعطيت لبولس الرسول، هو استعلان أنه نحن الآن أحياء بالرغم من عبورنا الموت مع المسيح، ولكن لا نرى حياتنا الجديدة، بل هي مخفية وراء حياة المسيح فوق، وظاهرة ومحسوبة عند الآب. وعلى هذا الأساس الكشفى البديع، الذي يؤكد أننا أحياء الآن في المسيح أمام الآب،

^٢ رو ٦: ٦، ٧، ١١، ١٢، ١٤.

^٣ كو ٣: ٩، ١٠.

فسوف نُظْهَرُ بظهور المسيح في مجده. وهذا قمة الإيمان الذي
استعلنه بولس الرسول، وعاشه وكرز به، وآمنَّا نحن به.

١٧ يناير ٢٠٠٦



« كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة
والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة،
الذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والشمينة
لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية »

رسالة القديس بطرس الرسول الثانية ١ : ٣، ٤

في تقديرنا فإن بولس الرسول له أعلى الاستعلانات والبصيرة
المفتوحة على اللاهوت المسيحي، وكان معتبراً أنه أدق من عبّر
عن ظروف خلاصنا وفدائنا، وكأن المسيح قد اختصّه بأعلى
الاستعلانات التي تحيط بالمعرفة المسيحية. ولكن بشيء من التروّي
واستقصاء المعرفة ومستواها، وجدنا بطرس الرسول، وهو أقدم من
بولس وعاش المسيح طول حياته، أنه صاحب رؤيا واستعلان نافذ
بالرغم من أنه أمّي وصياد سمك.

فبمجرد استجلاء التعابير اللاهوتية أعلاه، نقدر بكل ارتياح أن
نقول، إن بطرس الرسول ليس أقل من بولس الرسول في شيء،
فهو محسوب أنه قاد إيمان الكنيسة بعد المسيح مباشرة، وكان أول

من بشر الأمم. وحلّ عليه الروح القدس يوم الخمسين، فقام مباشرة وتقدّم على الرسل جميعاً، وكان بطل الإيمان الذي خصّه الرب والروح القدس بقامة عالية جداً في الإيمان. وترأس على الكنيسة الأولى، وأول من وعظ في يوم الخمسين وبعده، وضمّ إلى الكنيسة آلاف المؤمنين، بشجاعة إيمانية أذهلت رؤساء الكهنة.

وفي الآية الاستعلانية للقديس بطرس أعلاه، نموذج لمستوى بطرس في الإيمان المسيحي. وهو يقرر أن قدرة المسيح الإلهية وهبت لنا كل ما يختص بالتقوى المسيحية. وكشف حقيقة الحياة الأبدية التي وهبت لنا من عمق لاهوت المسيح، واستعلان مجده والحياة الفضلى التي انفتحت منافذها السماوية وانسكبت على الكنيسة الأولى بلا كيل. وبطرس الرسول يرصد لنا مواعيد الآب والابن المتعازمة في كشف واستجلاء طبيعة المسيح في ملء لاهوته، واشتراكنا فيها بالتجسد، إذ صيرنا بمنتهى الوضوح شركاء الطبيعة الإلهية للآب والابن، بدون حذر في وحدانية تفوق الوصف. هذه الحقيقة نفسها ذكرها بولس الرسول مطوّلة ومشروحة على مدى رسائله، ولكن ما قدمه بطرس الرسول هنا هو في غاية القوة والاختصار، ولكن الاستعلان واحد ويختص بشركتنا في الطبيعة الإلهية، بسبب أن المسيح تجسد بجسدنا هو

هو. ومعروف أن جسد المسيح يحمل ملء اللاهوت، ونحن مملوؤون فيه بذات الملء. بمقتضى هذا التجسد. وهذا هو نص المواعيد العظمى والثمينة، التي أكَّدها القديس بطرس أنها لنا ومن أجلنا في المسيح، الذي أهَّلنا للشركة معه في المجد. ولم يُعدَّ أماننا إلاَّ الإيمان بما وعد به لقديسيه بالروح. وإن كان الجسد العتيق هو العائق الوحيد أماننا لامتلاك هذه المواعيد العظمى والثمينة، فسوف نخلعه لنكون بلا عائق.

علماً بأن القديس بطرس اشترك مع القديس يوحنا في استعلان المجد الذي نعيشه مع الآب، بقوله «إننا ستكون «ملوكاً وكهنة لله (العلي)»^١. كما اشترك مع القديس بولس في كون دم المسيح كان معروفاً سابقاً قبل كون العالم: «دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم»^٢.

١٨ يناير ٢٠٠٦

^١ رؤ ١: ٦، قارن مع ١ بط ٢: ٩.

^٢ ١ بط ١: ١٩، ٢٠، قارن مع أف ١: ٤.

التاريخ الروحي للإنسان

للإنسان تاريخان، أحدهما جسدي من آدم وحواء؛

والتاريخ الروحي للإنسان وهو من يسوع المسيح ابن الله.

التاريخ الجسدي سجّله العهد القديم، وهو يبدأ ببداية تأسيس العالم، المسجّل بمنتهى الدقة في الإصحاحات الأولى من العهد القديم، حينما «خلق الله السموات والأرض»^١، وأبدع النور والليل والنهار، وهياً العالم بكل مخلوقاته لتخدم الإنسان الذي خلقه بعد خلقه العالم.

وكان الإنسان مقرباً من الله، ينعم بالجنة مع امرأته حواء التي خلقها الله من ضلع آدم. وأعطى الله آدم وحواء وصية، أن لا يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر، وأنذرهما أن يوم يعصيانه ويأكلان منها موتاً يموتان. فأكلا وطُردا من الجنة ليعملا في الأرض. وتغرباً عن الله، وداهمهما الموت، بعد أن خلّقا ذرية ورثت منهما لعنة الموت. ولا يزال الإنسان الذي ورث آدم

^١ تك ١: ١.

وحواء يعيش حتى اليوم.

أما التاريخ الروحي للإنسان فيبدأ في المسيح ابن الله، المولود قبل كل الدهور، وهو نور خالص من نور خالص، غير مخلوق لأنه هو كائن في حضن الآب بكيانه الإلهي المقدس، الأزلي والأبدي. وأول من أعلن عن خلقة الإنسان الروحي هو المسيح نفسه: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدَّ لكم منذ تأسيس العالم»^٢. كما استُعلِنَت الخليقة الروحية للإنسان بكل وضوح لبولس الرسول، الذي يقول في رسالته لمدينة أفسس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعَيَّنَا للتَّبَنِّي بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمُدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»^٣.

ومن هذا الاستعلان عرفنا أن لنا ميلاداً آخر في المسيح، ليس على مستوى ميلاد البشر من البشر، ولكن تواجد كيان في كيان. وتجاوزاً يقول بولس الرسول أيضاً: «فإنه فيه (المسيح) يحل كل

^٢ مت ٢٥: ٣٤.

^٣ أف ١: ٣-٦.

ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوؤون فيه»^٤. ويقول أيضاً في رسالته إلى تيموثاوس: «الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيَت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح»^٥.

وهكذا يُوضّح الاستعلان، أن اختيارنا في المسيح قبل الأزمنة الأزلية، رافقه موهبة النعمة، حسب قصد الآب، لا بمقتضى أعمال.

ويقول بولس الرسول أيضاً في رسالته إلى تيطس: «على رجاء الحياة الأبديّة التي وعد بها الله المنزّه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية»^٦. بمعنى أن الله الآب وعد الإنسان بالحياة الأبديّة قبل الأزمنة الأزلية.

ويقول بولس الرسول أيضاً في رسالته إلى تيطس: «حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبديّة»^٧، «التي وعد بها الله قبل الأزمنة الأزلية».

^٤ كو ٢: ٩، ١٠.

^٥ تي ١: ٩، ١٠.

^٦ تي ١: ٢.

^٧ تي ٣: ٧.

ويشترك القديس بطرس أيضاً في تعريفنا أن عمل دم المسيح فينا كان «معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم»^٨.

وبهذه الاستشهادات، التي جاءت من فم المسيح ومن استعلانات كل من بولس الرسول وبطرس الرسول، نتأكد أننا كنا معروفين ومختارين كأبناء لله في يسوع المسيح الابن الوحيد المحبوب قبل الأزمنة الأزلية. وهذا الاكتشاف يعطينا رجاء وثقة وتمسكاً، بل وفرحاً وتهليلاً بأننا مختارون في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، أي قبل خلقه العالم المادي، وهو الكيان الروحي الذي به تأهلنا مع خلاص الصليب، أن نكون شركاء الحياة الأبدية مع الآب والابن.

٢٠ يناير ٢٠٠٦

^٨ ١ بط ٢٠:١.

تابع التاريخ الروحي للإنسان

- ١٠٢ -

الميلاد الثاني للإنسان

التجديد REGENERATION

كان هذا هو أول تعليم ألقاه المسيح على نيقوديموس، الفريسي المتمرس الذي لم يقبل هذا التعليم، ولكنه في النهاية قبله، وكان هو الذي كفن المسيح مع يوسف الرامي. جاء نيقوديموس إلى المسيح يسأل عن ملكوت الله ما هو، لأن أول مناداة المسيح كان «قد اقترب منكم ملكوت الله»^١.

فبادره المسيح باستعلان الميلاد الثاني، أي الميلاد من فوق، كأساس لدخول ملكوت الله. فكان احتجاج نيقوديموس هو كيف يولد الإنسان ثانية، هل يمكن أن يدخل بطن أمه ويولد وهو شيخ؟ فكان رد المسيح أن مَنْ يولد من الجسد جسد هو وَمَنْ يولد من الروح هو روح. وأوضح المسيح كيف يولد الإنسان من الروح بواسطة الماء والروح، أي الميلاد من المعمودية المقدسة، ليتأهل

^١ لوقا ٩: ١٠ ومت ٢: ٣.

لدخول ملكوت الله^٢. لم يفهم نيقوديموس وذهب لحاله، ولم نسمع عنه إلا في المناقشة الحامية التي أثارها الجمع اليهودي ضد المسيح، فكان رأي نيقوديموس: «ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً ويعرف ماذا فعل»^٣. ثم نسمعه أخيراً كيف تسلل مع يوسف الرامي الرجل الثري ليُكفنا المسيح.

فما هو الميلاد الثاني؟ أو الميلاد من الروح؟

إنه جوهر التعليم المسيحي، الذي يُعتَبَر بمثابة تجديد خلقه الإنسان بالميلاد من فوق، أي من السماء. فالمولد الجسدي أرضي هو من التراب أصلاً، وإلى التراب يعود بحكم الموت. أما الميلاد الروحي فهو من السماء، ويعود إلى السماء ليحيا مع المسيح فوق وإلى الأبد. وأُطلق على الميلاد الثاني أو الروحي أنه هو التجديد^٤، Regeneration، أي تجديد خلقه الإنسان من فوق.

واستعلن المسيح كيفية ميلاد الإنسان الروحي، أي الثاني، بواسطة الماء والروح. وهو طقس التعميد للدخول في المسيحية، وبالتالي الدخول إلى ملكوت الله الأبدي.

^٢ يو ٣: ٣-٦.

^٣ يو ٧: ٥١.

^٤ مت ١٩: ٢٨.

م ٢٤- مع المسيح (٤)

وكان للإنجيل في ذلك نظرة روحية عالية القيمة جداً، نلخصها للقارئ. فالميلاد الثاني أي الروحي للإنسان، المعتبر تجديداً لخلقة الإنسان، بدأ جوهرياً بقيامة المسيح من الأموات بمجد حيٍّ وروح أزلية أصلاً وأبدية. والمعروف أن قيامة المسيح كانت هي القوة الروحية الإلهية التي دخلت عالم الإنسان بعد حكم الموت الأبدي، الذي عاشه الإنسان سابقاً كل الدهور السابقة لقيامة المسيح. فقام الإنسان بقيامة المسيح لحياة جديدة أبدية في ملكوت الله، وكان هذا هو الميلاد الثاني للإنسان، أي الروحي، المحسوب أنه سمائي، أي من فوق:

❖ «ولدنا ثانية لرجاء حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات»^٥،

ويوضح القديس بطرس هذا الميلاد الثاني بقوله:

❖ «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد»^٦.

^٥ ١ بط ١: ٣.

^٦ ١ بط ١: ٢٣.

❖ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم»^٧.

ويوضح القديس بولس هذا الميلاد الثاني بقوله:

❖ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية»^٨.

ويوضح القديس بولس الميلاد الثاني لأهل كولوسي بقوله:

❖ «إذ خلّعتكم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه»^٩.

^٧ ١ بط ٤: ٤.

^٨ تي ٣: ٥-٧.

^٩ كو ٣: ٩، ١٠.

ويوضح لأهل كولوسي أيضاً:

❖ «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أظهرَ المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»^{١٠}.

ويوضح لأهل كولوسي أيضاً:

❖ «فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوؤون فيه»،

«وبه أيضاً خُتِنْتُمْ خَتاناً غير مصنوع بيدٍ بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح»،

«مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتُم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات»،

«وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغُلِفَ جسدكم أحياءكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محَا الصِّك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدَّنا وقد رفعه من الوسط مُسَمِّراً إياه بالصليب»^{١١}.

^{١٠} كو ٣: ٤، ٣.

^{١١} كو ٢: ١١-١٤.

ويوضح لأهل كولوسي أيضاً:

❖ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد»^{١٢}.

ويوضح بولس الرسول أيضاً لأهل كولوسي:

❖ «شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته»^{١٣}.

❖ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن، في جسم بشريته بالموت ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه»^{١٤}.

ويوضح بولس أيضاً إلى أهل فيلي:

^{١٢} كور ٣: ١-٤.

^{١٣} كور ١: ١٢، ١٣.

^{١٤} كور ١: ٢١، ٢٢.

❖ «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته، لعلني أبلغ إلى قيامة الأموات»^{١٥}.

❖ «لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح»^{١٦}.

ويوضح بولس الرسول إلى أهل أفسس:

❖ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه»^{١٧}.

❖ «وعُلمتُم فيه كما هو حق في يسوع، أن تخلعوا من جهة

التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات

الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان

الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق»^{١٨}.

❖ «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيّدوا بالقوة بروحه

في الإنسان الباطن (الجديد)، ليحلّ المسيح بالإيمان في

قلوبكم، وأنتم متأصّلون ومتأسّسون في المحبة حتى

تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ... محبة المسيح

الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله، والقادر أن

^{١٥} في ٣: ١١، ١٠.

^{١٦} في ١: ٢١.

^{١٧} أف ٥: ٣٠.

^{١٨} أف ٤: ٢١-٢٤.

يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر
بحسب القوة التي تعمل فينا»^{١٩}.

❖ «ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح. بالنعمة انتم
مخلصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في
المسيح يسوع»^{٢٠}.

❖ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة
قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها»^{٢١}.

❖ «فلستم إذاً بعد غرباء وُزلاء بل رعية مع القديسين
وأهل بيت الله»^{٢٢}.

❖ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل
بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه
قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في
المحبة، إذ سبق فعَيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب

١٩ أف ٣: ١٦-٢٠.

٢٠ أف ٢: ٦، ٥.

٢١ أف ٢: ١٠.

٢٢ أف ٢: ١٩.

مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في
المحبوب»^{٢٣}.

ومن هذا الاستعلان العجيب والمدهش، يتبيّن لنا بكل وضوح
أن التجديد للإنسان، أي الخلقة الروحية، أو الميلاد الثاني، كانت
مرسومة في قصد الآب ونيّته، محفوظة إلى زمان ظهورها بميلاد
المسيح.

وأيضاً بولس الرسول في رسالته الثانية لكورنثوس يوضّح الميلاد
الثاني هكذا:

❖ «لأن الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظلمة هو الذي
أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع
المسيح»^{٢٤}.

❖ «لأننا نحن الأحياء نُسلّم دائماً للموت من أجل يسوع
لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت»^{٢٥}.

^{٢٣} أف ١: ٣-٦.

^{٢٤} ٢ كو ٤: ٦.

^{٢٥} ٢ كو ٤: ١١.

❖ «عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقمنا نحن أيضاً
بيسوع»^{٢٦}.

❖ «لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى
فالداخل يتجدد يوماً فيوماً»^{٢٧}.

❖ «لأننا نعلم أنه إن نُقْضَ بَيْتُ خِيَمَتِنَا الأَرْضِي فلنا في
السموات بناءً من الله بَيْتٌ غير مصنوع بيد أبدي»^{٢٨}.

❖ «فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون
في الجسد فنحن متغربون عن الرب... فنثق ونُسَرُّ بالأولى
أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب»^{٢٩}.

❖ «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء
العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً»^{٣٠}.

❖ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن
براً لله فيه»^{٣١}.

٢٦ ٢ كو ٤: ١٤.

٢٧ ٢ كو ٤: ١٦.

٢٨ ٢ كو ٥: ١.

٢٩ ٢ كو ٥: ٦-٨.

٣٠ ٢ كو ٥: ١٧.

❖ «لأنه وإن كان قد صُلبَ من ضعف لكنه حيٌّ بقوة الله. فنحن أيضاً ضعفاءً فيه لكننا سنحيا معه بقوة الله من جهتكم»^{٣٢}.

❖ «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا، وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام ... إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً»^{٣٣}.

❖ «ولكن الذي يُثبِّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله»^{٣٤}.

❖ «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً»^{٣٥}.

^{٣١} ٢ كو ٢١: ٥.

^{٣٢} ٢ كو ١٣: ٤.

^{٣٣} ٢ كو ٥: ١٤، ١٥، ١٧.

^{٣٤} ٢ كو ١: ٢١.

^{٣٥} ٢ كو ١: ٥.

❖ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حيّة وآدم الأخير روحاً محياً»^{٣٦}.

❖ «وكما لبسنا صورة التراي، سنلبس أيضاً صورة السماوي»^{٣٧}.

❖ «أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية. أمّا شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس. ولكن شكراً لله الذي يُعطينا الغلبة برنا يسوع المسيح»^{٣٨}.

❖ «لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع»^{٣٩}.

❖ «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً»^{٤٠}.

❖ «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد

^{٣٦} ١ كور ١٥: ٤٥.

^{٣٧} ١ كور ١٥: ٤٩.

^{٣٨} ١ كور ١٥: ٥٥-٥٧.

^{٣٩} ١ كور ١٥: ٢٢.

^{٤٠} ١ كور ١٢: ٢٧.

المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ جسدٌ واحدٌ لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد»^{٤١}.

❖ «وأما من التصق بالرب فهو روح واحد»^{٤٢}.

❖ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله»،

«فمجدِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله»^{٤٣}.

❖ «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ... وأما الروحي فيحكم في كل شيء»^{٤٤}.

❖ «بل نتكلم بحكمة الله في سرٍّ. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا»^{٤٥}.

❖ «هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف

٤١ اكو ١٠ : ١٧، ١٦.

٤٢ اكو ٦ : ١٧.

٤٣ اكو ٦ : ٢٠، ١٩.

٤٤ اكو ٢ : ١٤، ١٥.

٤٥ اكو ٢ : ٧.

الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس»^{٤٦}.

❖ «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداًسة وفداء»^{٤٧}.

❖ «لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً»^{٤٨}.

❖ «لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله... ببرهان الروح والقوة»^{٤٩}.

❖ «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله»^{٥٠}.

❖ «أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا»^{٥١}.

^{٤٦} ١ كو ٢: ١١-١٣.

^{٤٧} ١ كو ١: ٣٠.

^{٤٨} ١ كو ٢: ٢.

^{٤٩} ١ كو ٢: ٤، ٥.

^{٥٠} ١ كو ١: ١٨.

رجاء لدى القارئ العزيز، أن يعتبر هذه المقالة أساس المسيحية وجوهر الإيمان، وهي تجمع كل الآيات التي يتكلم فيها الإنجيل عن الإنسان الجديد، الذي من أجله انفتح ملكوت الله ليستقبله.

٢٢ يناير ٢٠٠٦

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرير - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

مع المسيح

الكتاب الرابع

نحن نؤمن بالمسيح لننال الحياة
الأبدية، وصُلِّح الله الآب، والخلاص
من غضب الله على آدم وبنيه. لذلك
فكما اختبرنا ننقل خبرتنا، وكما
أُسْعِدْنَا بانتمائنا إلى المسيح نسعى
لنُسْعِدَ القارئ معنا حتى ينال ما
نَلْنَا.